مجلة كلية القرآن والسنة

JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY

KOLEJ UNIVERSITI ISLAM PERLIS
(KUIPs)

تصدر عن كلية القرآن والسنة – جامعة برليس الإسلامية-ماليزيا

دوريَّة . علميَّة . محكَّمة

تُعنى ببحوث الدِّراسات القرآنيِّة والحديثيَّة واللغويَّة وما يتعلق بها

eISSN 2948-5215 VOL. (1)- Issue 1 Jan 2023 المجلد الأول -العدد الأوَّل يناير

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

[سورة الحشر: 7]

الآراء الواردة في بحوث المجلّة تُعبّر عن وجهة نظر أصحابها

جميع الحقوق محفوظة

© 2023 ناشر KUIPs ، جامعة برليس الإسلامية.

الترقيم الدولي eISSN:2948-5215

للمراسلة: باسم رئيس تحرير المجلّة؛ كلية القرآن والسنة، جامعة برليس الإسلامية.

واتساب: (+6014-5007408) بريد المجلّة الالكتروني: journalfqs@kuips.edu.my

© 2023 Penerbit KUIPs, Kolej Universiti Islam Perlis. All rights reserved. eISSN:2948-5215
Correspondence Managing Editor; Fakulti Al-Quran dan Sunnah, Kolej Universiti Islam Perlis, Taman Seberang Jaya Fasa 3,02000 Kuala Perlis, Perlis, Malaysia.

Malaysia Phone: +6014-5007408

E-mail: journalfqs@kuips.edu.my

Website: https://syskuipsv2.my/journalfqs/

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY

هيئة التّحرير

Editorial Board

رئيس التّحرير

أ. م. د. ياسر بن إسماعيل راضي.

Editor-in-Chief

Assoc. Prof. Dr. Yasir Bin Ismail Radi.

نائب رئيس التّحرير

د. عبد الوهاب الحدّاد.

Deputy Editor-in-Chief

Dr. Abdul Wahab Al Haddad.

سكرتير التّحرير

أ. معاذ بن محمد غني بصري.

Editorial secretary

En. Muaz Bin Mohd Ghani Basri.

هيئة التّحرير

أ.م. د. أزويرا بن عبد العزيز.

أ. د. عفاف عبد الغفور حميد.

د. أشرف حسن الدبسي.

د. أمير عادل مبروك الديب.

د. محمد لقمان بن مت سين.

د. حسام الدين عبد الله أحمد محمود.

أ. محمد حافظ بن دربن.

أ. مريم بنت روفي.

أ. فريزة حنان بنت محمد.

أ . وفاء عبد الجبار بن صاحب الدين.

Editorial Board

Prof. Madya Dr. Azwira Bin Abd Aziz.

Prof. Dr. Afaf Abdul Ghafur Hamid.

Dr. Ashraf Hassan Mohamed Hassan.

Dr. Amir Adel Mabrouk Eldeib.

Dr. Muhammad Lukman Bin Mat Sin.

Dr. Hossameldin Abdalla Ahmed Mahmoud.

En. Mohamad Hafiz Bin Darpen.

Pn. Maryam Binti Rofiee.

Pn. Fariza Hanan Binti Muhamad.

En. Wafa Abdul Jabbar Bin Shohibuddin.

المراجعة اللغوية

أ.د. مجاهد مصطفى بهجت. (اللغة العربية)

د. عبد الله صالح عبد الله. (اللغة الإنجليزية)

أ. نور عفيفة بنت فاضل. (اللغة الماليزية)

Linguistic review

Prof. Dr. Mujahid Mustafa Bahjat.

Dr. Abdallah Saleh Abdallah.

Pn. Nur Afifah Binti Fadzil.

تدقيق الانتحال العلمي

د. خليل الله أمين أحمد.

Plagiarism checking

Dr. Khalilullah Amin Bin Ahmad.

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY

الهيئة الاستشارية

أ.د. حكمت بشير ياسين	(السعودية)	أ.م. د. محمد روزيمي بن رملي.	(ماليزيا)
أ.د. أحمد بن محمد مفلح القضاة.	(الأردن)	أ.د. محمد أبو الليث الخير أبادي.	(الهند)
أ.د. أحمد محمد الشرقاوي.	(مصر)	أ.د. محمد عبد الرزاق أسود.	(سوريا)
أ.د. أسامة عبد الوهاب الحيّاني.	(العراق)	أ. د. محمد اسماعيلي علوي.	(المغرب)
أ. د. أحمد خالد شكري.	(الأردن)	أ.د. عبد الملك عبد الوهاب أنعم الحسامي.	(اليمن)
أ. د. مجدي حاج إبراهيم.	(ماليزيا)	أ.م. د. صالح بن عبد الله عسيري.	(السعودية)
أ.م.د. نور محمد عثماني.	(بنغلاديش)	أ.د. سوهيرين محمد صالحين.	(اندونيسيا)

Advisory Board

Prof. Dr. Hikmat Basheer Yaseen. (Saudi Arabia).

Assoc. Prof. Dr. Muhamad Rozaimi bin Ramle. (Malaysia).

Prof. Dr. Ahmad bin Muhammad Muflih Al Qudat. (Jordan).

Prof.Dr.Muhammad Abu Laith Alkhair Abadi. (India).

Prof.Dr.Ahmad Muhammad Al Sharqawi . (Egypt).

Prof.Dr.Muhammad Abdul Razak Aswad. (Syria).

Prof. Dr. Usamah Abduwahab Al-Haiiani . (Iraq).

Prof. Dr. Moulay Mhamed Ismail Alaoui. (Morocco).

Prof. Dr. Ahmad khaled shukri. (Jordan).

Prof. Dr. Abdulmalek Abdulwahab Anaam Alhusami. (Yaman).

Prof. Dr. Majdi Haji Ibrahim . (Malaysia).

Assoc. Prof. Dr. SALEH ABDULLAH ASIRI. (Saudi Arabia).

Assoc.Prof.Dr.NOOR MOHAMMAD OSMANI (Bangladesh).

Prof. Dr. Sohirin Mohammad Solihin (Indonesia).

شروط النَّشر

1. أن يكون البحث المقدّم في تخصص القرآن والسنة واللغة العربية وما يتعلق بها من دراسات.
2. أن يتسم البحث بالجدّية والأصالة العلميّة.
3. أن تتسم الدراسة بسلامة المنهج والمقصد، وصحيح الاجتهاد.
4. أن يتسم البحث بسلامة اللغة المقدّم بها البحث سواء اللغة العربية أو اللغة الإنجليزية أو الماليزية.
5. أن لا يكون البحث قد نُشر من قبل أو قُدّم للنشر في مجلّة علميّة أخرى، ويُقدِّم الباحث إقراراً خطياً بذلك.
6. أن لا يزيد عدد الباحثين المشاركين عن اثنين، ومع الباحث الرئيس يكون العدد: (٣).
7. أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (40) صفحة، ولا يقل عن (15) صفحة.
8. يُكتب مستخلص البحث في حدود (150 - 200) كلمة؛ وباللغتين: العربية والانجليزية أو العربية والملايوية. ويشمل الآتي: هدف الدِّراسة، وسبب اختيارها، ومختصر منهج الدِّراسة، وأهم نتيجتين لها، ثم (4-5) كلمات مفتاحيّة.
9. أن تتضمن الخاتمة: أهم نتائج الدّراسة، وليس سرداً لمحتويات البحث أو تَكراراً لمستخلصه.
10. يُكتب متن البحث بمقاس خط: (16)، ونوع خط:(Traditional Arabic)، والتباعد بين الأسطر: (1.15).
11. تُكتب العناوين الرئيسة والفرعية للبحث بمقاس: (14) **مُسْوَدّة**:(**BOLD**)، ونوع خط:(Calibri).
12. تُكتب الهوامش السُفلية بمقاس: (12)، وتُرقّم بين قوسين كالآتي: (1): .....
13. تُرقّم الهوامش السُفلية مستقلّة مع كل صفحة لا متسلسلة ومجتمعة في نهاية البحث.
14. تُكتب التوثيقات في الهوامش مختصرة كالآتي: (**تفسير الطبري**، 370/4). (**اسم الكتاب مسودًا**).
15. تكتب الآيات القرآنية بالرسم العثماني مضبوطة بالشكل ويفضّل نسخة مصحف المدينة النبوية -على برنامج الوورد، وليس نسخة النشر الحاسوبي. بحجم: (16) مع توثيق الآيات بحجم (12)، واستعمال الأقواس المزهّرة الخاصة بالآيات كالتالي: ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [هود:51].
16. تكتب متون الأحاديث النبوية بمقاس (16)، وإما أن تضبط بالشكل كلها أو يترك التشكيل فيها كلها. (والحذر من النسخ واللصق من البرامج التّقنيّة دون تحقيق أو تدقيق).
17. تُخرّج الأحاديث بالمنهجية المعلومة: **صحيح البخاري** (**اسم الكتاب مسودًا**)، كتاب: ...، باب:.. برقم:(...)، 2/23. أو **مسند أحمد** (**اسم الكتاب مسودًا**)، برقم: (7618)، (57/13).

18.توثّق المعلومات من المواقع الإلكترونية كالآتي: هبة حلمي الجابري، **قيام الليل دأب الصالحين (عنوان البحث مسودًا)**، الألوكة، (https://www.alukah.net/).

19.توثّق المعلومات من الدوريات كالآتي: د. أحمد شرشال، **الوصل والوقف وأثرهما في بيان معان التنزيل (عنوان البحث مسودًا)**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النّشر العلمي- جامعة الكويت، العدد:(40)، 2000، ص17.

20.تُكتب في فهرس المصادر مراجع البحث كاملة ومرتبة هجائياً، مع **تسويد اسم الكتاب (BOLD)**.
ومثاله: **مشكل إعراب القرآن**، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت:437هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:2، 1405هـ).

21.تقدّم المصادر وتكتب بطريقتين: اللغة العربية، ثم تحويلها إلى الحروف اللاتينية بالنقل الحرفي:(Transliteration)
ومثاله: البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ).
Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail. ***Sahih al-Bukhari*.** Beirut: Dar Tuq al-Najat, 1422AH.

22.يُقدّم البحث بصيغتين: مايكروسوفت وورد Microsoft Word، وصورة PDF، ويرسل إلى بريد المجلة الآتي: journalfqs@kuips.edu.my

أما **البحث المقدّم باللغة الإنجليزية أو الماليزية**: فتنطبق عليه الشروط السالفة الذكر، إلا في نوع الخط ومقاسه: فنوع الخط لنص البحث ومتنه: Times New Roman ومقاسه: (12)، ونوع الخط لهوامش البحث نفسه: Times New Roman ومقاسه: (10). وتكتب المصادر وفق نظام: Chicago.

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AI-QUR'AN & AI-SUNNAH FACULTY

محتويات العدد

كلمة التّحرير. -

- ما زادته الشاطبيّة على الطيّبة. 01
أمير عادل مبروك الديب.

- موقف المستشرقين من جمع عثمان (رضي الله عنه) للقرآن الكريم بين الإجحاف وقليل من الإنصاف. 29
أحمد بن محمد الشرقاوي.

- حديث القرآن عن الجهل (دراسة موضوعية). 66
غازي وصل سالم الذبياني.

- الآثار السلبّية للمبالغة في التمسك بالمجاز في فَهم الحديث النّبوي. 96
محمد روزيمي بن رملي، وفيقه يونس، محمد أزرول أزلين بن عبد الحميد، محمد فتح الله الحق بن محمد أسني، محمد أمير فرحان بن روسلان.

- المنهج النبوي في التربية النفسية (التفاؤل والطيَرة نموذجًا). 112
مجاهد مصطفى بهجت، عفاف عبد الغفور حميد.

155 TOWARDS AN IDEAL TAFSIR METHODOLOGY AND SAYYID MAWDUDI'S TAFHIMUL QUR'AN.
NOOR MOHAMMAD OSMANI, MD HABIBUR RAHMAN, MD YOUSUF ALI

كلمة التّحرير

الحمد لله الذي جعلنا في أمّة اقرأ؛ أمّة العلم والمعرفة، أمّة المنهج القويم والبحث السليم، والصلاة والسّلام على المعلّم الأوّل الذي قرأ باسم ربه الأكرم وعلّمنا أن نقرأ قراءة واعية جامعة لهداية النفس وتقويمها لتسلك سبل ربها مؤمنة مطمئنة راضية مرضية، وعلى آله الأطهار وأصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والقرار، وبعد:

فمع انطلاق العدد الأوّل من المجلّة العلميّة المحكّمة لكلية القرآن والسنة والتي سميت باسم الكلية بجامعة برليس الإسلامية بماليزيا، فإن أسرة التّحرير تزفُّ للباحثين وأهل الاختصاص البشرى باستقبال مساهماتهم العلمية المتخصّصّة في الكتاب والسنة ولغتهما وما يتعلق بها من علوم ومعارف ودراسات، للنشر في المجلّة بلغات ثلاث: العربية، والانجليزية والماليزية وفقًا لضوابط البحث العلمي المعلومة، وشروط النشر المعلنة في المجلّة.

هذا؛ وقد استقبلت المجلّة العديد من الموضوعات المتنوعة الثريّة؛ خلصت بعد تحكيمها إلى ستة بحوث في علوم القراءات والتفسير والسنة النبوية، نستفتح بها هذا العدد المبارك شاكرين لأصحابها الأفاضل مشاركتهم الفاعلة وتجاوبهم المثمر؛ وقد كانت على النحو الآتي:

البحث **الأول** في علم القراءات بعنوان: **ما زادته الشاطبيّة على الطيّبة**، بيّن فيه الباحث أن في منظومة الشاطبية زيادات متنوعة لا توجد في الطيّبة، وفنّد ما يُقال بأن الإمام ابن الجزري تبع الإمام الشاطبي فيما ذكره في منظومته إذ قال الباحث: "هذا في الجملة؛ ولكن في التفصيل فلا! بدليل ذكر الإمام الشاطبي لأوجه لم يعتمدها ابن الجزري، فغاية ما يقال: إن ابن الجزري اختار من الشاطبية ما رآه على منهجه مثل ما فعل مع بقية الكتب".

وجاء البحث **الثاني** في مسألة الانتصار للقرآن الكريم من أعداء الحق وأهل الشبهات؛ وفي الوقت ذاته عرض الباحث بعض مواقف المنصفين منهم في مسألة جمع القرآن الكريم؛ فكان عنوان البحث: **موقف المستشرقين من جمع عثمان (ﷺ) للقرآن بين الإجحاف وقليل من الإنصاف.**

أما البحث **الثالث** فهو **حديث القرآن الكريم عن (الجهل)**، وفيه حاول الباحث تقديم دراسة موضوعية منهجية عن هذا المصطلح من خلال الآيات التي ذكرت فيها مادة: (جهل) ومشتقاتها، وأهم ما خلص إليه البحث أن أغلب معاني (الجهل) جاء على صفة الذم والسّفه في التصورات والاعتقادات والسلوك؛ كما أن صفة الجهل قد يتلبس بها المؤمن العاصي أو المنافق أو الكافر وعلى المستوى الفردي والجماعي.

أما **الرابع والخامس** من البحوث فقد انصبّا في الدراسات الحديثية، جاء الأول منها بعنوان: **الآثار السلبيّة للمبالغة في التمسك بالمجاز في فَهم الحديث النّبوي**. وتتلخص فكرته في إبراز مكانة السنة النبوية وفَهمها فهمًا صحيحًا كما أراد الشارع، ومن ثم التحذير من المبالغة في تفسير ألفاظ الحديث المجازية؛ فكما أن من المقرّر أنه لا يصح حمل الحديث على المعنى المجازي إلا بوجود قرينة ما؛ فإن المبالغة في التمسك بالمجاز والعمل به قد يؤدي أحيانًا إلى إهمال المعنى الحقيقي لمتن الحديث أو سوء فهمه؛ مما يؤثر على تطبيقاته السلبية من الناحية العملية. وعليه فقد تناول هذا البحث بعض آثار الغلو في التمسك بالمجاز، مع ذكر بعض الأمثلة على ذلك.

وتتلخص فكرة البحث **الخامس** في سمو خلق النبي صلى الله عليه وسلم في تربية أمته تربية تليق بمقام العبودية الخالصة لربها، إذ ثمة موروث فكري ثقافي سلبي اكتسبته الأمة في عهدها الجاهلي قبل الإسلام كمسألة: التطيّر والتشاؤم. فكان لمنهجه صلى الله عليه وسلم أكبر الأثر في تغيير هذا السلوك وضبط النفوس في التخلص من هذا الخلق الذميم ليحل محلّه خلق التفاؤل وحسن الظن بالخالق سبحانه وتعالى، فعالج هذا البحث هذه المسألة وعُنوِن بـ: **المنهج النبوي في التربية النفسية: التفاؤل والطيرة نموذجاً**. وخُتم العدد ببحث – باللغة الإنجليزية–بعنوان:

نحو منهجية مثالية لتفسير القرآن الكريم: تفهيم القرآن للسيد المودودي نموذجًا

TOWARDS AN IDEAL TAFSIR METHODOLOGY AND SAYYID MAWDUDI'S TAFHIMUL QUR'AN

ومفاده استقراء منهج الإمام المودودي (1903-1979) في تفسير القرآن، وفيه خلُص الباحثون بأن الإمام المودودي قد جمع بين التفسير الأثري والتفسير بالرأي المحمود، وكان له ثوابت في منهجه التفسيري بيّنه البحث في أطوائه. وهي قراءة جيدة جديرة بالاطلاع لا سيما وهي تتحدث عن منهج من مناهج العلماء في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث.

وختامًا؛ أشكر المولى –جل جلاله– وأحمده وأسبّح بحمده ما تعاقب الليل والنهار على نعمه التي لا تحصى، وفضله ومنّه علينا بأعظم مصدرين–الكتاب والسنة– صيانة لنا وطريقًا لسعادتنا في الدارين، ثم أشكر إدارة جامعة برليس الإسلامية وعميد كلية القرآن والسنة على موافقتهم الكريمة بإنشاء هذه المجلة المحكمّة خدمة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ونشر علومهما وتعظيمها وحفظهما من تطاول أعداء الحق وأهل الزيغ والضلال.

وأثنّي شكري وامتناني للمتعاونين من أعضاء هيئة التحرير والمستشارين بالمجلّة والقسم التّقني في الجامعة، والباحثين المشاركين ممن كانت لهم السّمة الواضحة في إصدار هذا العدد، والكتابة فيه، فجزاهم ربي خير الجزاء وأثابهم وزادهم من فضله وكرمه، والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير

أ.م. د. ياسر بن إسماعيل راضي

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY
VOL. (1)- Issue 1 Jan 2023 المجلد الأول -العدد الأوّل يناير

ما زادته الشاطبيّة على الطيّبة

Shatibiyyah additional contribution over the text of *al-Tayyibah*

أمير عادل مبروك الديب

جامعة برليس الإسلامية، ماليزيا

dramir@kuips.edu.my

الملخص:

نستعرض من خلال هذا البحث زيادات الشاطبية على الطيبة في محاولة لجمع هذه الزيادات للمتخصصين، حيث لم أجد من تطرق لهذه الجزئية، وطريقة تعاملنا في هذا البحث باستخدام المنهج الاستقرائي المقارن، وذلك من خلال أسئلة وضعت، وهي: ما زيادات الشاطبية على الطيبة؟، ما أنواع زيادات الشاطبية على الطيبة؟، وتمت الإجابة على هذه الأسئلة من خلال المباحث، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، منها: حرص الإمام الشاطبي رحمه الله على تقديم النصائح لطلاب العلم، واهتمام الإمام الشاطبي رحمه الله بتبجيل القرّاء، واستشهد الإمام الشاطبي ببعض العلماء في منظومته، وهذا راجع إلى مسائل علمية تتعلق بهم سواء من نسبة رواية أو بيان مذهب، وتنوع التوجيه عند الإمام الشاطبي بين أصل الاشتقاق، أو بيان لغة واردة، أو بيان أصل الكلمة، أو إعراب، إلى غير ذلك من النتائج المثبتة في محلها من البحث، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحيَّة: الزيادات – الشاطبية – الطيبة – القراءات.

Abstract

The paper aims at analyzing contribution of Imam Shatibi in giving annotation on the book of *al-Tayyibah*. This study is exclusively to address scholars specialized within this field as there is hardly any piece of work on that field. We follow the methodological framework of inductive approach. It is conducted in a way to respond to these two fundamental questions. First, what are the descriptive annotation in the hands of Shatibi on *al-Tayyibah*. Second, what are the areas of analytical description on *al-Tayyibah*.?

The study has come out with these findings. Imam Shatibi is very much imbued with the idea of giving the vision to seekers of knowledge. Moreover, he is very concerned with broadening the horizon of thinking among his audience. Secondly, he attempts to analyze diversity of views of scholars due to his awareness on scientific issue of different school of thought.

At the end, he concludes through the exposition of guidance based on the origin of etymological statement as well as the derivation of the meaning from structural phrases of the syntax.

Keywords: Annotation, Shatibi, Tayyibah and Diversity of thought.

المقدمة:

الناظر في منظومة الإمام أبي القاسم الشاطبي رحمه الله يرى فيها من الكنوز الثمينة التي تدل على قيمة ناظمها فهو إمام في هذا الشأن، ولا عجب في ذلك، بل غالب أسانيد الدنيا أو كلها تقريبا في القراءات السبع تمرّ عليه، وكل من أتى بعد الإمام الشاطبي رحمه الله ونظم في القراءات فهم عيال عليه، وليس فاتح الباب مثل الذي جاء متأخرا، ومع ذلك فالإمام الشاطبي هو فاتح باب النظم في القراءات وهو الخاتم له، ولم يستطع أحد بعده أن ينظم متنا كاملا في القراءات يصل إلى مستوى نظم الشاطبية، فالشاطبية بلغت في حسنها الشيء الكثير، وكل من استدرك على الإمام الشاطبي وقال: لو قال كذا لكان أحسن، فهؤلاء رحمهم الله قالوا ذلك في بيت أو بيتين أو أكثر بقليل، ولم نر من استدرك على الشاطبي ونظم لنا نظما تجاوز ألف بيت حتى نحكم عليه، والمتأمل والمطالع لكتب القراءات يجد أن الشاطبية حظيت بشروح كثيرة جدا مقارنة ببقية منظومات القراءات، بل حتى في الأبحاث العلمية حظيت بالنصيب الأكبر دون بقية المنظومات، وكل هذا يدل على أن الشاطبية لها كعبٌ عالٍ بين منظومات القراءات.

ولما رأيت الكتب التي ألفت في زيادات الطيبة على الشاطبية في باب الرواية مثل الإبياري والخليجي وغيرهما، أردت أن أبين أن في الشاطبية زيادات لا توجد في الطيبة، وهذه الزيادات متنوعة، ومن قال بأن الإمام ابن الجزري تبع الشاطبي فيما ذكره فهذا في العموم وليس في التفصيل، بدليل ذكر الإمام الشاطبي لأوجه لم يعتمدها ابن الجزري، فغاية ما يقال أن ابن الجزري اختار من الشاطبية ما رآه على منهجه مثلما فعل مع بقية الكتب، ومن قال بأن الإمام ابن الجزري أراد الاختصار ولم يرد ذكر وإعادة ما في الشاطبية، فهذا لا يستقيم أيضا –لو أنه أراد ذلك– لنظم الزيادات فقط على الشاطبية، فلا نحمل ابن الجزري ما لم يذكره بصريح العبارة، فأشرت إلى الزيادات في هذا البحث وأسميته: (ما زادته الشاطبية على الطيبة)، فرحم الله الإمامين رحمة واسعة، وأسكنهما فسيح جناته.

ونعرض في المقدمة أهمية البحث وأهدافه، وأسئلة البحث، وحدوده وخطته ومنهجه، والدراسات السابقة فيما يأتي:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1. كثرة الكتب التي صنفت في زيادات الطيبة على الشاطبية، ولم أر كتابا أو بحثا صنف في زيادة الشاطبية على الطيبة، فأردت أن ألج هذا الباب.
2. قيمة منظومة الشاطبية لدى القراء في العالم الإسلامي.
3. إثراء المكتبة الإسلامية بهذا البحث.

أسئلة البحث:

1. ما زيادات الشاطبية على الطيبة؟
2. ما أنواع زيادات الشاطبية على الطيبة؟

أهداف البحث:

1. بيان زيادات الشاطبية على الطيبة.
2. أنواع زيادات الشاطبية على الطيبة.

حدود البحث:

متن الشاطبية، ومتن الطيبة.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وتشتمل على: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد ويشتمل على: ترجمة موجزة للإمام الشاطبي وتعريف بمنظومته، وترجمة موجزة للإمام ابن الجزري وتعريف بمنظومته.

المبحث الأول: صفات القراء. المبحث الثاني: استشهاده ببعض العلماء. المبحث الثالث: التوجيه. المبحث الرابع: صياغة المناظرات في بعض المواضع عن طريق رد الطعن. المبحث الخامس: القراءات. المبحث السادس: رسم المصحف.

الخاتمة وتشمل على نتائج البحث وتوصياته. الفهارس وتشتمل على: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي المقارن وفق الخطوات الآتية:

1. استقراء متن الشاطبية كاملا، واستقراء متن الطيبة كاملا، والمقارنة بين الشاطبية والطيبة.
2. بيان ما زادته الشاطبية على الطيبة، ولا أنبه على الأوجه التي لا يقرأ بها؛ لأن ذلك مذكور في شروح الشاطبية وتحريراتها.
3. الاكتفاء ببعض النماذج فيما زادته الشاطبية على الطيبة.
4. توزيع زيادات الشاطبية على أقسام البحث.
5. الرجوع إلى الطيبة للتأكد من أن أنواع زيادات الشاطبية على الطيبة غير موجودة؛ ولذلك لا أوثق من الطيبة في بعض الأحيان اكتفاء بالشاطبية.
6. ذكرت رقم البيت بجوار البيت؛ ليسهل الرجوع إليه في النظم.

أما عن **الدراسات السابقة**؛ فبعد البحث والاطلاع وجدت بعض المؤلفات التي ذكرت زيادات الطيبة على الشاطبية والدرة منها ما كان في زيادات الطيبة على الشاطبية والدرة: شرح منحة مولى البر فيما زاده كتاب النشر في القراءات العشر على الشاطبية والدرة، تأليف الشيخ عبد الفتاح القاضي[1]، حلية السفرة البررة فيما زادته الطيبة على الشاطبية والدرة، تأليف الشيخ مؤمن سعيد حسن السكندري[2]،أو ما كان من زيادات الطيبة على الشاطبية، مثل: التنوير فيما زاده النشر على الحرز والتيسير للأئمة السبعة البدور، للإمام شهاب الدين أحمد بن أحمد بن بدر الدين الطيبي(ت979هـ)[3].

وتيسر لي كتابة مجموعة مؤلفات في هذا الموضوع، منها: الغرة في زيادات الطيبة على الشاطبية والدرة[4]، والعطية في زيادات الطيبة على الشاطبية، والحلل السندسية في زيادات الطيبة على الشاطبية، أو ما كان من زيادات الطيبة على الدرة، مثل: الثرة في زيادات الطيبة على الدرة، والصرة في زيادات الطيبة على الدرة، أو ما كان من زيادات الطيبة للرواة على الشاطبية والدرة، مثل: زيادات السوسي في الطيبة على الشاطبية،

(1) طبعة دار السلام للنشر والتوزيع.

(2) القاهرة، مكتبة المورد للنشر والتوزيع، ط2: 2016م.

(3) تحقيق د.عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم المزيني، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام 1427هـ.

(4) الناشر: جامعة برليس الإسلامية، ط1: 2022م.

وزيادات هشام في الطيبة على الشاطبية، وزيادات رويس في الطيبة على الدرة، وكلها منشورة في موقعي الرسمي[1].

ولما لم أر –بعد البحث والسؤال– من تناول زيادات الشاطبية على الطيبة إلا ما كان من إشارات داخل شروح الشاطبية عند الحديث عن بعض الأوجه التي لا تصح من الطيبة والنشر، نهضت بهذا البحث الذي يجمع زيادات الشاطبية على الطيبة بكل الأنواع التي تدخل تحت كلمة الزيادة مع عدم بيان صحتها من عدمها؛ لأن ذلك منصوص عليه في الشروح، والله أعلم.

التمهيد: ترجمة موجزة للإمام الشاطبي

اسمه ونسبه وكنيته:

القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الرُّعَيْنِيّ الشاطبي الأندلسي الضرير[2].

مولده:

ولد أواخر سنة 538هـ بمدينة شاطبة[3].

شيوخه:

أخذ الإمام الشاطبي عن أئمة علماء منهم: محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفزي[4]، وأبو عبد الله الشاطبي الضرير[5]، وعلي بن محمد بن علي بن هذيل أبو الحسن البلنسي[6]، وأحمد بن مسعود بن إبراهيم بن يحيى[7].

تلامذته:

انهال الطلاب على الإمام الشاطبي لينهلوا من علمه نذكر منهم رحمهم الله: عليّ بن محمد بن عبد

(1) الناشر: https://amirulqiraat.com – ط1: 2022م.

(2) انظر ترجمته في: **الفتح المواهبي** للقسطلاني (ص: 33)، وزعيم المدرسة الأثرية في القراءات لعبدالهادي حميتو (ص: 17).

(3) انظر: **وفيات الأعيان** لابن خلكان (71/4).

(4) انظر: **معجم الأدباء** للحموي (2217/5).

(5) انظر: **معرفة القراء** للذهبي (ص: 298).

(6) انظر: **سير أعلام النبلاء** للذهبي (506/20).

(7) انظر: **تاريخ الإسلام** للذهبي (136/12).

الصمد بن عبد الأحد أبو الحسن السخاوي المصري[1]، وعليّ بن محمد بن موسى بن أحمد[2]، ومحمد بن عمر بن حسين[3]، ومحمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن نعيم[4]، محمد بن يحيى بن عليّ بن بَقاء اللخْمي[5]، وهبة الله بن محمد بن عبد الوارث[6].

مؤلفاته:

لقد ألّف الإمام الشاطبي – رحمه الله – مؤلفات جليلة، كتب الله فيها القبول، منها:

حرز الأماني ووجه التهاني، وعقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وناظمة الزهر، نظم قصيدة من خمسمائة بيت في كتاب التمهيد لابن عبد البر[7]، وظاءات القرآن[8].

مكانته وثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على الإمام الشاطبي؛ ليبينوا مكانته وما ألفه من علم أو أخلاقه التي جعلته إمام القراء، فنذكر من أقوالهم بعضها، إليك بيانها:

قال السخاوي: "وقد كان شيخنا أبو القاسم الشاطبي –رحمه الله– صاحب هذه الأوصاف جميعها، وربما زاد عليها"[9]. قال عنه ياقوت الحموي: "كان فاضلاً في النحو والقراءة وعلم التفسير... وكان رجلا صالحاً صدوقاً في القول مجدّاً في الفعل"[10].

(1) انظر: **معرفة القراء** للذهبي (340).
(2) انظر: **غاية النهاية** لابن الجزري (576/1).
(3) انظر: **تاريخ الإسلام** للذهبي (861/13).
(4) انظر: **بغية الوعاة** للسيوطي (202/1).
(5) انظر: **التكملة** (96/2).
(6) انظر: **غاية النهاية** لابن الجزري (352/2).
(7) انظر: **معجم الأدباء** للحموي (2216/5).
(8) انظر: **إنباه الرواة** للقفطي (162/4).
(9) **جمال القراء** للسخاوي (371/1).
(10) **معجم الأدباء** للحموي (2216/5).

قال عنه القِفْطِيّ: "كان – رحمه الله – عالماً بكتاب الله – تعالى – من قراءاته وتفسيره، وبحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مبرّزاً فيه، وكان إذا قرئ عليه البخاري ومسلم والموطأ تصحّح النسخ من حفظه"[1]. وقال عنه الصابوني: "كان أحد القراء المجوّدين والعلماء المشهورين والصلحاء المتورّعين"[2].

قال عنه ابن خلكان: "كان أوحد في علم النحو واللغة، عارفاً بعلم الرؤيا، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل"[3].

قال عنه الذهبي: "الشيخ الإمام العالم العامل القدوة سيّد القراء أبو محمد"[4]. وقال عنه ابن الجزري: "ولي الله الإمام العلامة أحد الأعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار"[5].

وفاته:

قال ابن الجزري عنه في غاية النهاية: "وقبره مشهور معروف يُقصد للزيارة، وقد زرته مرارًا، وعرض عليَّ بعضُ أصحابي الشاطبية عند قبره"[6]، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

(1) **إنباه الرواة** للقفطي (161/4).
(2) **التكملة** (101).
(3) **وفيات الأعيان** لابن خلكان (71/4).
(4) **سير أعلام النبلاء** للذهبي (401/15).
(5) **غاية النهاية** لابن الجزري (20/2).
(6) **غاية النهاية** لابن الجزري (23/2).

تعريف بالشاطبية.

اسم المنظومة: حرز الأماني ووجه التهاني.

قال الإمام الشاطبي:

70 وَسَمَّيْتُهَا "حِرْزَ الأَمَانِيْ" تَيَمُّنا وَوَجْهَ التَّهانِي فَاهْنِهِ مُتَقبّلَا

بداية المنظومة:

1 بَدَأْتُ بِبِسْمِ ٱللهُ فِي النَّظْمِ أَوَّلاَ تَبَارَكَ رَحْمَاناً رَحِيماً وَمَوْئِلَا

2 وَثَنَّيْتُ صَلَّى اللهُ رَبِّي عَلَى الرِّضَا مُحَمَّدٍ الْمُهْدى إِلَى النَّاسِ مُرْسَلَا

3 وَعِتْرَتِهِ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ تَلاَهُمْ عَلَى ٱلإِحْسَانِ بِالخَيْرِ وُبَّلَا

نهاية المنظومة:

1171 وَبَعْدُ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الرِّضَا مُتَنَخِّلَا

1172 مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ لِلْمَجْدِ كَعْبَةً صَلاَةً تُبَارِيْ الرِّيحَ مِسْكاً وَمَنْدَلَا

1173 وَتُبْدِي عَلَى أَصْحَابِهِ نَفَحَاتِهَا بِغَيْرِ تَنَاهٍ زَرْنَبًا وَقَرَنْفُلَا

عدد أبياتها: (1173) بيتا.

قال الإمام الشاطبي:

1161 وَأَبْيَاتُهَا أَلْفٌ تَزِيدُ ثَلاَثَةً وَمَعْ مِائَةٍ سَبْعِينَ زُهْراً وَكُمَّلَا

عدد أبيات الأصول: (444) بيتا.

أصلها: كتاب "التيسير في القراءات السبع" للإمام أبي عمرو الداني.

قال الإمام الشاطبي:

68 وَفِي يُسْرِهَا التَّيْسِيرُ رُمْتُ اخْتِصَارَهُ فَأَجْنَتْ بِعَوْنِ اللهِ مِنْهُ مُؤَمَّلَا

البحر: الطويل.

ترجمة موجزة للإمام ابن الجزري

اسمه ونسبه وكنيته:

هو الإمام أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف[1] شمس الدين العمري الدمشقي الشافعي ثم الشيرازي المعروف بابن الجزري[2].

مولده:

ولد في دمشق ليلة السبت بعد صلاة التراويح في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة (751هـ) داخل خط القصاعين بين السورين[3].

شيوخه:

تلقى الإمام ابن الجزري رحمه الله العلم في فنون مختلفة عن علماء أجلاء، نذكر منهم:

إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق الحموي المؤدب(ت773هـ)[4]، وأبو بكر بن أيدغدي بن عبد الله، والشهير بابن الجندي (ت769هـ)[5]، وأحمد بن إبراهيم بن داود المعروف بابن الطحان(ت782هـ)[6]، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد الإسكندري[7]، وعبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم أبو محمد بن السلار(ت782هـ)[8]، ومحمد بن أحمد بن علي أبو المعالي اللبان الدمشقي[9]، ومحمد بن عبد الرحمن بن علي أبو عبد الله ابن الصائغ[10].

تلامذته:

كثر طلاب ابن الجزري رحمه الله، منهم:

---

(1) انظر: **الضوء اللامع** (255/9).
(2) انظر: **معجم البلدان** لياقوت الحموي (138/2).
(3) انظر: **أنباء الغمر** (466/3).
(4) انظر: **غاية النهاية** (30،18/1).
(5) انظر: **غاية النهاية** (180/1).
(6) انظر: **غاية النهاية** (33/1).
(7) انظر: **الدرر الكامنة** (44/3).
(8) انظر: **الدرر الكامنة** (45/3).
(9) انظر: **غاية النهاية** (72/2).
(10) انظر: **الدرر الكامنة** (431/2).

ابنه أبو بكر أحمد بن محمد بن الجزري[1]، وأبو القاسم محمد بن محمد النويري[2]، وأبو النعيم رضوان بن محمد بن يوسف العقبي[3]، والزين الطاهر بن محمد النويري[4].

مؤلفاته:

ذكر ابن الجزري بعض مؤلفاته في كتابه غاية النهاية[5]، منها:

تحبير التيسير في القراءات العشر، تقريب النشر، الجوهرة في النحو، طيبة النشر في القراءات العشر، والمقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، والنشر في القراءات العشر.

مكانته وثناء العلماء عليه:

إن مكانة ابن الجزري عند القراء في أعلى مراتبها، لما هذبه وصنفه وجمعه في القراءات والتجويد، حتى إن مدار أسانيد القراءات غالبها يدور عليه، فنذكر جملة من أقوال بعض العلماء عنه، منها:

قال عنه الإمام جلال الدين السيوطي: "الحافظ المقرئ شيخ الإقراء في زمانه...كان إماما في القراءات لا نظير له في عصره في الدنيا"[6]. ونقل السخاوي عن الطاوسي قوله في ابن الجزري فقال: "تفرد بعلو الرواية وحفظ الأحاديث والجرح والتعديل ومعرفة الرواة المتقدمين والمتأخرين"[7]. وقال عنه ابن العماد: "مقرئ الممالك الإسلامية"[8]. وقال عنه الشوكاني: "وقد تفرد بعلم القراءات في جميع الدنيا ونشره في كثير من البلاد وكان أعظم فنونه وأجل ما عنده"[9].

وفاته:

توفي الإمام ابن الجزري سنة (833هـ) بمنزله من سوق الإسكافيين بمدينة شيراز، ودفن بدار القرآن التي أنشأها[10]، فرحم الله الإمام رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

---

(1) انظر: **غاية النهاية** (129/1).

(6) انظر: **معجم المؤلفين** (662/3).

(3) انظر: **شذرات الذهب** (274/7).

(4) انظر: **الضوء اللامع** (5/4).

(5) انظر: **غاية النهاية في طبقات القراء** (2/ 251).

(6) **طبقات الحفاظ** للسيوطي (ص: 549).

(7) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** (9/ 258).

(8) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** (9/ 298).

(9) **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** (2/ 259).

(10) انظر: **الضوء اللامع** (257/9).

تعريف بالطيّبة

اسم المنظومة: طيبة النشر في القراءات العشر.

قال الإمام ابن الجزري:

58 ضَمَّنْتُهَا كِتَابَ نَشْرِ الْعَشْرِ فَهْيَ بِهِ طَيِّبَةٌ فِي النَّشْرِ

بداية المنظومة:

1 قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ الْجَزَرِي يَاذَا الجَلالِ ارْحَمْهُ وَاسْتُرْ وَاغْفِرِ

2 الْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا يَسَّرَهْ مِنْ نَشْرِ مَنْقُولِ حُرُوفِ العَشَرَه

3 ثُمَّ الصَّلاَةُ والسَّلامُ السَّرْمَدِي عَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى مُحَمَّدِ

نهاية المنظومة:

1013 وَقَدْ أَجَزْتُهَا لِكُلِّ مُقْرِي كَذَا أَجَزْتُ كُلَّ مَنْ فِي عَصْرِي

1014 رِوَايَةً بِشَرْطِهَا المُعْتَبَرِ وَقَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَزَرِي

1015 يَرْحَمُهُ بِفَضْلِهِ الرَّحْمَنُ فَظَنُّهُ مِنْ جُودِهِ الْغُفْرَانُ

عدد أبياتها: (1015) بيتا.

عدد أبيات الأصول: (432) بيتا.

أصلها: كتاب "النشر في القراءات العشر" للإمام ابن الجزري.

قال الإمام ابن الجزري:

58 ضَمَّنْتُهَا كِتَابَ نَشْرِ الْعَشْرِ فَهْيَ بِهِ طَيِّبَةٌ فِي النَّشْرِ

البحر: الرجز.

المبحث الأول: صفات القرّاء

ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله صفات للقراء السبعة منها ذكر القطر الذي ينتمي إليه القارئ، وكذلك بعض الصفات التي وردت عنهم، وأيضا اسم القارئ أو الراوي وذكر اسم الشهرة له المستخدم في الرمز مما يربط اسم الشهرة باسم القارئ، وهذا كله غالبا للقراء والرواة مما يدل على زيادة في الشاطبية على الطبية، وسبب هذا يرجع إلى تمكن الإمام الشاطبي من الصناعة العروضية ووضع الألفاظ المناسبة في المكان الدقيق لها من البيت، فقال رحمه الله:

25 فَأَمَّا الْكَرِيمُ السِّرِّ فِي الطِّيبِ نَافِعٌ فَذَاكَ الَّذِي اخْتَارَ الْمَدِينَةَ مَنْزِلَا

26 وَقَالُونُ عِيسَى ثُمَّ عُثْمانُ وَرْشُهُمْ بِصُحْبَتِهِ الْمَجْدَ الرَّفِيعَ تَأَثَّلَا

27 وَمَكَّةُ عَبْدُ اللهِ فِيهَا مُقَامُهُ هُوَ ابْنُ كَثِيرٍ كاثِرُ الْقَوْمِ مُعْتَلَا

28 رَوى أَحْمَدُ الْبَزِّيْ لَهُ وَمُحَمَّدٌ عَلَى سَنَدٍ وَهْوَ الْمُلَقَّبُ قُنْبُلَا

29 وَأَمَّا الإِمَامُ الْمَازِنِيُّ صَرِيحُهُمْ أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيْ فَوَالِدُهُ الْعَلَا

30 أَفَاضَ عَلَى يَحْيَى الْيَزِيْدِيِّ سَيْبَهُ فَأَصْبَحَ بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ مُعَلَّلَا

31 أَبُو عُمَرَ الدُّورِي وَصَالِحُهُمْ أَبُو شُعَيْبٍ هُوَ السُّوسِيُّ عَنْهُ تَقَبَّلَا

32 وَأَمَّا دِمَشْقُ الشَّامِ دَارُ ابْنِ عَامِرٍ فَتِلْكَ بِعَبْدِ اللهِ طَابَتْ مُحَلَّلَا

33 هِشَامٌ وَعَبْدُ اللهِ وَهْوَ انْتِسَابُهُ لِذَكْوَانَ بِالإِسْنَادِ عَنْهُ تَنَقَّلَا

34 وَبِالْكُوفَةِ الْغَرَّاءِ مِنْهُمْ ثَلاَثَةٌ أَذَاعُوا فَقَدْ ضَاعَتْ شَذاً وَقَرَنْفُلَا

35 فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ فَشُعْبَةُ رَاوِيهِ الْمُبَرِّزُ أَفْضَلَا

36 وَذَاكَ ابْنُ عَيَّاشٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا وَحَفْصٌ وَبِالإِتْقَانِ كانَ مُفضَّلَا

37 وَحَمْزَةُ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ إِمَاماً صَبُوراً لِلْقُرانِ مُرَتِّلَا

38 رَوَى خَلَفٌ عَنْهُ وَخَلاَّدٌ الَّذِي رَوَاهُ سُلَيْمٌ مُتْقِناً وَمُحَصَّلَا

39 وَأَمَّا عَلِيٌّ فَالْكِسَائِيُّ نَعْتُهُ لِمَا كانَ فِي الإِحْرَامِ فِيهِ تَسَرْبَلَا

40 رَوَى لَيْثُهُمْ عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ الرِّضَا وَحَفْصٌ هُوَ الدُّورِيْ وَفِي الذِّكْرِ قَدْ خَلَا

ذكر الإمام الشاطبي –رحمه الله– آدابا وأخلاقا حميدة في مقدمة نظمه، واستعاذ من الرياء، وحذر من الغيبة، وحث طالب العلم على الصبر والمسامحة عما يظن فيه خلاف الصواب، وأذن لمن يجد فيه ذلك أن يصلحه إذا كان أهلا وإماما في هذا الفن، وذكّر رحمه الله بدوام الاعتصام والاعتماد على الله، وهذا من زيادة الشاطبية على الطيبة، وسبب هذا غالبا أن الإمام الشاطبي حريص على أن يقدم نصائح للطلاب وينبههم إلى أمور قد يغفلوا عنها، أو يطلبوا هذا العلم مع عدم انتباهٍ لمثل هذا من الأدب والخلق، ونختار بعض الأبيات في ذلك نذكرها، فقال رحمه الله ونفعنا بعلمه:

71 وَنَادَيْتُ ألَلَّهُمَّ يَا خَيْرَ سَامِعٍ أَعِذْنِي مِنَ التَّسْمِيعِ قَوْلاً وَمِفْعَلَا

77 وَسَلِّمْ لإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ وَالأُخْرَى اجْتِهادٌ رَامَ صَوْباً فَأَمْحَلَا

78 وَإِنْ كانَ خَرْقُ فَادَّرِكْهُ بِفَضْلَةٍ مِنَ الْحِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلَا

79 وَقُلْ صَادِقًا لَوْلاَ الْوِئَامُ وَرُوحُهُ لَطَاحَ الأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلَا

80 وَعِشْ سَالِماً صَدْراً وَعَنْ غِيبَةٍ فَغِبْ تُحَضَّرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغَسَّلا

81 وَهذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتِي كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبلَا

90 وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ وَمَا يَأْتَلِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذِّلَا

91 لَعَلَّ إِلهَ الْعَرْشِ يَا إِخْوَتِي يَقِي جَمَاعَتَنَا كُلَّ الْمَكَارِهِ هُوَّلَا

92 وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَكُونُ كِتَابُهُ شَفِيعاً لَهُمْ إِذْ مَا نَسُوْهُ فَيمْحَلَا

93 وَبِاللهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتِي وَمَالِيَ إِلاَّ سِتْرُهُ مُتَجَلِّلَا

94 فَيَا رَبِّ أَنْتَ اللهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعاً مُتَوَكِّلَا

ونجد مما سبق حرص الإمام الشاطبي –رحمه الله– على تبجيل القراء، وتنبيه طلاب العلم على الأخلاق الرفيعة التي يجب أن يتمسك بها من رام هذا العلم، فرحم الله القراء وطلاب العلم رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته.

المبحث الثاني: استشهاده ببعض العلماء.

الإمام الشاطبي رحمه الله استشهد بالإمام المهدوي في باب الاستعاذة، وسبب هذا أنه يرجع إلى ما سطره الإمام المهدوي في الاستعاذة عن حمزة ونافع[1]، فقال رحمه الله:

99 وَإِخْفَاؤُهُ فَصْلٌ أَبَاهُ وَعُاتُنَا وَكَمْ مِنْ فَتىً كالْمَهْدَوِي فِيهِ أَعْمَلَا

ومنه أيضا استشهاده بابن غلبون في باب مد البدل، وسبب هذا أن ابن غلبون له مذهب خاص به وهو القصر[2]، فقال رحمه الله:

175 وَعَادً الاولَى وَابْنُ غَلْبُونَ طَاهِرٌ بِقَصْرٍ جَمِيعِ الْبَاب قَالَ وَقَوَّلَا

ومنه أيضا استشهاده بابن غلبون في إبدال همزة بارئكم للسوسي[3]:

221 وَبَارِئِكُمُ بِالْهَمْزِ حَالَ سُكُونِهِ وَقَالَ ابْنَ غَلْبُونٍ بِيَاءٍ تَبَدَّلَا

واستشهد الإمام الشاطبي برواية ابن مجاهد عن قنبل وأنه لم يأخذ بما رواه[4] فقال:

1115 وَعَنْ قُنْبُلٍ قَصْراً رَوَى ابْنُ مُجَاهِدٍ رَآهُ وَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ مُتَعَمِّلَا

ومنه استشهاده بابن الحباب وأبي الفتح فارس في صيغة التكبير وما يأتي معه[5]، فقال:

1132 وَقُلْ لَفْظُهُ اللهُ أَكْبَرْ وَقَبْلَهُ لأَحْمَدَ زَادَ ابْنُ الْحُبَابِ فَهَلَّلَا

1133 وَقِيلَ بِهَذَا عَنْ أَبِي الْفَتْحِ فَارِسٍ وَعَنْ قُنْبُلٍ بَعْضٌ بِتَكْبِيرِهِ تَلَا

ومنه نسبة الأقوال في مخارج الحروف لقائليها، فقال[6]:

1144 وَمِنْ طَرَفٍ هُنَّ الثَّلاثُ لِقُطْرُبٍ وَيَحْيَى مَعَ الْجَرْمِيّ مَعْنَاهُ قُوِّلَا

---

(1) انظر: **النشر في القراءات العشر** (1/ 252).

(2) انظر: **إبراز المعاني من حرز الأماني** (ص: 119).

(3) انظر: **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي** (ص: 78).

(4) انظر: **الوافي في شرح الشاطبية** (ص: 380).

(5) انظر: **النفحات الإلهية** (ص:626).

(6) انظر: **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري** (1/ 63).

ومن خلال ما سبق نجد استشهاد الإمام الشاطبي ببعض العلماء في منظومته المباركة، وهذا راجع إلى مسائل علمية تتعلق بهم سواء من نسبة رواية إلى قائلها أو بيان مذهب أحدهم، وهذا يدور بين مسائل الرواية والدراية، فرحمهم الله جميعا.

المبحث الثالث: التوجيه

الإمام الشاطبي له عناية ببعض التوجيهات، فكان رحمه الله ينتقي من التوجيه ما يخدم الكلمات التي يذكرها، فالإمام لم يكن من منهجه توجيه كل شيء، وإنما يذكر التوجيه الذي يراه أنه لا بد منه، وهذا مما زادته الشاطبية على الطيبة، فوجه إظهار "يحزنك كفره" بسبب إخفاء النون قبل الكاف الأولى[1]، ووجه الكلمات التي فيها خلاف بين الإظهار والإدغام وعلل الإظهار بعلة الحذف الذي حصل في الكلمة، وعلة الإدغام للتماثل[2]، فقال رحمه الله:

122 وَقَدْ أَظْهَرُوا فِي الْكَافِ يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِذِ النُّونُ تُخْفَى قَبْلَهَا لِتُجَمَّلَا

123 وَعِنْدَهُمُ الْوَجْهَانِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَسَمَّى لِأَجْلِ الْحَذْفِ فِيهِ مُعَلَّلَا

124 كَيَبْتَغِ مَجْزُوماً وَإِنْ يَكُ كاذِبا وَيَخْلُ لَكُمْ عَنْ عَالِمٍ طَيِّبِ الْخَلَا

ومنه بيان علة الإظهار لما حصل في الكلمة من عروض السكون أو أصل الكلمة[3]، فقال رحمه الله:

131 وَقَبْلَ يَئِسْنَ الْيَاءُ فِي اللَّاءِ عَارِضٌ سُكُونًا أَوَ اصْلاً فَهُوَ يُظْهِرُ مُسْهِلَا

ومنه ذكر علة الإظهار والإدغام[4]، فقال:

148 وَفِي جِئْتِ شَيْئًا أَظْهَرُوا لِخِطَابِهِ وَنُقْصَانِهِ وَالْكَسْرُ الاِدْغَامَ سَهَّلَا

(1) انظر: **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** (ص: 33).

(2) انظر: **شرح طيبة النشر** للنويري (1/ 326).

(3) انظر: **شرح الجعبري** (444/1).

(4) انظر: **النفحات الإلهية** (ص:87).

أشار الإمام الشاطبي إلى علة إظهار النون الساكنة مع الواو والياء في كلمة واحدة خشية التباسه بما أصله التضعيف[1]، فقال:

288 وَعِنْدَهُمَا لِلكُلِّ أَظْهِرْ بِكِلْمَةٍ مَخَافَةَ إِشْبَاهِ الْمُضَاعَفِ أَثْقَلَا

بيان الإمام الشاطبي رحمه الله إلى اللغات الواردة في الكلمة مع بيان الأصل والأشهر منهما[2]، فقال:

503 وَكَسْرُ بُيُوتٍ وَالْبُيُوتَ يُضَمُّ عَنْ حِمَى جِلَّةٍ وَجْهاً عَلَى الأَصْلِ أَقْبَلَا

أشار الإمام الشاطبي إلى الجمع بين الساكنين وأن هذا جائز، وقد ذكر الإمام أبو حيان في البحر المحيط على تأييد التقاء الساكنين فقال: "وقراءة البزي ثابتة تلقتها الأمة بالقبول، وليس العلم محصورا ولا مقصورا على ما نقله وقاله البصريون، فلا تنظر إلى قولهم: إن هذا لا يجوز"[3]، قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

532 وَفِي التَّوْبَةِ الْغَرَّاءِ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُو نَ عَنْهُ وَجَمْعُ السَّاكِنَيْنِ هُنَا انْجَلَى

ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله إلى أن الفعل لم يلزم القياس بكسر السين، وقياس (فعل) بكسر العين (يفعل) بفتح العين وهو الأكثر والمشهور، ويجوز كسر عين (يفعل) وهو لغة شذت عن القياس[4]، وأشار الإمام الشاطبي إلى ذلك بقوله:

538 وَيَحْسَبُ كَسْرُ السِّينِ مُسْتَقبِلاً سَمَا رِضَاهُ وَلَمْ يَلْزَمْ قِيَاساً مُؤَصَّلَا

ذكر الإمام الشاطبي أوجه (ها) أنها للتنبيه[5] أو أصلها همزة[6] أو احتمال كلا الوجهين لبعض القراء[7] على ما فصله الإمام رحمه الله في أبياته، فقال:

559 وَلاَ أَلِفٌ فِي هَا هَأَنْتُمْ زَكَا جَناً وَسَهِّلْ أَخَا حَمْدٍ وَكَمْ مُبْدِلٍ جَلَا

560 وَفِي هَائِهِ التَّنْبِيهُ مِنْ ثَابِتٍ هُدىً وَإِبْدَالُهُ مِنْ هَمْزَةٍ زَانَ جَمَّلَا

---

(1) انظر: **الكشف لمكي** (165/1).

(2) انظر: **تاج العروس** (4/ 457).

(3) **البحر المحيط في التفسير** (2/ 679).

(4) انظر: **الكشف لمكي** (318/1).

(5) انظر: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** (ص: 456).

(6) انظر: **إعراب القرآن للنحاس** (1/ 164).

(7) انظر: **النشر في القراءات العشر** (1/ 402).

561 وَيَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ عَنْ غَيْرِهِمْ وَكَمْ وَجِيهٍ بِهِ الْوَجْهَيْنِ لِلْكُلِّ حَمَّلَا

562 وَيَقْصُرُ فِي التَنْبِيهِ ذُو الْقَصْرِ مَذْهَباً وَذُو الْبَدَلِ الْوَجْهَانِ عَنْهُ مُسَهِّلَا

وجه الإمام الشاطبي قراءة الفعل على قراءة ابن كثير وأبي عمرو بأنه بدل أو معطوف[1]، فقال رحمه الله:

584 وَحَقًّا بِضَمِّ الْبَا فَلاَ يَحْسِبُنَّهُمْ وَغَيْبٍ وَفِيهِ الْعَطْفُ أَوْ جَاءَ مُبْدَلَا

علل الإمام الشاطبي كسر الحاء في كلمة(حليهم)[2]، فقال رحمه الله:

699 وَفِي الْكَهْفِ حُسْنَاهُ وَضَمُّ حُلِيِّهِمْ بِكَسْرٍ شَفَا وَافٍ وَالاِتْبَاعُ ذُو حُلَا

بيّن الإمام الشاطبي نوع اللام بعد حذف الألف التي دخلت على الفعل[3]، فقال رحمه الله:

744 وَقَصْرُ وَلاَ هَادٍ بِخُلْفٍ زَكَا وَفِي الْ قِيَامَةِ لاَ الأُوْلَى وَبِالْحَالِ أُوِّلَا

بيان الإمام الشاطبي توجيه قراءة الرافع(امرأتك)[4]، فقال رحمه الله:

765 وَفَاسْرِ أَنِ اسْرِ الْوَصْلُ أَصْلٌ دَنَا وَهَا هُنَا حَقٌّ إِلاَّ امْرَاتَكَ ارْفَعْ وَأَبْدِلَا

علل الإمام الشاطبي وجه قراءة حمة بكسر الياء في كلمة(بمصرخي)[5]، فقال رحمه الله:

798 وَفِي النُّورِ وَاخْفِضْ كُلَّ فِيهَا وَالأَرْضَ هَا هُنَا مُصْرِخِيَّ اكْسِرْ لِحَمْزَةَ مُجْمِلَا

799 كَهَا وَصْلٍ أَوْ لِلسَّاكِنَيْنِ وَقُطْرُبٌ حَكَاهَا مَعَ الْفَرَّاءِ مَعْ وَلَدِ الْعَلَا

نبه الإمام الشاطبي على مسألة الوقف والابتداء[6] بناء على تقدير الإعراب[7]، فقال رحمه الله:

919 وَثَانِيْ ثَلاَثَ ارْفَعْ سِوَى صُحْبَةٍ وَقِفْ وَلاَ وَقْفَ قَبْلَ النَّصْبِ إِنْ قُلْتَ أُبْدِلَا

ذكر الإمام الشاطبي التوجيه والإعراب لكلمة (ألا يسجدوا)[8]، فقال رحمه الله:

934 أَلاَ يَسْجُدُوا رَاوٍ وَقِفْ مُبْتَلىً أَلاَ وَيَا وَاسْجُدُوا وَأَبْدَأْهُ بِالضَّمِّ مُوصِلَا

(1) انظر: **البحر المحيط في التفسير** (3/ 466).

(2) انظر: **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي** (ص: 227).

(3) انظر: **تفسير الزمخشري** (4/ 659).

(4) انظر: **الحجة للقراء السبعة** (4/ 369).

(5) انظر: **تفسير البغوي** – إحياء التراث (3/ 36).

(6) انظر: **المكتفى في الوقف والابتداء** (ص: 145).

(7) انظر: **التبيان في إعراب القرآن** (2/ 977).

(8) انظر: **مشكل إعراب القرآن لمكي** (2/ 533).

935 أَرَادَ أَلاَ يَا هؤُلاَءِ اسْجُدُوا وَقِفْ لَهُ قَبْلَهُ وَالْغَيْرُ أَدْرَجَ مُبْدِلَا

936 وَقَدْ قِيلَ مَفْعُولاً وَأَنْ أَدْغَمُوا بِلا وَلَيْسَ بِمَقْطُوعٍ فَقِفْ يَسْجُدُوا وَلَا

بيان الإمام الشاطبي للأصل الصرفي للكلمة من الهمزة أو الواو أو الياء[1]، فقال رحمه الله:

1081 وَسَالَ بِهَمْزٍ غُصْنُ دَانٍ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْهَمْزِ أَوْ مِنْ وَاوٍ اَوْ يَاءٍ اَبْدَلَا

المبحث الرابع: صياغة المناظرات في بعض المواضع عن طريق رد الطعن.

الإمام الشاطبي يلجأ في بعض الأحيان إلى نقل المسائل التي حدث فيها سؤال وإجابة ونقاش إلى نظمه، وهذا يلخص المسائل المشكلة في نظم شعري بطريقة مبسطة لطلاب لهذا العلم، وهذا مما زادته الشاطبية على الطيبة، فقال رحمه الله في إدغام موضع: (ءال لوط)[2]:

126 وَإِظْهَارُ قَوْمٍ آلَ لُوطٍ لِكَوْنِهِ قَلِيلَ حُرُوفٍ رَدَّه مَنْ تَنَبَّلَا

127 بِإِدْغَامِ لَكَ كَيْدًا وَلَوْ حَجَّ مُظْهِرٌ بِإِعْلاَلِ ثَانِيهِ إِذَا صَحَّ لاَعْتَلَا

128 فَإِبْدَالُهُ مِنْ هَمْزَةٍ هَاءٌ اَصْلُهَا وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ وَاوٍ ابْدِلَا

وكذلك رحمه الله ذكر مسألة في نفس هذا السياق إشارة إلى من يريد أن يضعف هذا الوجه بالرجوع إلى رسم المصحف؛ ليرتفع الإشكال، فقال رحمه الله ونفعنا بعلمه في كلمة (الزبر، الكتاب)[3]:

582 وَبِالزُّبُرِ الشَّامِيْ كَذَا رَسْمُهُمْ وَبِالْ كِتَابِ هِشَامٌ وَاكْشِفِ الرَّسْمَ مُجْمِلَا

ومن المسائل التي دار فيها نقاش بين العلماء موضع ورد في سورة الأنعام (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) في وقوع الفاصل بين مضافين، فذكر الإمام الشاطبي رحمه الله كلام أهل العلم في نظم شعري مع استشهاده بالمصحف الشامي لتأكيده على صحة القراءة[4] فقال:

(1) انظر: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (10/ 445).

(2) انظر: **جامع البيان في القراءات السبع** (1/ 434).

(3) انظر: **مختصر التبيين لهجاء التنزيل** (2/ 385).

(4) انظر: **المقنع في رسم مصاحف الأمصار** (ص: 107).

670 وَزَيَّنَ فِي ضَمٍّ وَكَسْرٍ وَرَفْعُ قَتْ لَ أَوْلاَدِهِمْ بِالنَّصْبِ شَامِيُّهُمْ تَلَا
671 وَيُخْفَضُ عَنْهُ الرَّفْعُ فِي شُرَكَاؤُهُمْ وَفِي مُصْحَفِ الشَّامِينَ بِالْيَاءِ مُثِّلا
672 وَمَفْعُولُهُ بَيْنَ الْمُضَافَيْنِ فَاصِلٌ وَلَمْ يُلْفَ غَيْرُ الظَّرْفِ فِي الشِّعْرِ فَيْصَلَا
673 كَلِلَّهِ دَرُّ الْيَوْمَ مَنْ لاَمَهَا فَلا تَلُمْ مِنْ مُلِيمِي النَّحْوِ إِلاَّ مُجَهِّلَا
674 وَمَعْ رَسْمِهِ زَجَّ الْقَلُوصَ أَبِي مَزَا دَةَ الْأَخْفَشُ النَّحْوِيُّ أَنْشَدَ مُجْمِلَا

ومما سبق يتبين بجلاء لقارئ نظم الشاطبية على قدرة الإمام رحمه الله في تلخيص المسائل التي دار فيها نقاش في أسلوب شعري يتميز بالسهولة ودقة الألفاظ مما يسهل جمع خيوط المسألة في مكان واحد تسهيلا على طلبة هذا العلم، فرحم الله الإمام الشاطبي رحمة واسعة.

المبحث الخامس: القراءات

زادت الشاطبية على الطيبة وجه الاختلاس في كلمة (يأته) لهشام[1]، فقال رحمه الله:

162 وَقُلْ بِسُكُونِ الْقَافِ وَالْقَصْرِ حَفْصُهُمْ وَيَأْتِهْ لَدَى طه بِالِاسْكَانِ يُجْتَلَا
163 وَفِي الْكُلِّ قَصْرُ الْهَاءِ بَانَ لِسَانُهُ بِخُلْفٍ وَفِي طَهَ بِوَجْهَيْنِ بُجِّلَا

زادت الشاطبية على الطيبة[2] مذاهب غير معمول بها في باب وقف حمزة وهشام على الهمز، وأشار إليها الإمام الشاطبي بقوله:

253 وَمَنْ لَمْ يَرُمْ وَاعْتَدَّ مَحْضاً سُكُونَهُ وَأَلْحَقَ مَفْتُوحاً فَقَدْ شَذَّ مُوغِلَا
254 وَفِي الْهَمْزِ أَنْحَاءٌ وَعِنْدَ نُحَاتِهِ يُضِيءُ سَنَاهُ كُلَّمَا اسْوَدَّ أَلْيَلَا

ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله بابا لم يذكر مثله ابن الجزري في الطيبة، فقال رحمه الله:

باب الإظهار والإدغام

255 سأَذْكُرُ أَلْفَاظًا تَلِيهَا حُرُوفُهَا بِالِاظْهَارِ وَالإِدْغَامِ تُرْوَى وَتُجْتَلَا
256 فَدُونَكَ إِذْ فِي بَيْتِهَا وَحُرُوفَهَا وَمَا بَعْدُ بِالتَقْيِيدِ قُدْهُ مُذَلَّلَا

(1) انظر: **متن الطيبة** بيت رقم (156).
(2) انظر: **متن الطيبة** بيت رقم (240) وما بعده إلى نهاية الباب.

257 سَأُسْمِي وَبَعْدَ الْوَاوِ تَسْمُو حُرُوفُ مَنْ تَسَمَّى عَلَى سِيمَا تَرُوقُ مُقَبَّلَا

258 وَفِي دَالِ قَدْ أَيْضًا وَتَاءِ مُؤَنَّثٍ وَفِي هَلْ وَبَلْ فَاحْتَلْ بِذِهْنِكَ أَحْيَلَا

ومن زيادات الشاطبية على الطيبة: تفصيل الإمام الشاطبي للمتفق على إدغامه في الصغير فقال رحمه الله:

باب اتفاقهم في إدغام إذ وقد وتاء التأنيث وهل وبل

274 وَلاَ خُلفَ فِي الإِدْغَامِ إِذْ ذَلَّ ظَالِمٌ وَقَدْ تيَّمَتْ دَعْدٌ وَسِيماً تَبَتَّلَا

275 وَقَامَتْ تُرِيْهِ دُمْيَةٌ طِيْبَ وَصْفِهَا وَقُلْ بَلْ وَهَلْ رَاهَا لَبِيْبٌ وَيَعْقِلَا

276 وَمَا أَوْلُ الْمِثْلَينِ فِيهِ مُسَكَّنٌ فَلا بُدَّ مِنْ إِدْغَامِهِ مُتَمَثِّلا

زادت الشاطبية على الطيبة[1] في جواز أوجه الروم والإشمام عند أهل اللغة، وبيان نوع الحركات فقال رحمه الله:

371 وَلَمْ يَرَهُ فِي الْفَتْحِ وَالنَّصْبِ قَارِئٌ وَعِنْدَ إِمَامِ النَّحْوِ فِي الْكُلِّ أُعْمِلَا

372 وَمَا نُوِّعَ التَّحْرِيكُ إِلاَّ لِلاَزِمٍ بِنَاءً وَإِعْرَاباً غَدَا مُتَنَقِّلَا

إثبات الخلاف لهشام في الحالين في ياءات الزوائد وهذا مما زادته الشاطبية على الطيبة[2]، فقال رحمه الله:

421 وَتَثْبُتُ فِي الْحَالَيْنَ دُرًّا لَوَامِعا بِخُلْفٍ وَأُولَى النَّمْلِ حَمْزَةُ كَمَّلَا

زادت الشاطبية على الطيبة[3] فتح الدال لقنبل، فقال رحمه الله:

714 وَفِي مُرْدِفِينَ الدَّالَ يَفْتَحُ نَافِعٌ وَعَنْ قُنْبُلٍ يُرْوَى وَلَيْسَ مُعَوَّلَا

زادت الشاطبية على الطيبة[4] الياء في كلمة(تبوءا) لحفص، فقال رحمه الله:

751 مَعَ الْمدِّ قَطْعُ السِّحْرِ حُكْمٌ تَبَوَّءا بِيَا وَقْفُ حَفْصٍ لَمْ يَصِحَّ فَيُحْمَلَا

(1) انظر: **متن الطيبة** بيت رقم (351) وما بعده.

(2) انظر: **متن الطيبة** بيت رقم (404).

(3) انظر: **متن الطيبة** بيت رقم (656) وما بعده.

(4) انظر: **إبراز المعاني من حرز الأماني** (ص: 509).

زادت الشاطبية على الطيبة[1] سكون التاء وفتح الباء وتشديد النون في كلمة(تتبعان) لابن ذكوان، فقال رحمه الله:

752 وَتَتَّبِعَانِ النُّونُ خَفَّ مَدًّا وَمَـ ـاجَ بِالْفَتْحِ وَالإِسْكَانِ قَبْلُ مُثَقَّلَا

زادت الشاطبية على الطيبة[2] حذف الهمزة في كلمة(شركائي) للبزي، فقال رحمه الله:

808 وَيُنْبِتُ نُونٌ صَحَّ يَدْعُونَ عَاصِمٌ وَفِي شُرَكَايَ الْخُلْفُ فِي الْهَمْزِ هَلْهَلَا

زادت الشاطبية على الطيبة[3] إمالة السين في كلمة(نحسات) لأبي الحارث، فقال رحمه الله:

1015 وَإِسْكَانُ نَحْسَاتٍ بِهِ كَسْرُهُ ذَكَا وَقَوْلُ مُمِيلِ السِّينِ لِلَّيْثِ أُخْمِلَا

زادت الشاطبية على الطيبة[4] التنبيه على بعض الأمور التجويدية من وصل آخر السورة بالتكبير، فقال رحمه الله:

1130 وَمَا قَبْلَهُ مِنْ سَاكِنٍ أَوْ مُنَوَّنٍ فَلِلسَّاكِنَيْنِ اكْسِرْهُ فِي الْوَصْلِ مُرْسَلَا

1131 وَأَدْرِجْ عَلَى إِعْرَابِهِ مَا سِوَاهُمَا وَلاَ تَصِلَنْ هَاءَ الضَّمِيرِ لِتُوصَلاَ

المبحث السادس: رسم المصحف

اهتم الإمام الشاطبي رحمه الله في منظومته برسم المصحف ويظهر ذلك جليا في بعض الأمثلة التي أشار إليها ومنها حديثه عن كلمة (الزبر، الكتاب)[5]:

582 وَبِالزُّبُرِ الشَّامِيْ كَذَا رَسْمُهُمْ وَبِالْـ كِتَابِ هِشَامٌ وَاكْشِفِ الرَّسْمَ مُجْمِلَا

ومنه ذكره كيفية كتابة كلمة (شركاؤهم) في المصحف الشامي فقال رحمه الله:

670 وَزَيَّنَ فِي ضَمٍّ وَكَسْرٍ وَرَفْعُ قَتْـ لَ أَوْلاَدِهِمْ بِالنَّصْبِ شَامِيُّهُمْ تَلَا

---

(1) انظر: **متن الطيبة** بيت رقم (685).

(2) انظر: **متن الطيبة** بيت رقم (720) وما بعده إلى نهاية السورة.

(3) انظر: **متن الطيبة** باب الفتح والإمالة بداية من بيت رقم (278) إلى نهاية الباب.

(4) انظر: **متن الطيبة** باب التكبير بداية من بيت رقم (1000) إلى نهاية الباب.

(5) انظر: **مختصر التبيين لهجاء التنزيل** (2/ 385).

671 وَيُخْفَضُ عَنْهُ الرَّفْعُ فِي شُرَكَاؤُهُمْ وَفِي مُصْحَفِ الشَّامِينَ بِالْيَاءِ مُثِّلا

ومنه إشارته إلى رسم المصحف في كلمة (لإيلف) [1] فقال رحمه الله:

1118 وَصُحْبَةُ الضَّمَّيْنِ فِي عَمَدٍ وَعَوْا لِإِيلَافِ بِالْيَا غَيْرُ شَامِيِّهِمْ تَلَا

1119 وَإِيلَافِ كُلٌّ وَهْوَ فِي الْخَطِّ سَاقِطٌ وَلِي دِينِ قُلْ فِي الْكَافِرِينَ تَحَصَّلَا

(1) انظر: **مختصر التبيين لهجاء التنزيل** (5/ 1322).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فهذا أوان تسجيل نتائج وتوصيات البحث بعد رحلة عشتها في كتابته، فأقول مستعينا بالله:

أولا: نتائج البحث:

- حرص الإمام الشاطبي رحمه الله على تقديم النصائح لطلاب العلم، وحثّ على التمسك بالآداب والأخلاق لدى طلاب العلم، واهتمّ الإمام الشاطبي رحمه الله بتبجيل القراء.
- استشهد الإمام الشاطبي ببعض العلماء في منظومته، وهذا راجع إلى مسائل علمية تتعلق بهم سواء من نسبة رواية أو بيان مذهب، وكانت له عناية خاصة ببعض الكلمات الفرشية أو الأصولية من ناحية التوجيه.
- تنوع التوجيه عند الإمام الشاطبي بين أصل الاشتقاق، أو بيان لغة واردة، أو بيان أصل الكلمة، أو إعراب إلى غير ذلك، وجاء في متن الشاطبية بعض المسائل التي دار فيها خلاف بين الأئمة.
- تنوعت زيادات الشاطبية على الطيبة في الأصول والفرش، وجاء في الشاطبية إشارات إلى رسم المصحف.

ثانيا: توصيات البحث:

أوصي الباحثين بـ:

- جمع زيادات المنظومات في القراءات على طيبة النشر، والمقارنة بينها.
- جمع زيادات بعض الكتب في القراءات السبع، ودراستها دراسة استقرائية مقارنة.

وأسأل الله أن يجنبنا الخطأ والزلل ويغفر لي ولوالدي والمسلمين أجمعين الأحياء منهم والأموات.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع.

1. **إبراز المعاني من حرز الأماني**، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت:665هـ)، دار الكتب العلمية.
2. **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت: 1117هـ)، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، ط:3، 2006م.
3. **إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1 ، 1421 هـ.
4. **إنباء الغمر بأبناء العمر**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، المحقق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1969م.
5. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط: 1، 1982م.
6. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: 1420 هـ.
7. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار المعرفة – بيروت.
8. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان/ صيدا.
9. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت:1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
10. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت:748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، 2003 م.

11. **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت:616هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
12. **التكملة لكتاب الصلة**، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت:658هـ)، المحقق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، سنة النشر: 1415هـ- 1995م.
13. **جامع البيان في القراءات السبع**، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت:444هـ)، جامعة الشارقة – الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، ط:1 ، 1428 هـ - 2007م.
14. **جمال القراء وكمال الإقراء**، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت:643هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق – بيروت، ط: 1، 1997م.
15. **الحجة للقراء السبعة**، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت:377هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق/ بيروت، ط:2، 1413 هـ - 1993م.
16. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت:756هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
17. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ط: 2، 1972م.
18. **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي** (وهو شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي)، أبو القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (ت:801هـ)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: 3، 1954م.
19. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت:748هـ)، دار الحديث- القاهرة، ط: 2006م.
20. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت:1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط: 1، 1986 م.

21. **شرح الجعبري على متن الشاطبية**، المسمى كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، إبراهيم بن عمر الجعبري، دراسة وتحقيق فرغلي سيد عرباوي، القاهرة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، عام 2011م.
22. **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (ت:857هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط:1 ، 2003 م.
23. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت:902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
24. **طبقات الحفاظ**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1403هـ.
25. **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.
26. **الفتح المواهبي في ترجمة الإمام الشاطبي**، شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت923هـ)، تحقيق: إبراهيم بن محمد الجرمي، دار الفتح، عَمّان – الأردن، ط1، 2000م.
27. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:3، 1407 هـ.
28. **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1394هـ.
29. **مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، المحقق: محمد تميم الزغبي، دار الهدى، جدة، ط: 1، 1414هـ - 1994م.
30. **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الأندلسي (ت:496هـ)، مجمع الملك فهد - المدينة المنورة، 1423 هـ - 2002 م.
31. **مشكل إعراب القرآن**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت:437هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:2، 1405هـ.
32. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت:510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط:1، 1420 هـ.

33. **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1993.

34. **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط: 2، 1995 م.

35. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1997م.

36. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: 761هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط: 6، 1985م.

37. **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، المحقق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

38. **المكتفى في الوقف والابتدا**، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط: الأولى 1422 هـ - 2001 م.

39. **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.

40. **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (ت: 1409هـ)، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط: الثانية.

41. **الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي(ت: 1403هـ)، مكتبة السوادي للتوزيع، ط: الرابعة، 1412 هـ - 1992 م.

42. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY
VOL. (1)- Issue 1 Jan 2023 المجلد الأول -العدد الأوّل يناير

موقف المستشرقين من جمع عثمان (رضي الله عنه) للقرآن الكريم بين الإجحاف وقليل من الإنصاف

Pendirian Orientalis Terhadap Pengumpulan Mushaf Uthmani; Penyelewengan dan Ketidakadilan

أحمد بن محمد الشرقاوي

جامعة الأزهر، مصر

sharkawe2000@yahoo.com

الملخص

جَمْعُ القرآن بِنَسْخه في المصاحف وتوزيعها على الأمصار من أعظم الأعمال التي تمت في عهد أمير المؤمنين الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبإشرافه المباشر، ليضاف إلى سجلِّ إنجازاته الأخرى وفتوحاته الكبرى رضي الله عنه، بيد أن هذا الجمع الرائع لم يسلم من هجوم المعادين للإسلام من المستشرقين، وتشغيبهم حوله وتشكيكهم في أهدافه وأهميته، والتقليل من قيمته، وفي هذا البحث عرض لشبهاتهم وردٌّ علميٌّ عليها، مع الاستشهاد بمواقف مشرقة للمنصفين من المستشرقين، حيث بيَّنت أهم شبهاتهم التي أثاروها، ومنها التشكيك في غرض عثمان من جمع القرآن، والطعن في اللجنة التي شكّلها وأدّت دورا على أتمّ وجه، وكذلك التشغيب على حرق عثمان للمصاحف، والتشغيب بالمصاحف الفردية التي كانت موجودةً أثناء الجمع، إلى جانب الطعن في ترتيب القرآن، ورسم المصحف العثماني، مع الزعم بأن فقرات من القرآن ضاعت، وادعاء وجود أشياء في القرآن ليست منه، وقدحهم في قيمة المصحف الإمام. وقد بينتُ ذلك وفنّدته وناقشت وأبطلت دعواهم جواز قراءة القرآن بالمعنى، وكشفتُ عن وسائلهم المجانبة للدقة والأمانة والموضوعية، ومنها: تشكيكهم في الروايات الصحيحة، في مقابل احتفائهم بالروايات الضعيفة، واحتجاجهم دائما بتناقض بعض المرويات، وتعويلهم على بعض أقاويل الرافضة التي لا مستند لها.

كلمات مفتاحيّة: جمع القرآن، عثمان بن عفان، مستشرق.

Abstrak

Pengumpulan al-Quran dengan menyalinnya menjadimushaf kemudian menyebarkannya ke wilayah-wilayah adalah salah satuusaha terbesar yang berlaku pada zaman pemerintahan *Amirul Mukminin*, *Khalifahal-Rasyid*, U thman bin Affan semoga Allah mere .dhainyaUsaha ini dibawah seliaan langsung beliau, untuk ditambahkan ke dalam rekod pencapaian lain dan penaklukan besar beliau. ,Namun naskhah yang indah ini tidak terlepas daripada serangan musuh Islam,orientalis . Mereke berusaha meragu-ragukan objektif dankepentingannya , serta meremehkan nilainya. Dalam penyelidikan ini, dibentangkan keraguan-keraguan mereka dan jawapan balas secara ilmiah terhadap tuduhan mereka, dengan mendatangkan petikan pendirian para orientalis yang adil, di mana saya menyatakan keraguan-keraguan utama yang mereka timbulkan; mempersoalkan tujuan Uthman mengumpulkan al-Quran, tuduhan buruk terhadap jawatankuasa yang dibentuk, keraguan mengenai pembakaran al-Quran oleh Uthman, keraguan berkaitan mushaf milik peribadi yang wujud semasa pengumpulan al-Quran, cubaan memburukkan susunan al-Quran dan *rasm al-Uthmani*, dakwaan bahawabeberapa perenggana ,l-Quran telah hilang dakwaan bahawa terdapatkandunganal-Quran yang bukan daripadanya , serta mengkritik nilai*Mushaf al-.Imam* Sayamembentangkan perkara tersebut ,menyangkalnya , membincangkan dan membatalkan dakwaan mereka bahawa dibenarkan membaca Al-Quran dengan makna, dan mendedahkan cara merekamenyelewengkan ,ketepatan kejujuran dan bersikapobjekti f, seperti mereka meragui riwayat yang sahih, sebaliknya mereka meraikan riwayat-riwayat yang lemah, mereka sentiasa berhujahdengan percanggahan beberapa riwayat, dan pergantungan mereka pada beberapapandangan *Syiah al-Raafidah* yang tiada sandaran.

Kata kunci: Pengumpulanal-Quran - U thmanbin Affan- Orientalis

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإن جمع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه للقرآن من أجلّ الأعمال وأعظم الإنجازات التي وُفّق إلى إتمامها، هذا العمل العظيم الذي كان امتدادا وتتويجًا لجمعين سابقين، فقد جُمِعَ القرآن في عهد نبينا صلى الله عليه وسلم في صدور الرجال، وفي متون الرّقاع والصحائف، وجُمِعَ في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بمشورة وزيرِه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بين دفتي مصحفٍ واحدٍ، مخافة أن يضيع القرآن بوفاة القراء الذين استشهد منهم المئات في حروب الردة وما بعدها، وكان الجمع العثماني بإشراف زيد بن ثابت رضي الله عنه، كما كان مشرفا على الجمع البكري، ومعه صفوة من الحفاظ المشهود لهم بالحفظ والضبط، حيث تمت كتابة عددٍ من المصاحف اعتمادا على نسخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والتي كانت مودعة في بيت أم المؤمنين، حفصة بنت عمر رضي الله عنها. ملحمةٌ عظيمةٌ، وصفحاتٌ مشرقة في تاريخ الأمة، هي بحق من أعظم مآثر سلفنا الصالح، ومن أجلِّ آثارهم.

فما موقف المستشرقين من هذا العمل العظيم؟ الذي كان محلّ قبولٍ وإشادة من جميع الصحابة، والتابعين لهم بإحسانٍ؟ هل أقرّوا بهذه الفضائل، أم –كدأبهم– أغمضوا أعينهم وصمّوا آذانهم، مبادرين إلى غمط تلك الجهود؟ وهل كان فيهم منصفون؟ ينظرون بعينِ الحياد؟

لقد عُني المستشرقون بدراسة القرآن الكريم وعلومه من شتى الجوانب، وكتبوا بحوثهم في مختلف الحقول، فكان منهم المتعصبُ المتحامل في كتابته، وهذا شأن الكثير منهم، وكان منهم المنصف المعتدل، وهذا للأسف حال القليل، حيث ارتفعت أصواتُ الحاقدين على الإسلام، كما ارتفع غبار الشبهات، ومع ما أمد الله بعض المستشرقين من ذكاء حادّ وعمرٍ مديد وشهرة واسعة –كتيودود نولدكه المستشرق الألماني، الذي أفنى عمره في حقل الدراسات الإسلامية، حتى تجاوز التسعين، وأضحى كتابُه "تاريخ القرآن" مرجعًا أساسيًّا للمستشرقين، إلا أنهم للأسف ضيّعوا الأعمار سدى، وأحبطوا الجهود حين ساروا على غير هدى، وبددوا الإمكانات الهائلة التي أُغدقت عليهم، وأهدروا الطاقات الجبارة التي أتيحت لهم، حين تشبثوا بأفكارٍ مسبقةٍ، فبدأوا من حيث انتهوا، كمن يدور في حلقة مفرَغة. فلم يتخذوا من الحقيقةِ هدفًا، ولم تكن الموضوعية مسلكَهم، مما أفقدهم المصداقية لدى الباحثين المسلمين المدققين.

وبحثي هذا حول موقفهم من جمع القرآن في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد اجتهدت في الرجوع إلى كتبهم، وتحليل أقوالهم، بعين الإنصاف، والله أسأل أن يوفقني للصواب ويجنبني الزلل.

وتبرز أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

1. الموضوع يتعلق بحلقة أساسية ومرحلة جوهرية في تاريخ القرآن الكريم، ويتناول عملا جليلا متعلقا بحفظه وتوثيقه.
2. إن جمع القرآن من أكثر الموضوعات التي لقيت هجوما ضاريا من قبل أعداء الأمة، وقد ظهر هذا جليا في حجم الشبهات التي أثارها المستشرقون، سيّما حول عمل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما عن أسباب الاختيار، فكما يأتي:

1. إن هذا الموضوع رغم أهميته وكثرة ما أثير حوله وكثرة الردود، يحتاج لجمع شتاته وترتيبه.
2. اهتمامي بالرد على شبهات أعداء الإسلام حول القرآن، كما في كتابي: الكتب السابقة في القرآن الكريم، والمرأة في القصص القرآني، وحقوق المرأة في السنة، وظاهرة الرعب من الإسلام، وغيرها.
3. رغبة مني في نشر هذا الموضوع بمجلتكم الميمونة.

أهداف البحث

1. بيان مدى عناية الأمة بكتاب ربها تلاوة وحفظا، وكتابة واستظهارًا.
2. الحديث عن مرحلة من أهم المراحل في تاريخ القرآن الكريم ألا وهى مرحلة الجمع، كيف هدى الله خيرَ جيل وأول رعيل، ووفّق ثالث الخلفاء ومن معه من الصحابة الكرام وكبار التابعين إلي تلك المهمة الجليلة الشأن، العظيمة الأثر.
3. الرد على شبهات أعداء الإسلام التي أثاروها حول جمع القرآن الكريم معتمدين على مرويات باطلة وظنون وأوهام كاذبة.
4. الإجابة عن كثير من التساؤلات التي تتردد في أذهان كثير من طلاب العلم والباحثين عن الحق. ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [سورة الحج: 54-55].

الدراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة تناولت شبهات المستشرقين حول الجمع من أهمها:

أولا: **كتب علوم القرآن المعاصرة:** وفي مقدمتها كتاب د. صبحي الصالح، ومناهل العرفان للشيخ عبد العظيم الزرقاني، وكذلك مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان، وغيرها.

ثانيا: **كتب في تاريخ القرآن:** مثل كتاب: تاريخ القرآن الكريم، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي، (ت1400هـ)، وتاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين.

ثالثا: **كتب وبحوث مؤلفة في جمع القرآن خاصة:**

جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، د. علي بن سليمان العبيد، وجمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، وجمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، وجمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)، د.أكرم عبد خليفة حمد الدليمي.

رابعا: **كتب مؤلفة في الرد على المستشرقين** وغيرهم من أعداء الإسلام حول جمع القرآن، ومنها:

رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، د. عبد الفتاح شلبي. والقراءات في نظر المستشرقين والملحدين، الشيخ عبد الفتاح القاضي. والمستشرقون والقرآن دراسة نقدية، عمر لطفي العالم. والاستشراق والقرآن العظيم، د. محمد خليفة.

خامسا: **مصادر للمستشرقين تناولت جمع القرآن:**

1. The Collection of the Qur'an جمع القرآن. Cambridge University Press, first published.Cambridge, England. Burton . J
2. Bell's, Introduction to the Quran,مدخل إلى القرآن Revised by Montgomery Watt .Chicago:Eduinburghat The University Press1963 .
3. The history of Quraan,تاريخ القرآن By Tuoddor Noledkah.
4. حضارة العرب، جوستاف لوبون، غوستاف ت ١٩٣١ م ترجمة :عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي نابلس، ط ٤، ١٩٦٤ م.
5. تدوين القرآن، س ،كانون. ترجمة: مالك مسلماني.
6. مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، ت ١٩٢١م.
7. مقدمة في القرآن، جفري، آرثر ت ١٩٥٩م مقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داود، ١٩٣٦م.
8. القرآن: نزوله تدوينه، ترجمته وتأثيره، بلاشير، ريجيس ت ١٩٧٣م ترجمة: رضا سعادة.

وسيكون دوري هنا بعد الاطلاع على كل هذه المؤلفات وغيرها، رصد الشبهات وعرضها، والرد عليها، ردا علميا موضوعيا، مع ذكر آراء المنصفين من المستشرقين.

خطة البحث:

سيتكون البحث بعد المقدمة من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شبهات المستشرقين حول جمع عثمان وأساليبهم في ذلك. وهو في ستة مطالب: المطلب الأول: التشكيك في غرض عثمان من جمع القرآن، والطعن في اللجنة التي جمعت القرآن. المطلب الثاني: التشغيب على حرق عثمان للمصاحف، والتشغيب بالمصاحف الفردية التي كانت موجودة أثناء الجمع. المطلب الثالث: الطعن في ترتيب القرآن، والطعن في رسم المصحف العثماني. المطلب الرابع: الزعم بأن فقرات من القرآن ضاعت، مع ادعاء وجود أشياء في القرآن ليست منه. المطلب الخامس: دعوى جواز قراءة القرآن بالمعنى. المطلب السادس: الطعن في قيمة المصحف الإمام.

المبحث الثاني: وسائل المستشرقين وهو أربعة مطالب: المطلب الأول: التشكيك في الروايات الصحيحة. المطلب الثاني: الاعتماد على الروايات الضعيفة. المطلب الثالث: دعوى تناقض المرويات. المطلب الرابع: الاعتماد على بعض أقاويل الرافضة.

المبحث الثالث: مستشرقون منصفون.

الخاتمة. وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

سأسلك المنهج التحليلي النقدي الذي يعنى باستقراء ما كتب حول الموضوع من جهود وشبه وردود، ثم النظر في ذلك ورد الشبه ونقدها. وسأعمد إلى الرجوع إلى كتب المستشرقين، للنقل عنها مباشرة، مع دراستها بموضوعية، مع التزام أدب الحوار. ولن أقف كعادة الباحثين أمام تعريف الاستشراق، فهو واضحٌ لا يحتاج لتوضيح، ولكني سأجتهد من خلال البحث أن أبرز صورته وأبيّن أهدافه وأساليبه.

- كتبت الآيات بالخط الإملائي ليسهل تداول البحث وقراءته على جميع الأجهزة والتطبيقات.
- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما، وإن لم يكن بهما توسعت في التخريج وبيان الحكم عليه.
- لم أترجم للمشاهير من الأعلام، اختصارا.

المبحث الأول
شبهات المستشرقين حول جمع عثمان وأساليبهم في ذلك.

المطلب الأول: التشكيك في غرض عثمان من جمع القرآن، والطعن في اللجنة التي جمعت القرآن.
أولا: التشكيك في غرض عثمان من جمع القرآن

ما كان جمع عثمان رضي الله عنه إلا امتدادا للجمع في العهد النبوي، وجمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد مسّت الحاجة إلى هذا العمل العظيم، وكثرت الدواعي له؛ فكان صاحب فكرة الجمع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهو أعلم الصحابة بالفتن والمخاطر التي تحدِّق بالأمة، كان معنيًّا بذلك؛ فهو القائل "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي..."[1].

وجاءت قصة هذا الجمع في كتب الصحيحين: عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، عن حُذَيْفَةَ بْن اليَمَانِ، رضي الله عنه قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ[2].

وروى ابن أبي داوود في المصاحف بسنده عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَامَ عُثْمَانُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ عَهْدُكُمْ بِنَبِيِّكُمْ مُنْذُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَنْتُمْ تَمْتَرُونَ فِي الْقُرْآنِ، وَتَقُولُونَ قِرَاءَةُ أُبَيٍّ وَقِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ! يَقُولُ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا تُقِيمُ قِرَاءَتُكَ؛ فَأَعْزِمُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ لَمَّا جَاءَ بِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْوَرَقَةِ وَالْأَدِيمِ فِيهِ الْقُرْآنُ، حَتَّى جَمَعَ مِنْ ذَلِكَ كَثْرَةً، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَدَعَاهُمْ رَجُلًا رَجُلًا فَنَاشَدَهُمْ: لَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَمْلَاهُ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ عُثْمَانُ، قَالَ: مَنْ أَكْتَبُ النَّاسِ؟ قَالُوا: كَاتِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ أَعْرَبُ؟ قَالُوا: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ قَالَ عُثْمَانُ: فَلْيُمْلِ سَعِيدٌ وَلْيَكْتُبْ زَيْدٌ، فَكَتَبَ زَيْدٌ، وَكَتَبَ مَصَاحِفَ فَفَرَّقَهَا فِي النَّاسِ، فَسَمِعْتُ

(1)- صحيح البخاري ك المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (4/ 199)، صحيح مسلم ك الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (3/ 1475) 51 - (1847).

(2)- صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن حديث 4702.

بَعْضَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: قَدْ أَحْسَنَ"[1]. ويدلُّ هذا الحديث على مشاركة أمير المؤمنين عثمان بنفسه، وتشدُّده في الأمر.

وقد زعم بلاشير[2] وغيره أن عثمان إنما سعى إلى تحقيق هذا العمل العظيم بدافع من نزعته "الأرستقراطية"، فلم يجمع كتاب الله -بزعمهم- إلا باسم الطبقة "الأرستقراطية" المكية التي كان خير ممثل لها؟[3] ولا أدري أي ارستقراطية يتكلم عنها هذا المستشرق الفرنسي، وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كانوا يومًا كذلك، بل كانوا إخوة متحابين، لا طبقيّة ولا عنصريّة ولا استعلاء.

ويرد عليه د. صبحي الصالح فيقول: "إن اختلاف المسلمين في قراءة القرآن كان الباعث الأساسي على أمر عثمان باستنساخ صحف حفصة وجمعها في مصاحف. فلا مستند لبلاشير وغيره من المستشرقين في التشكيك بنيات عثمان في جمع القرآن، فمن أين لهم أن هذا الخليفة إنما سعى إلى تحقيق هذا العمل العظيم بدافع من نزعته "الأرستقراطية"؟[4]

ثانيا: الطعن في اللجنة التي جمعت القرآن.

يذهب الخيال الواسع ببلاشير كل مذهب، فيسرف في وصف الرهط القرشيين الثلاثة "بالأرستقراطية"، كما وصف بها عثمان من قبل- وما ندري أي أرستقراطية؟ ويشير بعد ذلك إلى صلات المصاهرة بين هؤلاء الرهط وبين عثمان، فجمعت بينهم -بزعمه- المصالح المشتركة، فما كان أحد منهم يتصور أن يتم جمع القرآن واستنساخ المصحف في غير مكة مدينتهم الغالية. ولكي يتم بلاشير نسج هذه القصة الخيالية يجعل ثالثة الأثافي موافقة زيد للمكيين الثلاثة وتملّقه لهم، لعلمه أن زيدا كان مدنيا أبعد ما يكون عن النزعة الأرستقراطية".[5]

وهذا الكلام يكاد -لتهافته وتناقضه- يكذب آخرُه أوله. فحسبنا هذا التكلف في إشراك زيد المدني في خطة المكيين الثلاثة دليلا على فساد هذا الاستنتاج الذي لا يستند إلى عقل ولا نقل. وقد اعترف كثير من المستشرقين بورع أعضاء اللجنة واحتياطهم في نسخ المصاحف. ونذكر على سبيل المثال قول بلاشير: "لا يسع

---

(1)- كتاب المصاحف، أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت 316هـ) (ص: 100). تحقيق: محمد بن عبده.

(2)- مستشرق فرنسي من أشهر كتبه تاريخ الأدب العربي وكتابه القرآن: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره- تراجع ترجمته في كتاب: المستشرقون نجيب العقيقي (309/1، 312)، ط. دار المعارف.

(3)- ريجي بلاشير :Régis Blachère مستشرق فرنسي، ولد سنة 1900 وتوفي في مدينة باريس يوم 7 أغسطس 1973، معروف باطلاعه العميق على اللغة العربية و الأدب . بلاشير، ريجي، موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بديوي، 1992م.
.1949-51.p. 57 Le Coran, Traduction Selon un essai de reclassement des sourates, "Blachere" Paris

(4)- مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: 79) .

(5)- انظر: "Blachere Intr, au Coran, 58

أحدًا الشك في عمق شعور، أعضاء اللجنة بمسئوليتهم. ولئن فاتهم منهج البحث الذي لم يكن متيسِّرا لأحد في عصرهم، فلم يفتهم الاحتياط والورع".[1]

ومن تلك الطعون الموجهة للقرآن زعم جولد تسيهر بأن الصحابة بدّلوا بعض القراءات مخافة أن تصادم العقيدة الإسلامية، فتمس تنزيه الله تعالى، يقول: "إن بعض هذه الخلافات البسيطة بين المصاحف، قد وضعت بغرض لاهوتي، أو كلامي، أو غير ذلك"، إن بعض هذه الاختلافات في القراءة، ترجع أسبابها إلى الخوف، من أن تنسب إلى الله ورسوله عبارات، قد يلاحظ فيها بعض أصحاب وجهات النظر الخاصة، ما يمسّ الذات الإلهية العالية، أو ذات الرسول، أو مما قد يرى أنه غير لائق بهذا المقام، ولهذا تغيرت القراءات من هذه الناحية؛ بسبب الأفكار التنزيهية"، ويقول أيضا: "وفي جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنص إلا انتصارات طفيفة".[2]

يعني بذلك أن الصحابة حاولوا توحيد النص وجمع الناس على قراءة واحدة؛ تحاشيا لاضطراب القراءات، وهذا الكلام مردود عليه بأن تلك المحاولات التي يتوهمها لا وجود لها، وأن القراءات الصحيحة لا يمكن أن تتناقض وهذا أمر ثابتٌ.

واستشهد بعض المستشرقين على هذا الزعم بقراءة ﴿بل عجبتُ﴾ بضم التاء هي الصحيحة وأنهم اعتمدوا قراءة ﴿عجبتَ﴾ بالفتح فرارا من نسبة العجب إلى الله لأنه في نظره يتنافى مع صفة العلم!

أما قوله تعالى ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: 12] فقد قرئ ﴿بل عجبتُ﴾ بنسبة العجب إلى الله تعالى، وهي قراءة متواترة سبعية، قال ابن مجاهد: "وَاخْتلفُوا في ضم التَّاء وَفتحهَا من قَوْله تَعَالَى ﴿بل عجبت﴾، فَقَرَأَ حَمْزَة والكسائي ﴿بل عجبت﴾ بِضَم التَّاء، وَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَعَاصِم وَابْن عَامر: ﴿بل عجبت﴾ بِفَتْح التَّاء[3].

وصفة العجب مما ثبت في السنة النبوية، عجب يليق بكمال الله وجلاله، ولا يتنافى مع علمه سبحانه، بل يدل على تعظيم الله تعالى وتعجيبه من فعل محمودٍ، غيرِ معهودٍ، أو أمر عجيب، وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (عَجِبَ اللهُ مِنْ أَقْوَامٍ يُجَاءُ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ)[4].

(1)- "Blachere, Inter, au Cor., 61" ويراجع مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح (ص: 79).

(2)- يراجع : مذاهب التفسير الإسلامي. جولدزيهر، ترجمة: د. عبد الحليم النجار. (ص5).

(3)- السبعة في القراءات، لابن مجاهد ، (ص: 547). أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ).

(4)- مسند أحمد ط الرسالة (15/ 548). وقال محققوه :" إسناده صحيح على شرط الشيخين". صحيح البخاري ك الجهاد والسير بَابُ الأُسَارَى فِي السَّلاَسِلِ (4/ 60) ح3010.

وفي الصحيح: "... فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)[1].

قال الزجاج:" وقدْ أنكرَ قومٌ هذه القراءةَ، وقالوا: الله عزّ وجل لا يعجبُ. وإنكارُهم هذا غلطٌ؛ لأنَّ القراءةَ والرِّوايةَ كثيرةٌ، والعجبُ من اللهِ عزّ وجل خلافُه من الآدميّينَ؛ كما قال: ﴿وَيمكرون ويَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 30]، و﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: 79]، و﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142]، والمكرُ من اللهِ والخداعُ خلافُه من الآدميّينَ... قال الأزهري: "... وإذا فعلَ الآدميُّونَ ما يُنكرُه اللهُ، جازَ أن يُقالَ فيه: عَجِبَ اللهُ، واللهُ قد علِمَ الشَّيء قبلَ كونه، ولكنَّ العلم الذي يلزمُ به الحجةُ يقعُ عند وقوعِ الشَّيء"[2].

المطلب الثاني: التشغيب على حرق عثمان للمصاحف، والتشغيب بالمصاحف الفردية التي كانت موجودة أثناء الجمع.

أولا: التشغيب على حرق عثمان للمصاحف.

أثار المستشرقون الشُّبه وأرجفوا في جمع عثمان رضي الله عنه، وصبّوا جام غضبهم على حرق المصاحف، حتى أقاموا مأتمًا وعويلا على تلك الصحف التي أُحْرِقت!

علما بأنه تصرُّفٌ كان بمرأى ومسمع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يعترض أحدٌ منهم، بل رضوه.

فهذا المستشرق الفرنسي بلاشير يرى أن حرق عثمان للمصاحف بعد جمعه ونسخه المصحف الإمام يعدُّ هتكا للقدسيات بإتلافه للمصاحف التي جمعت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

ويقول المستشرق البريطاني جون جيلكريست:"لا يمكن للمرء إلا أن يستغرب من الطريقة التي يحاول بها بعض المسلمين تبرير ما قام به عثمان من إحراق مصاحف كانت لها قيمة عالية في نفوس المسلمين، دون أن يخدش هذا التفكير أحاسيسهم.[4]

وللرد عليهم أقول: لما فرغ عثمان بن عفان من كتابة المصاحف قام بتحريق الصحف التي كانت في أيدي الناس، وأعاد الصحف البكرية التي أخذها من أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، حين بعث إليها: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ

---

(1)- صحيح مسلم (3/ 1624) ح 172 - (2054).

(2)- معاني القرآن وإعرابه (4؛300)، وقد نقلها عنه الأزهري في تهذيب اللغة (1 / 386)، ويراجع التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد الطيار (ص: 326)

(3)- القرآن الكريم نزوله تدوينه ترجمته تأثيره، بلاشير، ترجمة رضا سعادة ص 31

(4) - Gilchrist, John, Jam' Al-Qur'an, p-50.

عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ.[1]

وخطب أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه فقال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَغْلُوا فِي عُثْمَانَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا! [أَوْ قُولُوا لَهُ خَيْرًا] فِي الْمَصَاحِفِ وَإِحْرَاقِ الْمَصَاحِفِ، فَوَاللَّهِ مَا فَعَلَ الَّذِي فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا عَنْ مَلَإٍ مِنَّا جَمِيعًا، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ؟ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: إِنَّ قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ، وَهَذَا يَكَادُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا، قُلْنَا: فَمَا تَرَى؟ قَالَ: نَرَى أَنْ نَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، فَلَا تَكُونُ فُرْقَةٌ، وَلَا يَكُونُ اخْتِلَافٌ، قُلْنَا: فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَقِيلَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ؟ وَأَيُّ النَّاسِ أَقْرَأُ؟ قَالُوا: أَفْصَحُ النَّاسِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَأَقْرَأُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ: لِيَكْتُبْ أَحَدُهُمَا وَيُمْلِ الْآخَرُ، فَفَعَلَا، وَجُمِعَ النَّاسُ عَلَى مُصْحَفٍ،" قَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَوْ وُلِّيتُ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ.[2] وعن سُوَيْد بْن غَفَلَةَ قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ، لَوْ وُلِّيتُهُ لَفَعَلْتُ مَا فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ».[3] وعن أَحْمَد بْن سِنَانٍ، قال سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ: «خَصْلَتَانِ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لَيْسَتَا لِأَبِي بَكْرٍ وَلَا لِعُمَرَ، صَبْرُهُ نَفْسَهُ حَتَّى قُتِلَ مَظْلُومًا، وَجَمْعُهُ النَّاسَ عَلَى الْمُصْحَفِ».[4] وعن مصعب بن سعد قال: أدركت الناس حين شقَّق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعِبْ ذلك أحدٌ.[5]

قال أبو بكر بن العربي:" وأما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وخصْلتُه الكبرى، وإن كان وَجدها كاملة، لكنه أظهرها وردَّ الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها. وكان نفوذُ وعد الله بحفظ القرآن على يديه، حسبما بيَّناه في كتب القرآن وغيرها. وقال: "وأما ما روي أنه حرّقها أو خرّقها – بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة، وكلاهما جائز – إذا كان في بقائها فساد، أو كان فيها ما ليس من القرآن، أو ما نسخ منه، أو على غير نظمه، فقد سلّم في ذلك الصحابة كلهم...".[6]

وعن سالم بن عبد الله، أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كُتب منها القرآن، فتأبى حفصة أن تعطيه إياها. قال سالم: فلمَّا تُوفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن

(1)- سبق تخريجه.
(2)- المصاحف لابن أبي داود (ص: 97).
(3)- نفس المرجع (ص: 98).
(4)- نفس المرجع (ص: 69).
(5)- رواه الداني في المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار ص 18، ورواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، ص 19، ولفظه: ولم ينكر ذلك منهم أحدٌ.
(6)- العواصم من القواصم (ص 66: 71)

عمر ليُرسِلنَّ إليه بتلك الصحف، فأرسل بِها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بِها مروان فشُقِّقت، فقال مروان: إنَّما فعلتُ هذا لأن ما فيها قد كُتِب وحُفِظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمانٌ أن يرتاب في شأن هذه الصحف مُرتابٌ، أو يقول: قد كان شيءٌ منها لم يُكْتب.[1]

فالصحابة أجمعوا على ما فعله عثمان ولم يشذّ أو يعترض إلا بعض أصحاب الأهواء والزيغ، ممن نقموا على عثمان، وأثاروا الفتن في آخر عهده، وروجوا الشائعات.

ثانيا: التشغيب بالمصاحف الفردية التي كانت موجودة أثناء الجمع.

دأب بعض المستشرقين على إثارة الحديث عن موقف ابن مسعود من جمع القرآن الكريم، دون بيان ما يبرره، هدفهم إثارة هذه النقطة فحسب، دون بيان لردود العلماء عليها، يقول بلاشير عن جمع عثمان للمصحف: "غير أن هذا النص القانوني لم يفرض نفسه من دون مقاومة، وكان لهذه المقاومة طابع فردي في حياة عثمان، فإن الصحابة الذين بذلوا أنفسهم في خدمة محمد حتى التضحية بحياتهم، مثل ابن مسعود قد شعروا بالجور؛ إذ تبينوا أن نصوصهم لم تعتد أساسا للمصحف الرسمي.[2]

وتوسع آرثر جفري في ذكر الاختلافات المنسوبة إلى العديد من المصاحف الفردية للصحابة، كما جمع الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف من بعد الصحابة، التابعين فمن بعدهم، كما جمع الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف المجهولة الأصحاب.[3]

وسأكتفي هنا برد تساؤلين أثيرا حول موقف أُبَيّ بن كعب وموقف ابن مسعود رضي الله عنهما:

ما ذكروه من وجود أدعية في مصحف أُبَيّ لا وجود لها في المصحف العثماني. وللإجابة عن هذه الشبهة نقول: هذه الأدعية ليست قرآنا ولم يدَّع أُبيٌّ أنها قرآن، وشأنها شأن ما نراه في المصحف من أدعية ختم القرآن، ولقد وردت في كتب السنة: فروى البيهقي في السنن بسنده عن خالد بن أبي عمران قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على مُضَر إذ جاءه جبريل، فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك سبَّاباً ولا لعَّاناً، وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذاباً " ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، ثم علمه هذا القنوت: "اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ونؤمن بك وتخضع لك، ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد،

---

(1)- هو مروان بن الحكم بن أبي العاص، ولد سنة اثنتين من الهجرة، ولم ير النَّبِيّ، استعمله معاوية على مكة والمدينة والطائف، وبويع له بالخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية، وكانت مدة ولايته تسعة أو عشرة أشهرٍ. أسد الغابة في معرفة الصحابة (5/145،144). رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف باب جمع عثمان المصاحف ص 32، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (7/159)، وقال ابن كثير: إسنادٌ صحيح. فضائل القرآن ص 46.

(2)- القرآن، تدوينه، بلاشير 34، 35.

(3)- مقدمة آرثر جيفري لكتاب المصاحف ص 5، 6 ط 1936 المطبعة الرحمانية، القاهرة .

ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، ونخاف عذابك الجد، إن عذابك بالكافرين ملحق"[1].

كما أن القراءات المتواترة الواردة عن طريق أُبيّ والتي قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي لم ترد فيها هذه الأدعية.[2]

ولا يفوتنا أن نشير إلى مشاركة أُبيّ في الجموع الثلاثة: في العهد النبوي حيث كان من كتاب الوحي وفي عهد أبي بكر كان يملي وكان مرجعا عند الاختلاف، وكذا في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

روى ابن أبي داود في المصاحف بسنده أنهم لما جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر كان الذي يملي عليهم أُبَيّ بن كعب.[3]

وروى الطبري في تفسيره وغيره عن هانىء البربري قال كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أُبَيّ بن كعب فيها "لم يتسن" و"فأمهل الكافرين" و"لا تبديل للخلق"، قال فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم: 31] ومحا فأمهل وكتب ﴿فمهل الكافرين﴾ [الطارق:17] وكتب ﴿لم يتسنه﴾ [البقرة: 259] ألحق فيها الهاء، ولو كان ذلك مِن "يتسنى" أو "يتسنن" لما ألحق فيه أُبيّ هاء لا موضع لها فيه، ولا أمر عثمان بإلحاقها فيها.[4]

ومن الشبهات المثارة أيضا قولهم: كيف يكون جمع القرآن عن إجماع الصحابة؟ وقد عارضه ابن مسعود مع مكانته العظيمة؟ وللجواب عن ذلك نقول: إنه لم يعترض على جمع القرآن، وإنما تمنى لو كُلِّفَ به، بدلا من زيد بن ثابت ليحظى بهذا الشرف العظيم.

روى الترمذي في السنن بسنده عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله ابن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل! والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافرّ! يريد زيد بن ثابت[5]

---

(1)- سنن البيهقي ك الصلاة باب دعاء القنوت 112/2

(2)- قرأ نافع على سبعين من التابعين من بينهم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي قرأ على سعيد بن المسيب وقرأ سعيد على ابن عباس وأبي هريرة وقرأ ابن عباس وأبو هريرة على أُبَيّ بن كعب. النشرفي القراءات العشر لابن الجزري 112/1 وقرأ ابن كثير: على أبي السائب عبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي وقرأ عبد الله بن السائب على أبي بن كعب النشر 120/1. وقرأ أبو عمرو بن العلاء : على أبي العالية وقرأ أبو العالية على أُبَيّ بن كعب. نفس المرجع 133/1

(3)- المصاحف ص9.

(4)- جامع البيان للطبري 38/1 ويراجع الإتقان 1 / 538.

(5)- رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح، سنن الإمام الترمذي المجلد الرابع. أبواب تفسير القرآن، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن سورة الأنفال. الحديث رقم: 5102- والمسند لأبي يعلي 1-64.

وفي رواية لابن أبي داود: "أعزل عن المصاحف وقد أخذت مِن فِي رسول الله سبعين سورة، وزيد بن ثابت ذو ذؤابتين يلعب مع الصبيان".[1]

"والعذر لعثمان رضي الله عنه في ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد الله بالكوفة، ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر، وأيضا فإن عثمان أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر، وأن يجعلها مصحفا واحدا، وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر زيدَ بن ثابت؛ لكونه كاتب الوحي؛ فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره، كما أن زيدا كان أحفظ لكتاب الله من عبد الله".[2]

قال أبو بكر بن الأنباري "ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن وعبد الله أفضل من زيد وأقدم في الإسلام وأكثر سوابق وأعظم فضائل؛ إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وعاه كلَّه ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نيف وسبعون سورة ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ أولى بجمع المصحف وأحقُّ بالإيثار والاختيار، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود، لأن زيدا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبا لتقدمه عليه لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن، وليس هو خيرا منهما، ولا مساويا لهما في الفضائل والمناقب"[3]

كما أن عبد الله اعتذر عما بدا منه، وأقر بفضل من تولى مهمة الجمع: روى البخاري في صحيحه بسنده عن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت راداً يقول غير ذلك[4].

ورواه الطبراني بسنده عن شقيق ونصه قال "خطبنا عبد الله حين شُقَّت المصاحف والمسجد ممتلئ من أهل بدر، فقال: لقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أعلمهم بكتاب الله، قال شقيق: ثم رأيت إنه استحيا مما قال، فقال : وما أنا بخيرهم... [5] وفي هذا ما يدل على اعتذاره عما بدا منه، وتواضعه. قال ابن كثير بعد ذكره لقبول الصحابة وثنائهم على جمع عثمان: "وإنما روي عن عبد الله شيء من التغضُّب، بسبب أنه

(1)- المصاحف لابن أبي داود ص 14.

(2)- فتح الباري 9 / 19.

(3)- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 46/1.

(4)- صحيح البخاري 69 – كتاب فضائل القرآن. باب: القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. الحديث رقم: 4714 . وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما، حديث 2462.

(5)- المعجم الكبير 72/9 . ح88427.

لم يكن ممن كتب المصاحف ،لكنه رجع بعد ذلك إلى الوفاق"[1] "وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك فشيء نتيجة الغضب ولا يعمل به ولا يؤخذ به ولا يشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم، فالشائع الذائع عند أهل الرواية والنقل أن عبدالله بن مسعود تعلم بقية القرآن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2] ولقد ذكرنا من قبل المؤهلات التي هيَّأت زيدا لهذه المهمة الجليلة الشان.

المطلب الثالث: الطعن في ترتيب القرآن، والطعن في رسم المصحف العثماني.

أولا: الطعن في ترتيب القرآن.

طعن بعض المستشرقين في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، زاعمين أنَّ آيات القرآن لا يجمعها سياقٌ، ولا يضمها اتساق، حتى بلغت بهم الجرأة إلى التوصية بإعادة ترتيب القرآن وفق أسباب نزوله تيسيرًا للقارئ، وإعانة له على فهم المعنى – على حسب زعمهم الباطل وفهمهم السقيم –.

يقول المستشرق الفرنسي بلاشير: "إنَّ إعادة ترتيب السور الذي اقترحه نولدكه[3] ينال هنا كامل الأهمية؛ لأنه يلقي على المصحف أضواءً مطمئنةً، ويردُّ وضع النصوص إلى آفاق سهلة الإدراك؛ لكونها مقرونةً إلى السياق التاريخي المعقول [يعني وفق نزولها]". ويقول بلاشير أيضًا: "ويتوصل القارئ الغربي إذ ذاك بمنطق لا تكلُّف فيه إلى الاقتناع بأنَّ الحياة قد أُعيدت للمصحف، فما عاد يظهر على شكل متتابع مصطنَع وغير منتظِمٍ للنصوص، بل على شكل سلسلة من الموضوعات عالجها محمد خلال عشرين عامًا وفقًا لمقتضيات دعوته... والمهم منذ تلك اللحظة أن يقبل قارئ القرآن بالانقياد، وتدل التجربة فيما يبدو أنَّ التقيُّد بالمراحل الزمنية للترتيب الذي اقترحه نولدكه وأخذ به بعض المترجمين؛ يجعل قراءة المصحف سهلةً بل ممتعةً"[4].

ويدعي المستشرق Wansbrough أن القرآن عبارة عن أفكار مبعثرة لم تجمع بصورة جيدة وأن المصحف لم يصل إلى صورة ثابتة إلا بعد قرنين من الزمان.[5] وهكذا ردَّد أعداء الإسلام هذه الشبهة الباطلة التي تدل على عجلَةٍ في الحكم، فوق ما تُنبئ به عن سوءِ نِيَّةٍ منهم.

مِن هنا ندرك مدى أهمية دراسة الوحدة الموضوعية التي تجيب عن كثير من التساؤلات وتفنِّد العديد من الشبهات، ولقد فَطِنَ إلى ذلك واحدٌ من أهم المهتمين بهذا الجانب، وهو الأستاذ سعيد حوى رحمه الله؛ يقول

---

(1)- فضائل القرآن لابن كثير ص11.

(2)- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 46/1. بتصرف.

(3) – مستشرق ألماني ت1930م له مؤلفات عديدة منها: تاريخ النص القرآني – تراجع ترجمته في كتاب: المستشرقون للأستاذ نجيب العقيقي (2/ 379-383).

(4) – القرآن: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره بلاشير، – ترجمة: رضا سعادة. (ص23- 44).

(5)- Wansbrough Quranic Studies: Sources And Methods Scriptural Innterpretations Oxford Uni Page 47

في مقدمة كتابه (الأساس في التفسير) – ذلك الكتاب الذي يشتمل على نظرية متكاملة في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، يقول مبيّنًا سرَّ اهتمامه بهذا الموضوع –: "ولقد سُئلت أكثر من مرة مِن بعض مَن عَرَضْتُ عليهم وجهة نظري في فهمي للصلة بين الآيات والسور عن فائدة هذا الموضوع، وكنت أجيبه بأنَّ هذا الموضوع فيه ردٌّ على شبهة أعداء الإسلام الذين زعموا أنَّ هذا القرآن لا يَجمع آياته في السورة الواحدة جامعٌ ولا يَربط بين سوره رابطٌ، وذلك لا يليق بكلام البشر فكيف بكلام رب العالمين، إنها لشبهة فظيعة جدًّا أنْ يحاول محاولٌ إشعارَ مسلمٍ بأنَّ كتاب الله ينزل عن كتاب البشر في هذا الشأن، وقد استطعت بحمد الله أنْ أبرهن على أنَّ كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته؛ على طريقةٍ لم يَعرف لها العالم مثيلاً، ولا تخطر على قلب بشر[1]، لقد استطعت بهذا أنْ أردَّ السهم إلى كبد راميه من أعداء الله في هذه النقطة بالذات".[2]

وهذه حكمةٌ من حِكَم العليم الخبير أنْ يقيّض مِن أعداء الدين مَن يخدم الإسلام من حيث لا يشعرون؛ فإنَّ إثارة أعداء الإسلام لهذه الشبهة الباطلة دَفَعَ الكثير من الغيورين إلى دراسة هذا الموضوع بتعمُّق.[3]

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أَيَّد الله عز وجل بها رسوله عليه الصلاة والسلام، والخطاب الموجَّه لجميع العقول والأفهام، والعصمة والشفاء من كل داء وسِقَام، والطهارة من ظلمات الشك والأوهام، خَصَّه تعالى بنزوله مفرَّقًا حسب توالي الحوادث وتدرُّج الأحكام، وبَلَغَ الغاية في الإحكام، حتى صار ترتيبه علمًا من علومه عُني به المفسرون الكرام، وأَوْلُوه الاهتمام؛ فمِنْ خلاله نقف على وجهٍ من وجوه إعجازه لسائر الأنام، فضلاً عما في التدبر من فهمٍ للمعاني، ودفع الإيهام.

فالقرآن الكريم وإنْ نَزَلَ مفرَّقًا إلا أن المتدبِّر يجدُ فيه ترابطًا واتصالاً بين الآيات والسور، مما يزيد المعاني حُسْنًا ورونقًا، ولقد شغل هذا الترابط العلماء لدراسته وتحليله وتصنيفه، فظهر ما يسمى بعلم المناسبات كعلمٍ يختص بدراسة هذا الاتصال والنَّظْم بين الآيات والسور. قال الشيخ أبو الحسن الشهرابانى[4]: "أول من أظهر

---

(1) – قمت بدراسة هذه النظرية في رسالتي: منهج الشيخ سعيد حوى في التفسير، ولمست أهميتها، وإن لم تخل من تكلُّف، لكنها جهد مبذول في تدبُّر القرآن، وقد اشتملت على فوائد شتى.

(2) – سعيد بن ديب حوى، ت1409هـ، الأساس في التفسير (27/1).

(3) – وصدق أبو تمام في قوله: وإذا أراد الله نشر فضيـــــلة طويت أتاح لها لسان حســـود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود. ديوان أبي تمام (ص85).

(4)– علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن وضاح أَبُو الْحسن الشهرابانى، نزيل بَغْدَاد؛ الْفَقِيه الْحَنْبَلِي النَّحْوِي، الْكَاتِب الزَّاهِد. كَذَا ذكره الْحَافِظ الدمياطي فِي مُعْجَمه؛ وَأسْندَ عَنهُ حَدِيثًا؛ وَلم يذكر مولده وَلَا وَفَاته. بغية الوعاة: جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (2/ 200).

ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري[1]، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة».[2]

ولقد ذكر السيوطي في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) من ضمن وجوه الإعجاز: "الوجه الرابع من وجوه الإعجاز: مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني".[3] وقال الرازي في تفسيره لسورة البقرة: "ومَن تأمَّل في لطائف نَظْم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين مُعْرِضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل: والنجم تستصغر الأبصار صورته * والذنب للطرف لا للنجم في الصغر".[4]

وقال الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن: "والوجه الثالث من وجوه إعجازه: أنه بديع النَّظْم عجيب التأليف متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عَجْزُ الخلق عنه...". ويقول أيضًا: "فأما نَهْجُ القرآن ونَظْمه وتأليفه ورَصْفُه فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه. ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض وتستولي به على الأمد، وتصل به إلى المقصد، وتتصوَّر إعجازَه كما تتصوَّر الشمسَ وتتيقَّن تناهِي بلاغته كما تتيقن الفجر، وأقرِّب عليك الغامض وأسهِّل عليك العسير، واعلم أنَّ هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب". ثم ذكر الباقلاني نموذجًا على روعة النظم القرآني، سورة النمل، حيث بيَّن بلاغة تناسبها وحسن تآلفها.[5]

وقال الدكتور دراز: "لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات، لعمري إنه في ترتيب آياته معجزة المعجزات".[6]

---

(1)- أبو بكر عبد الله بن محمد بن زيد بن واصل النيسابوري، جمع بين علم الحديث والفقه والتقوى، وسمع من محمد بن يحيى الذهلي، والحسن بن محمد الزعفراني، وعباس الدوري، في خلق كثير، وكان من الحفاظ المتقنين. كان الدارقطني يقول: ما رأينا في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون، وكان أفقه المشايخ ت 324 هـ. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: 463هـ) تاريخ بغداد 1417هـ. (10/ 121).

(2)- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (1/ 36).

(3)- معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988م. الوجه الرابع (1/ 54)، ويراجع الإتقان (2/ 288).

(4) - مفاتيح الغيب، الرازي (ت 606 هـ). (7/ 183).

(5) - الباقلاني، أبوبكر محمد بن الطيب ت 403هـ إعجاز القرآن، (ص185، 184).

(6) - د. محمد عبد الله دراز النبأ العظيم، (ص209).

ثانيا: الطعن في رسم المصحف العثماني

يرى بعض المستشرقين أن منشأ القراءات بسبب رسم المصحف الذي كان مجردا في بدايته من النقط والشكل، مما أنشب الخلاف في قراءاته. يقول جولدزيهر عن سبب اختلاف القراءات: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي، الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط".[1] كما يزعم آرثر جفري أن اختلاف القراءات مرجعه إلى خلو المصحف من النقط والشكل.[2]

وقد غفل مثيرُ هذه الشبهة عن كون القراءات بوحي من الله وأنها مروية بأسانيدها المتواترة من فم نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة فالتابعين فتابعيهم، كما أن خلو المصاحف من النقط والضبط استوعب هذه القراءات، ولم يكن هناك تعارض أبدا بين المكتوب والمقروء، وقد أرسل عثمان مع كل مصحف قارئا يقرأه للناس، فلا تعارض بين المكتوب والمقروء، ومدار اختلاف القراءة الرواية لا الرسم.

قال ابن الجزري: "وَالْقِرَاءَاتُ الَّتِي تَوَاتَرَتْ عِنْدَنَا عَنْ عُثْمَانَ وَعَنْهُ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيٍّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ فِيهَا إِلَّا الْخِلَافُ الْيَسِيرُ الْمَحْفُوظُ بَيْنَ الْقُرَّاءِ، ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – لَمَّا كَتَبُوا تِلْكَ الْمَصَاحِفَ جَرَّدُوهَا مِنَ النُّقَطِ وَالشَّكْلِ لِيَحْتَمِلَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ مِمَّا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَإِنَّمَا أَخْلَوُا الْمَصَاحِفَ مِنَ النُّقَطِ وَالشَّكْلِ لِتَكُونَ دِلَالَةُ الْخَطِّ الْوَاحِدِ عَلَى كِلَا اللَّفْظَيْنِ الْمَنْقُولَيْنِ الْمَسْمُوعَيْنِ الْمُتَلَوَّيْنِ شَبِيهَةً بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ عَلَى كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ الْمَعْقُولَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ – رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ – تَلَقَّوْا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ جَمِيعًا، وَلَمْ يَكُونُوا لِيُسْقِطُوا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ الثَّابِتِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَا يَمْنَعُوا مِنَ الْقِرَاءَةِ بِهِ.[3]

فضلا عن كون الاختلاف في القراءات المتواترة اختلاف تنوع وثراء للمعنى، ولا يمكن أن تتناقض قراءتان صحيحتان، بل تتضافران وتتكاملان.

(1) – مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر ص 7 ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة1374 هـ-1955 م.

(2)– مقدمة كتاب المصاحف لآرثر جفري ص 6،7

(3)– النشر في القراءات العشر (1/ 33).

المطلب الرابع: الزعم بأن فقرات من القرآن ضاعت، مع ادعاء وجود أشياء في القرآن ليست منه

فهذا المستشرق (برتون) يزعم زعما باطلا أن المصحف لم يستوعب القرآن كله، وفي ذلك يقول: "المصحف ما هو إلا تسجيل منقوص غير كامل للقرآن".[1] ومن تلك الافتراءات أيضا ما ادعاه صاحب "ذيل مقالة في الإسلام [2]" أن القرآن سقط منه شيء، وأن المصحف لم يشتمل على القرآن كله، واستدل على هذا الزعم بما ورد عن النبي أنه قال (رحم الله فلانا لقد أذكرني آية كذا وكذا، وبقوله تعالى في سورة الأعلى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: 6-7] وأن عليا حذف آية المتعة وكان يضرب من يقرأها وأن أُبيّ بن كعب كان في مصحفه" اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير كله ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك[3]، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق".[4] وهذا ما تبناه المستشرقان اللذان كتبا مادة القرآن بدائرة المعارف؛ إذ ورد فيها: إنه مما لاشك فيه أن هناك فقرات من القرآن قد ضاعت.[5]

ويرى نولدكه أن أجزاء من القرآن ضاعت، فيضع في كتابه "تاريخ القرآن" هذا العنوان: "الوحي الذي نزل على محمد ولم يحفظ في القرآن".[6] حيث يزعم بأن فواتح السور ليست من القرآن، وإنما زيدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا جهل كبير وغفلة عن مئات النصوص المرفوعة التي تثبت أنها قرآن، فهناك مئات الأحاديث التي تثبت أن هذه الفواتح من القرآن، فضلا عن شذوذ قول هذا المستشرق، فلم يُسْمَعْ هذا الهراء من أحد قبله، روى الترمذي في السنن عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ).[7]

ومما استدل به المستشرقون وأذنابهم ما ورد عن رسول الله أن أحد الصحابة ذكره بآيات كان قد نسيها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي رجلا يقرأ في المسجد فقال: (يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، من سورة كذا). وفي رواية عن هشام، قال: (أسقطتهن من سورة كذا).

وفي رواية أخرى للبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله رجلا يقرأ في سورة بالليل

---

(1) -Burton /the collection of the quran cambridg p 120- 228 press 1977

(2)- منصّر أخفى اسمه وسمى نفسه باسم مستعار يتستر به هو «هاشم العربي».

(3)- مَن يَفْجُرُك: أي يَعْصِيك ويُخَالِفُك.

(4)- ملحق: الرواية بكسر الحاء: أي من نزل به عذابك ألحقه بالكفار. ويروى بفتح الحاء على المفعول: أي إن عذابك يلحق بالكفار.

(5)- انظر :القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية، ص212.

(6)- تاريخ القرآن ، نولدكه 275/1، 276 تعديل فردريك شوالي ط دار نشر جورج ألمز سنة 2000م. ويراجع القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية، د محمد ابو ليلة ، ص 212، 213.

(7)- رواه الترمذي في السنن، أبواب فضائل القرآن- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ القُرْآنِ مَالَهُ مِنَ الأَجْرِ، حديث 2910 وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. تحقيق أحمد شاكر (5/ 175)

فقال: (يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا).[1]

ومعنى أسقطتهن: أي أنسيتُهن، ولا يعني تعمُّد الإسقاط، فهذا لا ينبغي له ولا يمكن أن يقع منه، قال تعالى في سورة يونس ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس 15-17]. وإنما معنى النسيان أن هذه الآيات قد استحضرها رسول الله في ذهنه بمجرد أن سمعها، جاء في فتح الباري لابن حجر: " النسيان من النبي لشيء من القرآن يكون على قسمين : أحدهما نسيانه الذي يتذكره عن قرب، وذلك قائم بالطباع البشرية، وعليه يدل قوله في حديث ابن مسعود في السهو: (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون)[2]، والثاني أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته، وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله﴾ قال: فأما القسم الأول فعارضٌ سريعُ الزوال لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وأما الثاني فداخل في قوله تعالى ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106]". وفي الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبي فيما ليس طريقه البلاغ مطلقاً، وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين: أحدهما أنه بعدما يقع منه تبليغه، والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكره، إما بنفسه وإما بغيره. وهل يشترط في هذا الفور؟ قولان، فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلاً".[3]

وأما الزعم بأن الصحابة قد أسقطوا من القرآن ما رأوا المصلحة في ذلك: فهذا محض افتراء على صحابة رسول الله، وجهل واضح لما كانوا عليه من الاتباع والتحري والتمسك بكتاب الله والحرص والتنافس على تلاوته، واستظهاره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وفيما ذكرناه في معرض حديثنا عن الجموع الثلاث ما يؤكد مدى دقتهم وعنايتهم بكتاب الله.

قال صاحب مناهل العرفان "وأما احتجاجهم بأن الصحابة قد حذفوا من القرآن عند جمعه ما رأوا المصلحة في حذفه، ومنه آية المتعة وصيغة القنوت: فهو احتجاج باطل قائم على إهمال النصوص الصحيحة المتضافرة على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أحرص الناس على الاحتياط للقرآن وكانوا أيقظ الخلق في حراسة

(1)- صحيح البخاري 69 - كتاب فضائل القرآن. 26 - باب: نسيان القرآن، وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا؟. الحديثان رقم: 4751/4750 -

(2)- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود. صحيح البخاري أبواب القبلة. باب: التوجه نحو القبلة حيث كان. حديث رقم:392 . وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، حديث رقم: 572.

(3)- فتح الباري لابن حجر 9 /86.

القرآن، ولهذا لم يعتبروا من القرآن إلا ما ثبت بالتواتر، وردوا كل ما لم يثبت تواتره لأنه غير قطعي، ويأبى عليهم دينُهم وعقلهم أن يقولوا بقرآنية ما ليس بقطعي، وقد سبق لك ما وضعوه من الدساتير المحكمة الرشيدة في كتابة الصحف على عهد أبي بكر وكتابة المصاحف على عهد عثمان، فارجع إليها إن شئت لتعرف مدى إمعان هؤلاء المبطلين في التجني والضلال، وإذا كان هؤلاء الطاعنون يريدون أن يلمزوا الصحابة ويعيبوهم بهذه الحيطة البالغة لكتاب الله حتى أسقطوا ما لم يتواتر وما لم يكن في العرضة الأخيرة وما نسخت تلاوته، وكان يقرؤه من لم يبلغه النسخ، نقول إذا كانوا يريدون أن يلمزوا الصحابة والقرآن بذلك فالأولى لهم أن يلمزوا أنفسهم؛ لأن المسلمين كانوا ولا يزالون أكرم على أنفسهم من أن يقولوا في كتاب الله بغير علم، وأن ينسبوا إلى الله ما لم تقم عليه حجة قاطعة، وأن يسلكوا بالقرآن مسلك الكتب المحرفة والأناجيل المبدّلة، وكلمة الفصل في هذا الموضوع أن آية المتعة التي يزعمون وصيغة القنوت التي يحكمون لم يثبت قرآنيتهما حتى يكونا في عداد القرآن وإن ادعوا قرآنيتهما فعليهم البيان[1].

المطلب الخامس: دعوى جواز قراءة القرآن بالمعنى

وقد روَّج لهذه النظرية المستشرق اليهودي جولدزيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي[2] مستشهدا ببعض الآثار التي منها الضعيف ومنها الصحيح، ولكنه بحاجة لتوجيه.

وقد أنكر ابن الجزري القراءة بالمعنى ورد علي قائليها فقال: وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ كَابْنِ مَسْعُودٍ كَانَ يُجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِالْمَعْنَى فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ، إِنَّمَا قَالَ: نَظَرْتُ الْقِرَاءَاتِ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ فَاقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ، نَعَمْ كَانُوا رُبَّمَا يُدْخِلُونَ التَّفْسِيرَ فِي الْقِرَاءَةِ إِيضَاحًا وَبَيَانًا لِأَنَّهُمْ مُحَقِّقُونَ لِمَا تَلَقَّوْهُ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قُرْآنًا فَهُمْ آمِنُونَ مِنَ الِالْتِبَاسِ، وَرُبَّمَا كَانَ بَعْضُهُمْ يَكْتُبُهُ مَعَهُ.[3]

وقال الإمام الباقلاني مبينا حذر الصحابة وتشددهم في هذا الأمر: "من أدلِّ الأمر على تشدد القوم في هذا الباب وتصعُّبهم وتدينهم بقراءة القرآن على ما أقرِئوا عليه من اللّفظ دون المعنى والعملِ والاجتهاد في القراءة على غلبة الظن فيها، وأنّهم كانوا لا يَرونَ وضع الآية والكلمة منه في غير الموضع الذي وُضعت فيه، وأنّهم كانوا يُحرّمون ذلك ويأخذون أنفُسهم بترتيبه على ما أنزلَ وقراءته على ما وقفوا عليه من غير تغييرٍ ولا تبديلٍ ولا تقديمٍ ولا تأخير ولا تساهُل في القراءة بالمعنى، على كذب من ادَّعى عليهم شيئاً من ذلك واستجازته، وأنهم أجازُوا تقديم المؤخَّرِ وتأخير المقدّم، والقراءة على المعنى والاستحسان، وغالب الظن والرأي والاجتهاد،

(1)- مناهل العرفان للزرقاني 1 / 188

(2)- مذاهب التفسير الإسلامي ص 50، 51 ويراجع تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين ص 77 – 86.

(3) – النشر في القراءات العشر لابن الجزري 32/1 .

لأنّ ما يجوز فيه ذلك عندهم لا يقع فيه هذا التخاصم والتشاجر والإعظامُ له، فوجب بذلك نفيُ ما فرّقوا به الصحابةَ من ذلك وأضافوه إليهم منهم.

وكيف يستجيزون ذلك، وقد علموا أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يُعرَضُ عليه القرآن في كلِّ مرةً وظهرت الروايةُ بينهم بذلك، حتّى رووا أنّ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – كان يُعرضُ عليه القرآن في كل عام مرة، حتى كان العامُ الذي توفي فيه يُعرض عليه مرّتين، قالوا: فكأنّهم يرون أنّ العرضة الأخيرة في قراءة ابن عفّان، وكلّ هذا يدلُّ على إحاطة القوم بعلم ترتيبِ القرآن على الوجه الذي رتبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنّه لا يجوز أن يذهب عليهم ذلك مع تكرُّر عرضِ الرسول له في كل عام، ولا أن يتسمّحوا.[1]

وقال السيوطي: "ولم تجز القراءة بالمعنى، لأن جبريل أدَّاه باللفظ، ولم يبَحْ له إيحاؤه بالمعنى؛ والسرّ في ذلك أن المقصود منه التعبُّد بلفظه، والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظٍ يقوم مقامه، وإنَّ تحتَ كل حرف منه معاني لا يحيط بها كثرة. فلا يقدر أحد أن يأتي ببدله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزّل إليهم على قسمين: قسم يَرْوونه بلفظه الْموحَى به، وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كلّه مما يرْوَى باللفظ لشقّ، أو بالمعنى لم يؤْمن التبديل والتحريف، فتأَمل[2].

ولو كانت القراءة بالمعنى حاصلة كما يزعمون لصار بين أيدينا الآن عشرات المصاحف المختلفة نتيجة لذلك. وإن القول بجواز تبديل لفظ بآخر يؤدي إلى ذهاب الإعجاز الذي هو من أهم مميزات القرآن الكريم، وإن كل لفظ فيه مقدّر في موضعه خير تقدير، ومعبّر أصح تعبير، ولا يمكن أن يسدّ أي لفظ آخر مسدّه.

وأما ما اعتمد عليه مثيرو هذه الشبهة من آثار، مثل حديث: «ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة»[3]، وما يروى عن ابن مسعود أنه كان يقرئ رجلا: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: 43-44] وكان الرجل يقول: طعام اليتيم فقال له ابن مسعود: أتستطيع أن تقول: طعام الفاجر. قال: نعم. قال: فقل[4]، فإنها لا تصلح حجة لهم، فالحديث يراد به تبيين أن الحروف التي نزل بها القرآن متفق مفهومها، لا يكون في شيء منها المعنى وضده، ولا يختلف الوجه منها عن معنى وجه آخر بما يضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده.

أما الأثر المروي عن ابن مسعود فإنه ضعيف السند لا يصح الاحتجاج به، وعلى فرض صحته فإنه يحمل على أنه أراد توضيح المعنى له ليكون ذلك وسيلة إلى النطق بالصواب، قال القرطبي: «ولا حجة في هذا للجهال من

(1) – الانتصار للقرآن للباقلاني (1/ 362).

(2)– معترك الأقران في إعجاز القرآن (2/ 265).

(3)– رواه الطحاوي في مشكل الآثار (8: 113)، والطبري في تفسيره (1: 46)، وأحمد في المسند برقم 8390 (14: 120) وقال محقق المسند شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(4)– رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص 183، وأورده الفخر الرازي في تفسيره (27: 215) وضعفه محققه.

أهل الزيغ أنه يجوز إبدال الحرف من القرآن بغيره، لأن ذلك إنما كان من عبد الله تقريبا للمتعلم وتوطئة منه للرجوع إلى الصواب واستعمال الحق والتكلم بالحرف على إنزال الله وحكاية رسول الله صلّى الله عليه وسلم[1].

المطلب السادس: الطعن في قيمة المصحف الإمام

يقول برجشتراسر تحت عنوان مجحف "أخطاء النص العثماني" :اعترف المسلمون منذ زمن طويل بأن نص القرآن الذي أصدرته اللجنة التي عيّنها عثمان لم يكن كاملا على وجه الإطلاق، ويوجد بين أيدينا عدد من الروايات التي أخذت على هذا النص أخطاء مباشرة، ومن أشهر ما وردنا أن عثمان نفسه عندما اطّلع على النسخ التي أنجزها الكتّاب وجد فيها حروفا من اللحن، وأنه قال لا تغيّروها، فإن العرب ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف والملل من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف.[2] واستشهد برجشتراسر بما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: "يا ابن أخي هذا من عمل الكتاب، قد أخطئوا في الكتاب". حيث يرى صعوبة رد هذه الرواية وتضعيفها.[3]

قال الشيخ الزرقاني: "ما نسب إلى عائشة رضي الله عنها من تخطئة رسم المصحف في قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: 162] بالياء مردود بما ذكره أبو حيان في البحر إذ يقول ما نصه: وذكر عن عائشة رضي الله عنها وعن أبان بن عثمان أن كتبها بالياء من خطأ كاتب المصحف. ولا يصح ذلك عنهما لأنها عربيان فصيحان وقطع النعوت مشهور في لسان العرب. وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه وغيره. وقال الزمخشري: لا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه خطأ في خط المصحف. وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب يريد كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وخفي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحقهم[4].

وهذا لا ينافي أن القراءة الأخرى مسموعة ومنزلة كتلك، خصوصا أنها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم. أما قولها: ولكن الهجاء حرف فكلمة حرف مأخوذة من الحرف بمعنى القراءة، واللغة والمعنى أن هذه القراءة المتواترة التي رسم بها المصحف لغة ووجه من وجوه الأداء في القرآن الكريم. ولا يصح أن تكون كلمة حرف في حديث عائشة مأخوذة من التحريف الذي هو الخطأ وإلا كان حديثا معارضا للمتواتر ومعارض القاطع ساقط.

---

(1)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (16: 149).

(2)- تاريخ القرآن 3/ 443 – 444 . جوتهلف برجشتريسر 1886 - 1933 م هو مستشرق ألماني، مسيحي بروتستنتي) لوثري (برز في نحو العبرية واللغات السامية بعامّة، وعني بدراسة اللهجات العربية، وبقراءات القرآن. حاضر في جامعة القاهرة وقد جمع الدكتور محمد حمدي البكري محاضراته في كتاب أسماه أصول نقد النصوص ونشر الكتب موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي، 1992م.

(3)- تاريخ القرآن 3/ 446 – 447.

(4)- مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 395) ويراجع البحر المحيط (4/ 135)، والكشاف للزمخشري (1/ 590).

قلت تأويله ظاهر، وذلك أن عروة لم يسأل عائشة فيه عن حروف الرسم التي تزاد فيها لمعنى وتنقص منها لآخر تأكيداً للبيان وطلبا للخفّة، وانما سأل عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التي أذن الله عز وجل لنبيّه عليه السلام ولأمّته في القراءة بها واللزوم على ما شاءت منها تيسيرًا لها وتوسعة عليها، وما هذا سبيله وتلك حاله فعن اللحن والخطأ والوهم والزلل بمعزل؛ لفشّوه في اللغة ووضوحه في قياس العربية، وإذا كان الأمر في ذلك كذلك؛ فليس ما قصدته فيه بداخل في معنى المرسوم، ولا هو من سببه في شيء، وإنما سّمى عروة ذلك لحنا وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ على جهة الاتّساع في الأخبار وطريق المجاز في العبارة، إذ كان ذلك مخالفا لمذهبهما وخارجا عن اختيارهما، وكان الأوجه والأولى عندهما الأكثر والأفشى لديهما لا على وجه الحقيقة والتحصيل والقطع لما بيّناه قبل من جواز ذلك وفشوه في اللغة، واستعمال مثله في قياس العربية، مع انعقاد الإجماع على تلاوته كذلك[1].

كذلك استند أعداء الإسلام في طعنهم على جمع عثمان بروايتين هما: ما رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي عن عبد الله بن فطيمة عن يحي بن يعمر قال قال عثمان: "إن في القرآن لحنا وستقيمه العرب بألسنتها".[2]

وعن عكرمة قال: لما أتي عثمان بالمصحف رأى فيه شيئا من لحن فقال: لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا.

وللرد عن هذه الشبهة نقول على فرض صحة هاتين الروايتين فإن المقصود بهما يختلف تماما عما فهمه الطاعنون فللحن معان متعددة في أصل اللغة، فاللحن الخطأ واللحن اللغة والصوت وألحن: وفي الحديث (إنَّكم لتَخْتَصِمون إليَّ، وعسى أن يكون بعضُكم ألْحَنَ بحَجَّتِه من الآخَر، فمن قَضَيْتُ له بشيء من حَقِّ أخيه فإنما أقْطَع له قِطْعَةً من النار)[3] فمعنى (ألحن) من اللحن بفتح الحاء: الفطانة أي أبلغ وأفصح في تقرير مقصوده وأفطن ببيان دليله وأقدر على البرهنة على دفع دعوى خصمه، بحيث يظن أن الحق معه واللَّحْنُ: الأصْواتُ المِصُوغةُ الموضوعةُ، جمع: ألْحانٌ ولُحونٌ، ولَحَنَ في قِراءَتِهِ: طَرَّبَ فيها، واللُّغَةُ، واللَّحْنُ: الخَطَأُ في القِراءَةِ، ولَحَّنَه: خَطَّأَهُ، وألْحَنَه القولَ: أفْهَمَه إيَّاهُ، و{في لَحْنِ القولِ}: في فَحْواهُ ومعناهُ.

واللَّحْن: الميْل عن جِهة الاستِقامة. يقال: لَحَن فُلان في كلامه، إذا مال عن صَحيح المَنْطِق.ويقال: لَحَنْتُ لفُلانٍ، إذا قلتَ له قَوْلاً يَفْهَمُه ويَخْفَى على غيره، لأنك تُمِيله بالتَّوْرِية عن الواضِح المَفْهوم. ومنه قالوا: لَحِنَ الرجلُ فهو لَحِنٌ، إذا فَهِم وفَطِن لِمَا لا يَفْطَن له غيره. واللّحْن: اللُّغة والنَّحْو. واللّحْن أيضاً: الخَطأ في

(1) – المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص: 121)

(2) – المصاحف لابن أبي داود ص 33 ، والمقنع لأبي عمرو الداني 119.

(3) – رواه البخاري في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها – كتاب الشهادات. 27 – باب: من أقام البينة بعد اليمين. الحديث رقم: 2534

الإعراب، فهو من الأضْداد..[1]، وعلى هذا فاللحن لا يعني فقط في لغة العرب الخطأ، ولكنه يعني أيضا فحوى الكلام، واللغة، والقدرة على التعبير والإقناع، والفطنة، والظرف، والمَيْل عن جِهة الاستِقامة، والصوت الذي يطرب به.

وعلى هذا يمكننا حمل قول عثمان رضي الله عنه "إن في القرآن لحنا وستقيمه العرب بألسنتها" أي إن الوجه الذي اعتمد عليه المصحف العثماني الذي كانت المرجعية فيه إلى لغة قريش، وهي أفصح لغات العرب هذا الوجه سوف تستقيم عليه الألسنة رغم اختلاف اللهجات. أو أن المراد به الرسم العثماني الذي قد يتعارض مع قواعد الإملاء فلو تلي على حاله لخالف التلاوة، ولكن العرب سوف يراعون قراءته قراءة صحيحة، وفي ذلك يقول أبوعمرو الداني في المقنع: "هذا القول الوارد عن عثمان – إن صح عنه – فإن وجهه أن يكون عثمان – أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم إذ كان كثير منه لو تلي على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿أو لأذبحنه﴾ [النمل: 21] ﴿ولأوضعوا﴾ [التوبة: 47] و﴿من نبإ المرسلين﴾ [الأنعام: 34] " و﴿سأوريكم﴾ [الأعراف: 145] "، و﴿الربوا﴾ وشبهه، مما زيدت فيه الألف والياء والواو في رسمه لو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط لصير الإيجاب نفيا ولزاد في اللفظ ما ليس فيه، ولا من أصله، فأتى على اللحن بما لا خفاء به على من سمعه، مع كون رسم ذلك كذلك جائز مستعمل، فأعلم عثمان إذ وقف على ذلك أن من فاته تمييز ذلك وعزبت عنه معرفته ممن يأتي بعده سيأخذ ذلك عن العرب، إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم فيعرفونه بحقيقة تلاوته، ويدلونه على صواب رسمه، فهذا وجهه عندي، والله أعلم" أ.هـ[2]

وقال ابن الجزري: "وَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ عُثْمَانُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يَقُولُ ذَلِكَ فِي مُصْحَفٍ جُعِلَ لِلنَّاسِ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ لِتُقِيمَهُ الْعَرَبُ بِأَلْسِنَتِهَا وَيَكُونُ ذَلِكَ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: لَوْ وُلِّيتُ مِنَ الْمَصَاحِفِ مَا وَلِيَ عُثْمَانُ لَفَعَلْتُ كَمَا فَعَلَ. وَأَيْضًا فَإِنَّ عُثْمَانَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – لَمْ يَأْمُرْ بِكِتَابَةِ مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، إِنَّمَا كُتِبَ بِأَمْرِهِ عِدَّةُ مَصَاحِفَ، وَوَجَّهَ كُلًّا مِنْهَا إِلَى مِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ، فَمَاذَا يَقُولُ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ فِيهَا؟ أَيَقُولُونَ: إِنَّهُ رَأَى اللَّحْنَ فِي جَمِيعِهَا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ فَتَرَكَهُ لِتُقِيمَهُ الْعَرَبُ بِأَلْسِنَتِهَا أَمْ رَآهُ فِي بَعْضِهَا؟ فَإِنْ قَالُوا فِي بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، فَقَدِ اعْتَرَفُوا بِصِحَّةِ الْبَعْضِ وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَنَّ اللَّحْنَ كَانَ فِي مُصْحَفٍ دُونَ مُصْحَفٍ، وَلَمْ تَأْتِ الْمَصَاحِفُ مُخْتَلِفَةً إِلَّا فِيمَا هُوَ مِنْ وُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِلَحْنٍ، وَإِنْ قَالُوا: رَآهُ فِي جَمِيعِهَا لَمْ يَصِحَّ أَيْضًا، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُنَاقِضًا لِقَصْدِهِ فِي نَصْبِ إِمَامٍ يُقْتَدَى بِهِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، وَأَيْضًا فَإِذَا كَانَ الَّذِينَ تَوَلَّوْا جَمْعَهُ وَكِتَابَتَهُ لَمْ يُقِيمُوا ذَلِكَ وَهُمْ سَادَاتُ الْأُمَّةِ وَعُلَمَاؤُهَا، فَكَيْفَ يُقِيمُهُ غَيْرُهُمْ.[3]

أما ما روي عن عثمان رضي الله عنه، من قوله لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد

(1)- يراجع لسان العرب (13/ 379) مادة ل ح ن.
(2)- المقنع ص 120.
(3)- النشر في القراءات العشر (1/ 459)

فيه هذه الحروف: فإن مقصوده أنه كان يعتمد في الرسم على لغة قريش، ولو كتبت بلغة ثقيف لما كتبت تلك الكلمات وغيرها، بهذا الشكل، وفي ذلك يقول أبو عمرو:"معنى قول عثمان لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف أي لم ترسم بتلك الصورة المبنية على المعاني دون الألفاظ المخالفة لذلك، إذ كانت قريش ومن ولي نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك في كثير من الكتابة، وسلكوا فيها تلك الطريقة، ولم تكن ثقيف وهذيل يستعملان هذه الطريقة، فلو أن المصحف كتب وفقا لقواعدهما في الكتابة لرسمت تلك الحروف على حال استقرارها في اللفظ ووجودها في المنطق دون المعنى والوجوه إذ ذلك هو المعهود عندهما والذي جرى عليه استعمالهما، هذا تأويل قول عثمان عندي لو ثبت وبالله التوفيق".[1]

وقال الشيخ عبد العظيم الزرقاني في معرض رده على هذه الشبهة التي يخالف ظاهرها ما كان عليه عثمان رضي الله عنه من الدقة في الجمع، هو ومن معه: "وعلى فرض صحة ما ذكر يمكن أن نؤوله بما يتفق والصحيح المتواتر عن عثمان من نسخ المصاحف وجمع القرآن، ومن نهاية التثبت والدقة والضبط، وذلك بأن يراد بكلمة "لحنا" في الروايتين المذكورتين قراءة ولغة، والمعنى أن في القرآن ورسم مصحفه وجها في القراءة، لا تلين به ألسنة العرب جميعا ولكنها لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعا بالمران وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه، وقد ضرب بعض أجلاء العلماء لذلك مثلا كلمة الصراط بالصاد المبدلة من السين، فتقرأ العرب بالصاد عملا بالرسم وبالسين عملا بالأصل".[2]

(1) – المقنع ص 120 بتصرف يسير.
(2)– مناهل العرفان 267/1

المبحث الثاني: وسائل المستشرقين

المطلب الأول: التشكيك في الروايات الصحيحة.

وقف المستشرقون موقف التشكيك أو التجاهل للروايات الصحيحة، فجاءوا بآراء تناقضها، بما يدل على عدم اكتراثهم بها، وتغافلهم عنها، ففي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الصحاح روايات تبين لنا أمر الجمع بيانا شافيا كافيا، لكن المستشرقين المتعصبين يغمضون أعينهم عنها، متلمسين الروايات الضعيفة، فيحتجُّون بها أو يتذرَّعون بمزاحمتها وتناقضها مع الروايات الصحيحة، بما يبرِّرون به نقضهم لكل الروايات، مخالفين المنهج العلمي المتبع في الدراسات الإسلامية القائم على ترك الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة.

فهذا المستشرق "ويلش" يزعم أن ما زعم عن مؤهلات زيد بن ثابت التي أهلته ليرأس لجنة الجمع البكري والعثماني، ملفقة لتبرير قيامه بتلك المهمة، فيقول: إن هذا التوصيف لمؤهلات زيد قد أدى دورا له مغزاه في إخراج النص المعتمد أو الرسمي للقرآن".[1]

ويجنح المستشرق "برتون" إلى حد اعتبار أن مجموع الروايات الواردة في جمع القرآن من وحي الخيال، وأن دور زيد البارز في هذه العملية إنما اخترع اختراعا... دون أن يبدي لنا حجة ساطعة تؤكد صحة مزاعمه.[2]

إن الروايات الواردة في موضوع الجمع كثيرة، فيها ما هو صحيح في أعلى درجات الصحة، وفيها ما هو دون ذلك، وفيها الضعيف الواهي، والمنهج العلمي يقضي بالأخذ بالصحيح ترْك الضعيف، مع التوفيق بين الأخبار الصحيحة الثابتة، ولكن كثيراً من المستشرقين شكّكوا فيما هو صحيح ثابت دون أدنى دليل علمي كما وقع لإسكوللي وبروكلمان من التشكيك في أن تكون وقعة اليمامة هي الدافع لجمع القرآن في زمن الخليفة أبي بكر بالرغم من ورود القصة في أوثق كتب الحديث وهو صحيح البخاري.[3]

المطلب الثاني: الاعتماد على الروايات الضعيفة

من ذلك اعتمادهم على روايات لم تثبت، أو تفسير بعض الروايات مع ما يتوافق مع آرائهم دون إيراد الوجوه الأخرى فيها، بل إنهم يلمزون موقف المحققين النقّاد للحديث سيّما من جهة دراسة الأسانيد، لا يعجبهم ذلك، لأنهم يبغونها مضطربة متناقضة، فلقد نشر المستشرق الأسترالي أرثر جيفري كتاب المصاحف لابن أبي داوود، ووجد ضالته في رواياته الكثيرة التي منها المقبول والمردود، وفقا لمنهج المحدثين في نقد الأسانيد وتمحيصها، لكن المستشرقين لا يرتضون هذا المنهج، وابن أبي داوود لم يلتزم الصحة في المرويات، اعتمادًا منه على ما تقرر لدى أهل العلم أن مَنْ أسند لك فقد أحالك، أو حمّلك، فروى الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة، دون

(1)- القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية، د محمد أبو ليلة ، ص 159 نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية ص 404 عمود(ب).

(2)- Burton. Collection of the holy Quran pp. 117

(3)- يراجع: مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه عرض ونقد، الدكتور أبو بكر كافي.

اشتراط للصحة، فوقع في الكتاب روايات واهية، استغلها كثير من أعداء الدين من المستشرقين والمستغربين ليزرعوا الشك؛ في النفوس.

تقول الباحثة الأستاذة أسماء السلومي: "يكاد يتفق منهج المستشرقين العام في الدراسات القرآنية، على تعمد اختيار الأخبار الضعيفة والروايات المنقطعة في بطون المصادر العربية، قصد بناء أحكام عليها، والتدليل بها على مقاصد وأغراض معينة، ولقد وجد المستشرقون في كتب معينة ما أفادهم في ضرب بعض الروايات ببعض؛ قصد التشكيك في مصداقية النص القرآني، كما أنهم قد يعتمدون بعض الروايات المنقطعة التي ترمي إلى نقض ما هو مشهور ومعروف لدى المسلمين عن تاريخ النص القرآني".[1]

ومن ثم فإن المستشرق آرثر جيفري قد وجد ضالته فيما أورده ابن أبي داود في كتابه من روايات مختلفة ومتباينة عن أول من جمع القرآن الكريم، وأشاع أن الصحابة مختلفون وكان لكلٍّ مصحفه، بما يوهم وجود التناقض والاضطراب، دون أن يبين حقيقة الأمر، ويمحِّص المرويات. وقد ضم الكتاب 799 رواية، وفقا لتحقيق الشيخ سليم الهلالي الصحيح منها مع الحسن بلغ 429 رواية، بينما بلغت الروايات الضعيفة 349، والمنكرة 13، ورواية واحدة موضوعة. وعلى هذا تكون المرويات الضعيفة 363 أي قرابة النصف من مرويات الكتاب.[2]

المطلب الثالث: دعوى تناقض المرويات.

الروايات الواردة في تاريخ الجمع كثيرة، منها الصحيح إسنادا ومنها الضعيف، وهذا أمر مألوف في الروايات، والمنهج العلمي هو الأخذ بالصحيح وترك الضعيف عند التعارض بين النصوص، ولكن المستشرقين جعلوا هذا الاختلاف ذريعة للطعن في الجميع، يقول أ.ت ويلش: A.T.Welch إن تاريخ القرآن بعد وفاة محمد لا يزال غير واضح، وإن إعداد النسخة الرسمية أو القانونية للقرآن مر بثلاث مراحل عبر تطورها، يصعب وضع تاريخ محدد لكل منها، وإن الاعتقاد السائد بين المسلمين هو أن القرآن كان محفوظا بطريقة شفهية، ثم كتب أثناء حياة النبي صلوات الله وسلامه عليه-أو بعد موته بقليل، عندما جُمِعَ ورتب لأول مرة بواسطة الصحابة، ثم ظهرت النسخة الإمام أو المصحف الإمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.[3]

---

(1)- بحث في الدفاع عن القرآن، الأستاذة أسماء السلومي ص 12 بتصرف يسير، المستشرق آرثر جيفري، ومقدمة كتاب المصاحف" عرضاً ونقدا . مجلة البحوث الإسلامية السعودية ع 10 .

(2)- كتاب المصاحف لابن أبي داود :حققه سليم الهلالي.

(3)- دائرة المعارف الإسلامية ص 404 عمود (ب).

وهذا يدل على قصور علم هؤلاء المستشرقين وقلة اطلاعهم على المصادر الإسلامية أو كتمانهم الحقائق العلمية الناصعة، فعلماء المسلمين قد بحثوا هذا الموضوع في كتب الحديث وعلوم القرآن والتاريخ، بل قد أفرده بعضهم بالتصنيف المستقل.

وفي هذا الصدد يقول ويلش: ومن جانبنا فإننا نلاحظ أن مهمة إعادة كتابة تاريخ القرآن ليست سهلة، بل هي أكثر تعقيدا في الحقيقة؛ وذلك لأن المصادر القديمة تحتوي على الآلاف من الأشكال النصية المختلفة، والتي لا توجد في أي مخطوط يعرفه المستشرقون.

ويضيف ويلش في الروايات الواردة في موضوع الجمع: إن المسلمين قبلوا هذه الروايات على أنها صحيحة تاريخيا، وأن ما فيها حق لاشك فيه، مع أن هناك مشكلات صعبة تحوط بها، حيث توجد روايات أخرى في كتب الأحاديث المعتمدة تناقض موضوع هذا الحديث.

ويذهب برتون "إلى حد الذهاب إلى أن مجموع الروايات الخاصة بجمع القرآن من وضع الخيال، وأن دور زيد بن ثابت رضي الله عنه البارز في هذه العملية إنما اخترع اختراعا، لأنه كان يكتب للنبي وهو شاب، وأنه كان من أواخر من مات من الصحابة".

"وخلاصة موقف المستشرقين من روايات الجمع إنما هو المبالغة في الشك والافتراض، وإنكار الحقائق الثابتة، واعتماد الضعيف والشاذ".[1]

المطلب الرابع: الاعتماد على بعض أقاويل الرافضة.

يغمز المستشرق بول Buhl لشبهة تحريف القرآن بما وقع من جدل بين الفرق الإسلامية المختلفة، فالشيعة يصرون عادة على أن أهل السنة قد حذفوا وأثبتوا آيات في القرآن بغية محو أو تفنيد ما جاء فيه من الشواهد معززًا لمذهبهم، وقد كال أهل السنة بطبيعة الحال نفس التهمة للشيعة.[2]

فقد ادعى بعض غلاة الشيعة أن القرآن نقص منه ما كان فيه مما يتعلق بمدائح آل البيت ومناقبهم وذم مخالفيهم من الصحابة.

ورد في كتاب الكافي للكليني إن القرآن الذي نزل على محمد سبعة وسبعين ألف آية والذي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية.[3]

(1)- مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه، د. أبوبكر كافي ص 8.

(2)- دائرة المعارف الإسلامية، ج ٤، ص ٦٠٨ ، مادة تحريف Buhl: ٢٠.

(3)- الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني 110/1، ط طهران.

وزعموا أنه لم يجمعه بتمامه إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده، كما زعموا أن الصديق والفاروق وعثمان قد أسقطوا كلمة (بولاية علي) بعد كل لفظة كفروا، وأسقطوا لفظ (في ولاية علي) بعد كل كلمة (أشركوا) وأسقطوا لفظ (آل محمد) بعد كل كلمة ظلموا وأسقطوا معظم سورة الأحزاب.[1]

وهذه الاتهامات عارية عن الدليل فلا وزن لها ولا قيمة لها، وما هي إلا ترهات خرجت من قلوب أعماها الحقد وعقول فارغة من الحق مفعمة بالأباطيل والضلالات الموضوعة كذبا وزورا على آل البيت، ومعظم هذه الروايات جاءت عن طريق هشام بن سالم الجواليقي الذي روى معظمها، وهشام هذا صاحب اعتقادات فاسدة سخيفة، ولقد أقرّ أحد أعلام الشيعة وهو محمد جواد البلاغي بأن كل هذه المرويات ضعيفة واهية، وفي ذلك يقول: "إن تلك المرويات منها ما لا يتيسر احتمال صدقه، ومنها ما هو مختلف فيه اختلافا يؤول إلى التنافي والتعارض، والقسم الوافر منها يرجع أسانيده على بضعة أنفار، وقد وصف علماء الرجال كلا منهم بأنه ضعيف الحديث فاسد المذهب والرواية، أو مضطرب الحديث والمذهب، ينكر حديثه ويروي عن الضعفاء أو متهم بالغلو والكذب، أو ضعيف لا يلتفت إليه ولا يعول عليه، فاسد الرواية يرمى بالغلو، ومن الواضح أن أمثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئا".[2] وهذه شهادة حق من أحد أعلام الشيعة.

وما ادعاه غلاة الشيعة إنما هو إساءة بالغة لآل البيت وانتقاص من حقهم واتهام لهم بأنهم كتموا ما عندهم ولم يبينوه للناس وتسببوا في حرمان الأمة من بعض القرآن، وبناء على هذه الفرية أيضا فهم يتهمون النبي بالتقصير في التبليغ؛ إذ لم يبلّغ إلا عليا وحده، ولا ندري على أي أساس ولأي حكمة لم يبلغ سواه؟، وهل الأمة مطالبة بمعرفة هذا الجزء الأكبر الذي لا تعرف عنه شيئا؟ كما أن غلاة الشيعة أيضا يتهمون رب العزة بخلف وعده بحفظ كتابه وتبليغه إلى الناس كافة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، كما أنهم يتهمون الصحابة بأنهم تمالئوا على تكذيب علي.

وهكذا نجد غلاة الشيعة لا يطعنون في كبار الصحابة فحسب! بل ويفترون على رسول الله ويفترون على رب العزة ويسيئون إلى آل البيت من حيث لا يشعرون.

ولكن المعتدلين منهم يؤمنون بكتاب الله ويقرّون جموعه الثلاث. هذا وإن رضا الإمام علي وإقراره بجمع القرآن لحجة قاطعة لألسنة أولئك الغلاة الوضاعين. أخرج ابن أبي داود في (المصاحف) بإسناد حسن عن عبد خير قال: سمعت علياً يقول: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله. وروى عن شعبة، عن علقمة ابن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة: قال على حين

(1)- يراجع تفسير القمي مخطوط بدار الكتب المصرية رقم531 وتفسير الكاشاني مخطوط- 28084/ ب.

(2)- تفسير آلاء الرحمن لمحمد جواد البلاغي 26/1 . ط النجف بطهران.

حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته. وورد عنه أيضا أنه قال في خطبة له: أيها الناس إياكم والغلو في عثمان وقولكم حرّاق مصاحف ، فوالله ما فعل الذي فعل إلا عن ملأ منا أصحاب محمد".[1]

قال الإمام علي هذا الكلام في أيام خلافته ردا على مفتريات عبد الله بن سبأ وأتباعه من الغلاة المفترين.كما أن أربعة من القراء السبع، وهم عاصم وحمزة وأبو عمرو بن العلاء والكسائي أخذوا عنه رضي الله عنه بطرق عديدة[2] وفي هذا أبلغ رد على ضلالات غلاة الشيعة.[3]

وقال الطبرسي في مجمع البيان –وهو من أئمة الشيعة –: "فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه فقد روي عن جماعة، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه[4].

وفي مقال لميرزا إسكندر كاظم في جريدة Journal Asiarique عدد ديسمبر1843م يقول الكاتب وهو من أعلام الشيعة: "إن اعتقادنا في جملة القرآن الذي أوحى الله به إلى نبيه محمد هو كلّ ما تحتويه دفتا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر، وعدد السور المتعارف عليها بين المسلمين 114 سورة، وعندنا أن سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة، وكذا الضحى والشرح، والفيل وقريش، أما من يدعي أن القرآن أكثر من ذلك فهو كاذب"[5].

المبحث الثالث: مستشرقون منصفون.

من المستشرقين من بحث موضوع الجمع بتجرّد وكتب عنه بإنصاف ، ولا شك أن ما كتبوه حجة على الآخرين: يقول المستشرق Lebloois في كتابه القرآن والتوراة العبرية بعد أن تحدث عن جمع أبي بكر وأشار إلى مقولته لزيد بن ثابت حين عهد إليه بمهمة الجمع" إنك امرؤ لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله

(1)– المصاحف 12،13

(2) – أبو عمرو بن العلاء: قرأ على نصر بن عاصم ويحي بن يعمر وكلاهما قرأ على أبي الأسود وأبو الأسود قرأ على علي رضي الله عنه عاصم ابن أبي نجود: قرأ على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الضرير، الذي قرأ على علي حمزة الزيات: قرأ على أبي عبد الله جعفر الصادق، الذي قرأ على أبيه محمد الباقر وقرأ الباقر على أبيه زين العابدين، الذي قرأ على أبيه الحسين، وقرأ الحسين على أبيه علي الكسائي: قرأ على حمزة عليه اعتماده وقد تقدم سنده. النشر 133/1: 155.

(3)– وأما ما أخرجه ابن أبي داود في المصاحف من طريق ابن سيرين قال: "قال علي: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم آليت أن لا آخذ علي ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعه "فإسناده ضعيف انقطاعه، وعلى تقدير أن يكون محفوظاً فمراده بجمعه حفظه في صدره، قال: والذي وقع في بعض طرقه "حتى جمعته بين اللوحين" وهم من رواية. قلت: وما تقدم من رواية عبد خير عن علي أصح، فهو المعتمد قال ابن أبي داود في المصاحف: لم يذكر "المصحف" أحد إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رووا حتى أجمع القرآن يعني أتم حفظه فإنه يقال للذي يحفظ القرآن جمع القرآن. المصاحف ص10.

(4) – مجمع البيان 30/1.

(5)– نقلا عن المدخل إلى علوم القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله ص 39، 40.

فقم واجمع القرآن"، يعلق (لوبلو) على هذه الكلمة فيقول" من ذا الذي لم يتمن لو أن أحدا من تلاميذ عيسى الذين عاصروه قام بتدوين تعاليمه بعد وفاته مباشرة!"[1].

وقد أشار موير إلى أنه لا يوجد كتاب في العالم غير القرآن بقي على صورته النقية طوال قرون عديدة، يقول في كتابه حياة محمد: " إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر نقله من يد ليد حتى وصل إلينا دون تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لكل المسلمين، وهذا الاستعمال الجماعي لنفس النص المقبول من الجميع يعتبر أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا".[2]

وقرر Margeliouth أن تلك التناقضات التي يحفل بها العهد القديم لا وجود لها على الإطلاق في الإسلام.[3] ويقول Menzzes: "من المؤكد جدا أن زيد بن ثابت قد توخى الأمانة في صنيعه كما أن قبول علي وأتباعه للمصاحف العثمانية هو أعظم دليل على صحته وأصالته.

ويقول أيضا :" إن تبجيل المسلمين الرائع للقرآن، وتقواهم منذ البداية وورعهم، هذه المعاني هي التي جعلتهم يحفظونه عن ظهر قلب، وهي التي تؤكد وجود نسخة مكتوبة على عهد النبي لكل ما نزل من الوحي، كما أن جمع زيد للقرآن قد حظي بقبول الجميع مباشرة وبصورة فورية، وكل هذا لا يترك مجالا للشك في أن القرآن يحوي بالفعل كل الكلمات التي أوحيت للنبي، ولكن الاختلاف يتمثل فقط في بعض الأوجه الصوتية والإعرابية، والتي لا تعد إلا أمرا طارئا جاء فيما بعد ذلك، ولم يكن قط موجودا على عهد زيد"[4].

قلت: القراءات كلها من عند الله تعالى لا دخل لأحد فيها، فكلها متواترة بأسانيدها، إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ويقول المستشرق الأمريكي ف. بودلي "بين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته، لم يشك في صحته كما أنزل أي شك جدي، وهذا الكتاب هو القرآن، وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد، وعلى الرغم من أن الآيات قد دونت في الرقاع وسعف النخل والعظام في لحظات غريبة فالسور والآيات الأصلية قد حفظت... وهذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث أو تقارير يفترض فيها أن محمدا قد قالها فهي نفس الآيات التي أملاها بنفسه يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر خلال حياته... وإن الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنها كانت أمينة فوق الشبهات فلم يفعل شيئا ليضيف فقرات أو يضع جمل ربط أو يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الإسلام، لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره.. والمهم هو أن القرآن هو العمل الوحيد الذي

(1) – نقلا عن المدخل إلى علوم القرآن د. محمد عبد الله دراز ص 47 Le Qoran et la Bible page

(2) – نقلا عن حياة محمد د. محمد حسين هيكل ص 330.

(3) – Margeliouth Mohhammedanism p 63 London.

(4) - Menzes the life and religion of Mohammad p/105 London

عاش أكثر من اثني عشر قرنا دون أن يبدل فيه ، ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية".[1]

وإليك شهادات أخرى لمستشرقين حول المصحف العثماني وطريقة كتابته، قال كارل بروكلمان (Brocklemann): "وقد بلغ هذا المصحف العثماني في مده وجيزة مقام الوثوق والاعتماد من قبل جميع المسلمين دون حاجة إلى قوة أو إكراه".[2]

وقال المستشرق الألماني شفاللي وهو ممن شارك في إتمام كتاب نولدكه تاريخ القرآن: "كل ما ذُكر يؤكد كون مصحف عثمان كاملا وأمينا بأكبر قدر يمكن توقعه, إنها بالدرجة الأولى هذه الميزات التي جعلت الجماعة الإسلامية الناشئة تعتمده بسرعة وسهولة, ولم يكن لأي إجراءات قمعية من قبل السلطة وحدها أن تحقق ذلك على الإطلاق".[3] وقال ولش: "إلا أنه في الثلاثينيات من القرن العشرين كان المستشرقون قد جمعوا بالفعل هذه الاختلافات وحللوها, وانتهوا إلى أنه لا قيمة لها (انهارت الثقة فيها)".[4]

وهكذا نرى المنصفين من المستشرقين قد أشادوا بطريقة جمع القرآن وأقروا بحفظه وسلامته، وفي هذا رد بليغ على المتعصبين والجاهلين منهم الذين أثاروا شبهات باطلة ومزاعم خاطئة حول جمع القرآن.

(1)- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه لمحمد بن طاهر بن عبد القادر الكردي المكي ص 68، 69.
(2)- نفس المرجع والصفحة.
(3)- تاريخ القرآن تيودود نولدكه وشفالي (321/2، 322).
(4)- دائرة المعارف الإسلامية 26/ 8184.

الخاتمة.

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات وهي:

- حفظ الله تعالى لكتابه الكريم في الصدور والسطور.
- جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن من أجلّ أعماله.
- أثار بعض المستشرقين شبهات وأباطيل حول جمع القرآن، استندوا فيها إلى ظنون وأوهام ومرويات باطلة ومفاهيم خاطئة وأحكام مسبقة، وسوء فهم للنصوص.
- كل ما أثير من شبهات مردودة لأنها ليست مبنيةً على أسس صحيحة، بل على روايات ضعيفة، ومفاهيم قاصرة.
- كلام المنصفين من المستشرقين عن الجمع أبلغ الرد على غيرهم من المستشرقين.
- أقترح إعادة دراسة كتاب تاريخ القرآن لنودلكه دراسة علمية، وكذلك تاريخ المذاهب الإسلامية لما لهذين الكتابين من أهمية لدى المستشرقين والمستغربين.
- أقترح تدريس مادة رد الشبهات على طلاب الدراسات العليا، ولجامعة أم القرى والجامعة الإسلامية قصب السبق بتدريس مادة الدفاع عن القرآن.

فهرس المصادر والمراجع.

1. **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين لسيوطي ت911 ط البابي الحلبي 1370هـ.
2. **الأساس في التفسير**، سعيد بن ديب حوى، ت1409هـ ط. دار السلام بالقاهرة.
3. **إعجاز القرآن**، الباقلاني، أبوبكر محمد بن الطيب ت 403هـ طبعة محمد علي صبيح سنة 1370.
4. **الانتصار للقرآن**، للباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت 403هـ) تحقيق: د. محمد عصام القضاة، ط دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت. الطبعة: الأولى 1422 هـ.
5. **البحر المحيط**، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي ت 754 هـ ط دار إحياء التراث العربي ط سنة 1411هـ ثانية .
6. **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين الزركشي ت 794 بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ط البابي الحلبي.
7. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط المكتبة العصرية .صيدا.
8. **تاريخ القرآن**، نولدكه تعديل فردريك شوالي ط دار نشر جورج ألمز سنة 2000م.
9. **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه**، لمحمد بن طاهر بن عبد القادر الكردي المكي مطبعة الفتح بجدة 1365هـ.
10. **تاريخ القرآن**، عبد الصبور شاهين، نهضة مصر 2007م.
11. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: 463هـ) ط المكتبة العلمية بيروت 1417هـ.
12. **تأويل مشكل القرآن**، لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت 276 بتحقيق السيد صقر مطبعة الحضارة العربية 1393هـ.
13. **تفسير آلاء الرحمن**، لمحمد جواد البلاغي . ط النجف بطهران.
14. **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774 هـ ط دار التراث العربي بدون تاريخ.
15. **تفسير القمي**، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم531.
16. **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، د. مساعد الطيار . دار ابن الجوزي. ط1، 1432هـ.
17. **التمهيد**، لابن عبد البر النمري ت368هـ ط وزارة الأوقاف بالمغرب.
18. **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن جرير الطبري ت310هـ ط دار الريان.

19. **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1987م.
20. **حياة محمد**، د. محمد حسنين هيكل دار المعارف.
21. **ديوان أبي تمام**، ط. دار الكتب العلمية.
22. **السبعة في القراءات**، لابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ)، بتحقيق : شوقي ضيف، ط دار المعارف – مصر، ط2، 1400هـ.
23. **سنن الترمذى**، أبو عيسى محمد بن عيسى ت 297 هـ. ط دار الفكر 1408هـ.
24. **علوم القرآن**، للدكتور عدنان زرزور ط المكتب الإسلامي بيروت 1401هـ.
25. **العواصم من القواصم**، للقاضي أبي بكر بن العربي، ط وزارة الأوقاف السعودية.
26. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني ط دار الريان 1407هـ.
27. **فضائل القرآن**، لابن كثير، ط البابي الحلبي.
28. **القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية**، د محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات 1423هـ.
29. **القرآن**: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره بلاشير، ترجمة: رضا سعادة. ط. دار الكتاب اللبناني بيروت، 1974م.
30. **مباحث في علوم القرآن**، لصبحي الصالح، ط دار العلم للملايين بيروت.
31. **مجمع البيان في تفسير القرآن**، للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى ت 548 هـ ط دار المعرفة بيروت سنة 1406 هـ ط أولى.
32. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي ط دار الكتاب العربي بيروت 1402هـ.
33. **المدخل إلى علوم القرآن الكريم**، للدكتور محمد عبد الله دراز ط دار القلم الكويت.
34. **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، د. محمد أبو شهبة ط مكتبة السنة 1412هـ القاهرة.
35. **مذاهب التفسير الإسلامي**، جولدتسيهر ترجمة د. عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة 1374هـ، 1955م.
36. **المستدرك على الصحيحين**، للإمام أبى عبد الله الحاكم النيسابوري ت 405 هـ وفى ذيله تلخيص المستدرك للإمام شمس الدين الذهبي ت 848هـ.
37. **المستشرقون**، نجيب العقيقي، ط. دار المعارف.
38. **مسند أحمد**، ط الرسالة بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين.

39. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ،
40. **المصاحف**، لابن أبي داود: حققه سليم الهلالي، ط 1، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع 2006م.
41. **المصاحف**، أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت316هـ) تحقيق: محمد بن عبده، ط1، الفاروق الحديثة القاهرة 1423هـ.
42. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، السيوطي دار الكتب العلمية – بيروت ط: 1، 1988م.
43. **المعجم الكبير**، للطبراني ط دار البيان العربي ط 2 بدون تاريخ.
44. **مفاتيح الغيب**، الرازي (ت 606 هـ) ط دار الفكر سنة 1405 هـ.
45. **مقدمة كتاب المصاحف**، لآرثر جفري ط دار التكوين دمشق 2004 م.
46. **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت444هـ بتحقيق الشيخ محمد الصادق القمحاوي ط مكتبة الكليات الأزهرية.
47. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ط البابي الحلبي.
48. **مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه عرض ونقد**، الدكتور أبو بكر كافي، مجمع الملك فهد.
49. **النبأ العظيم**، د. محمد عبد الله دراز . ط دار القلم الكويت.
50. **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري ط دار الكتب العلمية بيروت.

مراجع أجنبية:

1. Burton, Collection of The Holy Qur'an
2. Burton, The Collection of The Qur'an Cambridge Press 1977
3. Gilchrist, John, Jam' Al-Qur'an,
4. Le Coran, Traduction Selon un essai de reclassement des sourates, "Blachere" Paris 1949-51.
5. Menzes, The Life And Religion of Mohammad, London
6. Margeliouth Mohammedanism, London
7. Wansbrough Quranic studies: Sources And Methods Scriptural Interpretations Oxford Uni

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY
VOL. (1)- Issue 1 Jan 2023 المجلد الأول -العدد الأوّل يناير

حديث القرآن عن الجهل

(دراسة موضوعية)

Qur'an talks about ignorance.

(Objective study)

غازي وصل سالم الذبياني

جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية

ghwgn@hotmail.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة، إلى جمع، وتحليل الآيات، التي تحدثت عن الجهل: مفهومه، واشتقاقاته، وأنواعه، وأسبابه، ودلائله، وطرق علاجه، وآثاره، وأصناف الجاهلين، وعقوبة الجاهلين، ووصف القرآن للكفار بالجهل، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم وقد توصلت إلى نتائج منها: أن الجهل نوعان هما: بسيط، ومركب، فالجهل البسيط، علاجه أسهل من الجهل المركب، وأن لفظ الجهل بالقرآن الكريم له اشتقاقات عديدة، وأن الجهل له نظائر عدة في القرآن الكريم، وأن وصف الجهل لا يقتصر على المخالفين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ بل وصفت به أمم سابقة كذبت وخالفت الرسل السابقين، وذكر القرآن أسباب الجهل وطرق دفعه، وأن الجهل في القرآن صفة ذم مطلقه، شاملة لكل تصور، أو اعتقاد، أو سلوك، أو لفظ، أو منهج خالف الحكمة والعقل والحق، وأن الجهل سبب النزاع بين المسلمين؛ سواء في دينهم أو دنياهم، وأن أعظم ما يحارب به الجهل هو العلم الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة بفهم علماء السلف الصالح.

كلمات مفتاحية: الجهل- أسباب – العلم – آثار – القرآن الكريم

Abstract

This paper attempts to analyze Qur'anic verses dealing ignorance. This includes concept, derivatives words, diversity, causes, textual evidence, methods of treatment, impactful effect, and consequences of those who ignore against normative guidance of the revelation. The study reached into the results that it comprises complexity and simplicity of ignorance. The first needs thorough study of its causes and effect while the second is easier to offer the remedy over the issue.

The term ignorance is mentioned in the Qur'an in many derivatives words. It is not limited with certain period of time rather it applies to every single circumstance as long as humanity are not willing to be governed with the use of divine guidance. It also includes conceptual framework, superstitious belief, behavioral conduct, and methodological commitment that contradicts against the truth and rationalism. The Qur'an guides humanity to come out from ignorance through seeking the knowledge based on the Qur'an and the Sunnah as elucidated by prominent Muslim scholars.

Keywords: Ignorance - causes - knowledge- effects - the Holy Qur'an

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.

فلما كان الجهل من الآفات الخطيرة، التي تهدد المجتمعات، وتسبب لها أضرارا جسيمة، على مستوى الفرد والمجتمع، جاء الخطاب القرآني في حديثه عن الجهل، خطابا علميا راسخا حريصا على سلامة العقل من الجهل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9]، حيث اعتنى القرآن الكريم، بموضوع الجهل عناية خاصة، وذلك لبيان خطره، وتحذير الأمة منه، وما يترتب عليه من آثار مهلكة، وهدامة، ولهذا فقد تعوّذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منه، وقد ورد ذلك عن موسى عليه الصلاة والسلام، في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة: 67]، وكذلك فقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم: منه، فيما روته أم سلمة عن رسول الله أنه كان إذا خرج من بيته قال: "باسمك ربي، إني أعوذ بك أن أزل أو أضل، أو أظلِمَ أو أُظلمَ، أو أجهل أو يُجهل علي".[1]

قال ابن القيم: "وغلب الشّرك على أكثر النّفوس؛ لظهور الجهل، وخفاء العلم، فصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسّنّة بدعةً، والبدعة سنّةً، ونشأ في ذلك الصّغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدّت غربة الإسلام، وقلّ العلماء، وغلب السّفهاء، وتفاقم الأمر، واشتدّ البأس، وظهر الفساد في البرّ والبحر؛ بما كسبت أيدي النّاس".[2]

ومما تقدم يتضح بجلاء، أهمية دراسة هذا الموضوع، دراسة علمية موضوعية، تحت مسمى (حديث القرآن عن الجهل، دراسة موضوعية).

أهداف الدراسة:

1-التعرف على حديث القرآن الكريم عن الجهل، بالتعرف على مفهوم الجهل، وأنواعه، وأسبابه، وآثاره.

2- بيان الأمم التي وصفها القرآن الكريم بالجهل. وتحذير الله تعالى رسله، وأنبيائه، من الجهل.

3- التعرف على عقوبة الجهل.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات السابقة في موضوع بحثنا، ومن أهمها:

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل، (26704)، (44/ 299).

[2] (زاد المعاد في هدي خير العباد، 3/ 443).

بلال عبد الرحمن محمد سليم، **الجهل والجاهلية دراسة قرآنية**، رسالة الماجستير، إشراف: د. عودة عبد الله، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2015م. تناولت هذه الدراسة: مفهوم الجهل، ودلالته في السياق القرآني، وأصناف الجاهلية التي جاءت في القرآن الكريم، والمنهج الذي سار عليه القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية، وأثر الجاهلية على الفرد والمجتمع. أما في هذه الدراسة فقد تناولت مفهوم الجهل وأنواعه ونظائره ودلائله وأسبابه وآثاره وطرق علاجه وأصنافه وعقوبة الجاهلين ووصف القرآن للأمم الكافرة بالجهل. والفرق بين الدراستين: أنواع الجهل، ونظائره، ودلائله، وأسبابه، وآثاره، وطرق علاجه، وأصنافه، وعقوبة الجاهلين، ووصف القرآن للأمم الكافرة بالجهل. وهذه لم تتوافر في الدراسة السابقة.

أ.د محمد الينبعي، **الجهل والجاهلية في القرآن والسنة المطهرة**: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، رسالة دكتوراه، جامعة السلطان محمد، المغرب مدينة فاس. [1] تناولت هذه الدراسة مصطلح الجهل، والمعاني التي يشملها في القرآن الكريم، وآثار الجهل الفكرية، والسلوكية، في القرآن الكريم. أما في هذه الدراسة فقد تناولت ما ذكرته سابقا. والفرق بين الدراستين ما ذكرته آنفا ولم تتوافر في الدراسة السابقة.

سميرة عبد الرحمن آل زاهب، **الجهل: مفهومه، ودلائله، والآثار المترتبة عليه**، (دراسة قرآنية)، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، كلية التربية [2] تناولت هذه الدراسة مفهوم الجهل، ومشتقاته، ودلائله، وآثاره، وأسبابه. أما في هذه الدراسة فقد تناولت ما ذكرته سابقا. والفرق بين الدراستين ما ذكرته آنفا، مع أقوال العلماء والمفسرين في ظاهرة الجهل، مما لم يرد في الدراسة السابقة.

خطة البحث

يتكون البحث من: مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وتفصيلها على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن أهداف الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم الجهل في المعاجم اللغوية والقرآن الكريم: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهل لغة. والمطلب الثاني: الجهل اصطلاحا. والمطلب الثالث: ما ورد في ذم الجهل.

المبحث الثاني: اشتقاقات وأنواع ونظائر لفظ الجهل: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اشتقاقات لفظ الجهل. والمطلب الثاني: أنواع الجهل. والمطلب الثالث: نظائر لفظ الجهل في القرآن.

المبحث الثالث: أسباب الجهل ودلائله وطرق علاجه في القرآن الكريم: وفيه ثلاثة مطالب:

---

[1] مطبوع في دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2013.

[2] المجلد التاسع من العدد السادس والثلاثين لمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية الجهل مفهومه ودلائله والآثار المترتبة عليه (دراسة قرآنية)، 2020.

المطلب الأول: أسباب الجهل. والمطلب الثاني: دلائل الجهل. والمطلب الثالث: طرق علاج الجهل.

المبحث الرابع: الجهل وآثاره العقدية والسلوكية في القرآن الكريم: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الجهل العقدية. والمطلب الثاني: آثار الجهل السلوكية.

المبحث الخامس: الجاهلون في القرآن الكريم: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أصناف الجهلة وكيفية التعامل معهم. والمطلب الثاني: وصف القرآن الأمم الكافرة بالجهل.

والمطلب الثالث: عقوبة الجاهلين.

الخاتمة: وتشمل على أهم النتائج والتوصيات.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي، الذي يقوم بوصف مصطلح الجهل، وأنواعه، واستخراج اشتقاقات مادة جهل، ونظائر هذه اللفظة في القرآن الكريم، وأسبابه، ودلائله، وآثاره.

المبحث الأول: مفهوم الجهل في المعاجم اللغوية والقرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الجهل لغة.

الجهل: مدار قولهم جهل، يجهل، وهو مأخوذ من مادة (ج هـ ل) التي تدل على معنيين يقول ابن فارس: "الجيم، والهاء، واللام" اصلان أحدهما: خلاف العلم، والآخر: الخفة "خلاف الطمأنينة". فالأول: نقيض العلم: يقال للمفازة التي لا علم بها: مجهل ، والثاني :قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر: مجهل ، ويقال : استجهلت الريح الغصن، إذا حركته فاضطرب.[1]

وقيل: الجهل: نقيض العلم، وقد جهله فلانٌ جهلًا، وجهالةً، وجهل عليه. وتجاهل: أظهر الجهل، واستجهله: عدّه جاهلًا، واستخفّه أيضًا. والتّجهيل: أن تنسبه إلى الجهل، وجهل فلانٌ حقّ فلان، وجهل فلانٌ عليّ، وجهل بهذا الأمر. والجهالة: أن تفعل فعلًا بغير العلم ويقال: إنّ فلانًا لجاهل من فلان؛ أي: جاهلٌ به. ورجلٌ جاهلٌ، والجمع جهلٌ، وجهلٌ، وجهّلٌ، وجهّالٌ، وجهلاء.[2]

والجهل يطلق في اللغة على معنيين:

المعنى الأول: الجهل نقيض العلم، فيقال: رجل جاهل، والجمع جُهْل، وجُهُل، وجهال، وجهلاء، وجهول كجاهل ،وجهل الحق أضاعه، ويقال: أرض مجهل، إذا كانت لا يهتدى فيها، ومفازة مجهلة؛ أي لا علم بها، والجهالة: أن يفعل فعلا بغير علم، والمعروف في كلام العرب جهلت الشيء إذا لم تعرفه، ورجل

---

[1] (مقاييس اللغة، 389/1).

[2] (لسان العرب، 129/11).

جاهل، والجمع جُهْل، وجُهُل، وجهال، وجهلاء، وجهول كجاهل، وجهل الحق أضاعه، و(المجهلة) بوزن المرحلة: الأمر الذي يحمل على الجهل، من أمرٍ، أو أرضٍ، أو خصلة، ومنه قولهم الولد جهلة.[1] والجاهلية: هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله، ورسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر، والتجبر، وغير ذلك.[2]

المعنى الثاني: السفه، وخفة الحلم، قال ابن فارس: "السين، والفاء، والهاء، أصل واحد، يدل على خفة، وسخافة، وهو: قياس مطرد، فالسفه: ضد الحلم. يقال ثوب سفيه، أي رديء النسج. ويقال: تسفهت الريح، إذا مالت".[3]

وقال ابن منظور: "والسفه في الأصل: الخفة، والطيش. ويقال: سفه فلان رأيه، إذا جهله، وكان رأيه مضطربا لا استقامة له، والسفيه: الجاهل، ورواه الزمخشري، من سفه الحق، على أنه اسم مضاف إلى الحق، قال: وفيه وجهان: أحدهما على أن يكون على حذف الجار، وإيصال الفعل، كان الأصل سفه على الحق، والثاني أن يضمن معنى فعل متعد كجهل، والمعنى: الاستخفاف بالحق، وأن لا يراه على ما هو عليه من الرجحان، والرزانة.[4]

فالعلاقة بين الجهل، والسفه، والاضطراب، والخفة في الرأي، وعدم الثبات؛ بسبب نقص العلم، والحكمة، التي تقتضي الثبات والاستقرار. قال أبو هلال العسكري: "السفه نقيض الْحِكْمَة، على مَا وَصفنَا، ويستعار فِي الْكَلَام الْقَبِيح، فَيُقَال: سفه؛ إِذا أسمعهُ الْقَبِيح، وَيُقَال للجاهل: سَفِيه".[5]

المطلب الثاني: الجهل اصطلاحاً

الجهل في الاصطلاح: الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع.[6] فالجهل لا يأتي إلا بعد درجات العلم، وهو الظن المرجوح، وبعد ذلك تغلق دائرة المعرفة، ويصبح الإنسان بعدها جاهلاً، وهذا تم ذكره في كتاب ضوابط المعرفة.[7]

---

[1] (لسان العرب، 129/11).

[2] (النهاية في غريب الحديث والأثر، 323/1).

[3] (مقاييس اللغة، 79/3).

[4] (لسان العرب، 131/11).

[5] (الفروق اللغوية للعسكري، ص204).

[6] (تعريفات الجرجاني، ص80).

[7] (ضوابط المعرفة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، ص126).

قال إسماعيل حقي في مصطلح الجهل: "هو خلو النفس من العلم". [1] وقال الشنقيطي في هذا اللفظ: "الجهل عدمي، وأن المراد به عدم العلم بما من شأنه أن يعلم".[2] وقال ابن تيمية عن لفظ الجهل: "يقال: طائفة جاهلية، وشاعر جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم، فإن من لم يعلم الحق، فهو جاهل؛ جهلاً بسيطًا، فإن اعتقد خلافه، فهو جاهل؛ جهلاً مركبًا، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق، أو غير عالم، فهو جاهل أيضًا، وهذا كما جاء في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[الفرقان: 63] ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا كان أحدكم صائمًا؛ فلا يرفث، ولا يجهل"[3]، وهذا يحدث كثيراً، وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل؛ وإن علم أنه مخالف للحق، كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء: 17]، فقد قال أصحاب رسول الله: "كل من عمل سوءًا فهو جاهل"[4].

المطلب الثالث: ما ورد في ذم الجهل

الجهل صفة مذمومة، وداء عظيم، وشر مستطير؛ بل هو أساس الشر، وجماعه، حذرنا الله منه في كتابه، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحذر منه العلماء، والصالحون، المتقدم منهم، والمتأخر. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[الأعراف: ١٩٩] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[القصص: ٥٥].

وتعوذ موسى عليه السلام من الجهل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة: ٦٧]. وعاتب الله سبحانه وتعالى نبيه نوحا ـ عليه السلام ـ بقوله :﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[هود: ٤٦].

وكما ذُكر سابقًا فقد تعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم سلمة رضي الله عنها بلفظ: (أعوذ بك ...أو اجهل أو يجعل علي).[5] وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه كان يقول: "لا يزال عالم

---

[1] (روح البيان، 254/7).

[2] (العذب النمير، 194/1).

[3] مسند الإمام أحمد، (9998)، (58/16).

[4] (اقتضاء الصراط المستقيم، 258/1).

[5] راجع المقدمة.

يموت، وأثر الحق يدرس، حتى يكثر أهل الجهل، ويذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل".[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:– رحمه الله –: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:72] إلى آخر السورة، وذكر التوبة لعلمه – سبحانه وتعالى – أنه لا بد لكل إنسان، من أن يكون فيه جهل، وظلم، ثم يتوب الله على من يشاء، فلا يزال العبد المؤمن دائماً يتبين له من الحق ما كان جاهلاً به، ويرجع عن عمل كان ظالماً فيه."[2]

المبحث الثاني : اشتقاقات، وأنواع، ونظائر لفظ الجهل، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: اشتقاقات لفظ الجهل

وردت لفظة "الجهل" في القرآن الكريم، بصيغ، واشتقاقات متعددة. ومن الصيغ والاشتقاقات التي وردت عن هذا اللفظ في القرآن الكريم: "جهل" من الفعل المضارع المسند إلى ضمير واو الجماعة، "تجهلون"، واسم الفاعل المفرد: "جاهل"، وجمع المذكر السالم "جاهلون"، والمصدر القياسي "جهالة"، وصيغة المبالغة "جهول"، والمصدر الصناعي "جاهلية".[3]

وإليك الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ مشتقة من مادة "جهل"، وهي كالآتي:

- **الجاهل**: وردت هذه اللفظة المشتقة من الجهل **"مرة واحدة"** في القرآن الكريم. **وهي**: قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 273].

- **جهالة**: وردت هذه اللفظة المشتقة من الجهل **"أربع مرات"** في القرآن الكريم. **وهي** قوله تعالى:﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا جَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54]. وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ...﴾[النساء: 17]. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ...﴾ [النحل: 119].

---

[1] (جامع بيان العلم وفضله، 603/2).

[2] (مجموع الفتاوى، 348/3).

[3] (مادة جهل في القرآن الكريم دراسة لغوية، ص7).

- **جهولا**: وردت هذه اللفظة المشتقة من الجهل **"مرة واحدة"** في القرآن الكريم. وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].
- **تجهلون**: وردت هذه اللفظة المشتقة من الجهل **"أربع مرات"** في القرآن الكريم. وهي قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل:55]. وقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف: 23]. وقوله تعالى: ﴿وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[هود:29].
- **يجهلون**: وردت هذه اللفظة **"مرة واحدة"** في القرآن الكريم. وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[الأنعام: 111].
- **الجاهلون**: وردت هذه اللفظة **"ثلاث مرات"** في القرآن الكريم. وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[الزمر: 64]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾[يوسف: 89]. وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[الفرقان: 63].
- **الجاهلين**: وردت هذه اللفظة المشتقة من الجهل **"ست مرات"** في القرآن الكريم. **وهي** قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: 46]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35].

- **الجاهلية**: وردت هذه اللفظة المشتقة من الجهل **"أربع مرات"** في القرآن الكريم. **وهي** قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾ [الأحزاب: 33]. وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة: 50]. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾ [آل عمران: 154]. وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾ [الفتح: 26]. هذا وقد وقفنا على جميع اشتقاقات مادة "جهل" في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أنواع الجهل

الجهل نوعان هما:

- الجهل البسيط: هو عدم العلم؛ عما من شأنه أن يكون عالما.
- الجهل المركب: هو عبارة عن اعتقاد جازم؛ غير مطابق للواقع[1].

قال صاحب الكوكب المنير: "الجهل المركب من الاعتقاد الذي يعتبر غير مطابق لما في الخارج، أما الجهل البسيط فيقصد به: عدم العلم، والمعرفة، أو هو انتفاء إدراك الشيء بالكلية".[2] وبالمثال يتضح المقال: "لو أن رجلا، سئل كم أركان الاسلام، فقال: لا أعلم، فهذا جاهل جهلا بسيطا؛ لأنه لا يعلم كم أركان الإسلام، وحينما سئل عنها قال: لا أعلم؛ فهذا جاهل بأركان الإسلام، ويعلم أنه جاهل بها، ولو أن رجلا سئل كم أركان الاسلام، فقال: عشرة، فهذا جاهل جهلا مركبا؛ لأنه جاهل بأركان الإسلام، ولا يعلم أنه جاهل بها، بل قال حينما سئل عنها : عشرة؛ يظن من نفسه أنه يعرفها؛ وهو جاهل بها، فهذا الرجل، جاهل؛ ولكنه لا يعلم بأنه جاهل، ودليل ذلك؛ أنه أجاب إجابة خاطئة، والأول حينما سئل كم أركان الإسلام مباشرة أجاب لا أعلم؛ لعلمه أنه لا يعرف أركان الإسلام.

ومن خلال ما تقدم يتضح: أن الجهل المركب، مركب من جهلين: الأول: الجهل بالشيء، والثاني: يظن نفسه عالم بالشيء، وهو جاهل به. فصاحب هذا الجهل "جاهل، ولا يعلم أنه جاهل" أو نقول "جاهل، ويظن نفسه عالم". وأصحاب هذا الجهل، هم الذين قال الله عنهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 103 -104] وأيضًا المنافقون الذين أخبر الله عنهم في قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:12].

---

[1] (التعريفات، ص 108) .

[2] (شرح الكوكب المنير، ص77).

وقال أيضًا أبو البقاء:" الجهل: يقال للبسيط، وهو عدم المعرفة عما من شأنه أن يكون عالماً به، ويقال: أيضًا للمركب، فهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للحقيقة ؛ وسمى بهذا الاسم لأنه يعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه، فهذا جهل آخر قد تركبا معًا".[1]

وقال ابن قتيبة:" السفهاء: الجهلة، يقال: سفه فلان رأيه، إذا جهله، ومنه قيل للبذاء: سفه، لأنه جهل".[2]، ويعد السفه من مرادفات الجهل، فيقول الزجاج عن لفظ السفه:" سفه بمعنى جهل، أي: جهل أمر نفسه، فلم يفكر فيها".[3] فالجهل في الحقيقة: هو عدم العلم؛ عما من شأنه العلم، فإن قارن اعتقاد النقيض فيعد مركب.[4]

وقد عرف ابن عاشور الجهل على أنه: "انتفاء العلم، أو تصور الشيء على خلاف حقيقته"[5] وهذا التعريف يشمل النوعان.

أما تعريف لفظ الجهل في اصطلاح الفقهاء:" هو التصرف على خلاف مقتضى الشرع، والعقل مع قيام العقل"[6]، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:13]، والسفهاء في الآية الكريمة هم الجهال[7].

والمختار، ما قاله أبو البقاء: وإن كانت التعاريف كلها تصب في معنى واحد: "الجهل: يقال للبسيط، عدم المعرفة؛ عما من شأنه أن يكون عالماً، ويقال: للمركب، فهو عبارة عن اعتقاد جازم؛ غير مطابق للحقيقة. وسمى بهذا الاسم لأنه يعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه، فهذا جهل آخر قد تركبا معًا".[8]

---

(1) (الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص350).

(2) (تفسير غريب القرآن، ص42).

(3) (فتح القدير الشوكاني، 168/1).

(4) (الأشباه والنظائر، 168/1).

(5) (التحرير والتنوير، 287/1).

(6) (الوجيز في أصول الفقه، ص49).

(7) (الوجوه والنظائر، ص189).

(8) (الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص350).

الفرق بين الجهل المركب والجهل البسيط:

أن الجهل البسيط: هو عدم علم الشخص بالشيء الذي يسأل عنه، وصاحبه يعلم بأنه لا يعرف ذلك الشيء، وأما الجهل المركب فصاحبه جاهل بالشيء الذي يسئل عنه، ويظن من نفسه أنه يعرف، فالأول جاهل يعلم بأنه جاهل، والثاني جاهل لا يعلم بجهله.

المطلب الثالث: نظائر لفظة الجهل في القرآن الكريم

ذكرت فيما سبق لفظة الجهل واشتقاقاتها في القرآن الكريم، وسأتحدث في هذا المطلب عن الألفاظ التي وردت مرادفة للجهل، أي من اشتقاقاته. وهي على النحو الآتي:

1. الضلال: ورد الضلال في القرآن الكريم بمعنى الجهل، ومن ذلك : قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء:20]؛ الضالين في هذه الآية المراد بها الجاهلين، أي وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني الوحي من الله[1]، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]، أي في جهالة جهلاء، وفي حيرة عن الهدى عمياء، لا يعرفون حقًّا، ولا يبطلون باطلا.[2]
2. الغي: ورد الغي في القرآن الكريم بمعنى الجهل ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم : 2]، المقصود ب "وما غوى" أي وما جهل. [3]
3. السفاهة: ورد لفظ السفاهة في القرآن الكريم بمعنى الجهل، ومن ذلك: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 66-67]، المقصود بـ "في سفاهة" قيل: في حُمْقٍ، وخفَّةِ عَقْلٍ، وجهالةٍ.[4] وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ...﴾ [البقرة: 282]. قال الطبري عن مجاهد: السفيه: الجاهل بالإملاء والأمور.[5]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140]. قيل المراد بـ"سفها" جهلا.[6]

---

(1) (ينظر: جامع البيان، 17/ 557)، (أضواء البيان، 6/ 89)، (تفسير ابن كثير، 2/ 158).

(2) (ينظر: جامع البيان، 7/ 369).

(3) (ينظر: روح المعاني، 9/ 210).

(4) (ينظر: اللباب في علوم الكتاب، 186/9).

(5) (ينظر: جامع البيان، 6/ 57) .

(6) (ينظر: محاسن التأويل، 504/4).

المبحث الثالث: أسباب الجهل، ودلائله، وطرق علاجه، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : أسباب الجهل

الجهل داء عضال، ما هيمن على قلب أحد؛ إلا وأودى به إلى العطب، والمهالك، ولما لهذه الخصلة المذمومة من الآثار السلبية المهلكة، والخطيرة، على حياة الفرد، والمجتمع، أحببت أن أعرض أسباب الجهل من خلال الآيات القرآنية. وهي كالآتي:

السبب الأول: الاعتقاد جهلاً بأن العباد يملكون الهداية لأنفسهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: 111]. يبين الله تبارك وتعالى في هذه الآية، أنه سبحانه وتعالى، هو الذي بيده الهداية؛ يهدي من يشاء إلى طريق الحق، ويهدي من يشاء إلى طريق الكفر، والضلال، ولكن كثير من الناس لجهلهم يظنون أن الأمر بيدهم، متى شاؤوا آمنوا، ومتى شاؤوا كفروا، وليس الأمر كذلك بل هو بيد الله سبحانه وتعالى.[1]

وقد جاء في حديث ابن مسعود عن رسول الله، أنه قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أم سعيد، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها".[2]

وقال تعالى أيضا: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35]. وكما في الآية السابقة، فإن الله تبارك وتعالى، يبين لعبادة، أن الهداية، والتوفيق للحق بيده سبحانه، إن شاء لأحد من خلقه الهداية هداه، وإن شاء له الضلالة أضله سبحانه، ولكن الناس لجهلهم بربهم يظنون أن الأمر بيدهم، متى شاؤوا آمنوا، ومتى شاؤوا كفروا؛ بل إن إرادتهم ومشيئتهم، بعد إرادة الله ومشيئته سبحانه وتعالى[3].

السبب الثاني: سوء الظن بالله عز وجل

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ

---

[1] (ينظر: جامع البيان، 47/12)، (الجامع لأحكام القرآن، 67/7)، (تيسير الكريم الرحمن، ص269).

[2] صحيح البخاري، باب القدر ،حديث رقم: (1226)،(2433/6).

[3] (ينظر: جامع البيان، 228/9).

مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 154]. يكشف الله سبحانه وتعالى، في هذه الآية، أهل الشك، والريب، الذين يظنون بالله سبحانه وتعالى كل الظنون الكاذبة، شكاً في موعود الله، وظناً منهم أن الله خاذل نبيه، ومُعْلٍ عليه الكافرين الجاحدين المكذبين، والله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد.[1]

السبب الثالث: الاعتقاد بجواز عبادة غير الله جهلاً

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 64-65]. تبين هذه الآية، جهل الكافرين، وقلة فهمهم، حيث أنهم قالو لرسول الله: تعبد آلهتنا، ونعبد آلهتك. فقد ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة عن بيان سبب نزول هذه الآية: ما رواه ابن أبي حاتم وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "إن المشركين بجهلهم دعوا رسول الله إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إلهه، فنزلت: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ...﴾[2]

السبب الرابع: الجهل بما يلزم العلم به من الدين

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]. بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، أن الجهل والظلم، هما السببان اللذان دفعا الإنسان إلى حمل الأمانة وإضاعتها، إذ لولاهما لما تحمل الإنسان الأمانة؛ وهو يعلم عظمها عند الله، ثم يضيعها، وقد تبرأت السموات، والجبال منها، وهذا الجهل لا يعذر به صاحبه، إذ هو مما لا يسع أحد جهله؛ بل يجب تعلمه إذ هو من العلم الواجب على الإنسان تعلمه.[3]

السبب الخامس: فهم الشيء على خلاف ما هو عليه

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 273]. يتضح من خلال التأمل والتدبر في معنى هذه الآية، أن فهم الشيء على خلاف ما هو عليه؛ سبب

---

(1) (ينظر: تفسير ابن كثير، 2/ 145)، (وجامع البيان، 224/3).

(2) (ينظر: تفسير ابن كثير، 2/ 112)، (والتحرير والتنوير، 37/24).

(3) (ينظر: التحرير والتنوير، 22/ 130).

من أسباب الجهل، لأن الفقراء المتعفّفين عن مسألة الناس، لا يعرف حالهم إلا عالم بأحوال الناس يفرق بين الغني والمتعفف عن المسألة، وأما من يظن المتعففين عن المسألة أغنياء على خلاف الواقع فدافع ذلك الجهل، وهذا جهل مركب لأنهم فقراء، ويظنهم الجاهل أغنياء.[1] والحسبان: "أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه القول".[2]

وقد وضح الرسول حالهم وصفاتهم التي كانوا عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله قال: "ليس المسكين الذي يطوف على الناس تردّه اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس".[3]

السبب السادس: فعل السيئات والقيام بما لا يجب القيام به

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54]. تبين هذه الآية أن كل من عمل سوءاً فيعد جاهلا وسبب إقدامه على ذلك الجهل[4].

السبب السابع: الكلام السيء البذيء النابع عن الجهل

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]. والجهل: هنا ضد الحلم والرشد، وهو أشهر إطلاق الجهل في كلام العرب قبل الإسلام، فالمراد بالجاهلين السفهاء كلهم لأن التعريف فيه للاستغراق".[5]

---

(1) (ينظر: جامع البيان، 594/5)، (والجامع لأحكام القرآن، 342/3)، (وتفسير غريب القرآن، ص88)، (وتفسير السمعاني، 277/1).

(2) (المفردات للأصفهاني، 234/1).

(3) (البخاري، 538/2، كتاب الزكاة ، باب: لا يسألون الناس إلحافًا، حديث رقم: 14.9).

(4) (جامع البيان، 8/ 89، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم 1/ 257).

(5) (التحرير والتنوير، 229/9)، (وتفسير ابن أبي حاتم، 2722/8).

المطلب الثاني: دلائل الجهل في القرآن الكريم.

يمكننا الإشارة إلى دلائل الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الجهل، وبيان قيمتها التفسيرية من خلال تعدّد مستويات اللغة والدلالة النحوية، ومن هذه الدلالات القرآنية ما يأتي:

1. أن أغلب صيغ لفظ الجهل جاءت على وزن (فعُول) الدالة على الكثرة والمبالغة في الاتصاف بالجهل.
2. تعد مضادات ومقابلات لفظ الجهل صفات ثناء ومدح، مثل: العلم والحلم والرشد، والحكمة وما يقابلها، من خلال وصف يكون دلالته ذم الأحوال التي كان الناس عليها في فترة ما قبل الإسلام، وبهذا قد قام الإسلام بالتحذير منها، وهذا ما يلزم البعد والحذر عن مشابهة الكافرين في مثل هذه الأحوال.
3. جاء لفظ الجهل بصيغة الفعل المضارع (يجهلون -تجهلون) الذي يدل على الاستمرار والتجديد لحدوث هذا الفعل الذي قام به، وهذا يدل على أنه سلوك ظاهر ثابت لمن نسب إليه.[1]

قال ابن عاشور "وزيادة قوله: قومًا يدل على أن جهلهم صفة لازمة لهم، كأنها من مقومات قوميتهم".[2]

4. قد ورد لفظ الجهل بتنوع بين السور المدنية وعددها (سبع سور) ، والسور المكية وعددها (عشر سور)؛ وهذا يدل على حضور هذا المفهوم في الاعتقاد والتصور، كما يدل على حضوره في السلوكيات والأفعال.
5. ورد الجهل مع معطوفاته ومضافاته ومرادفاته في نسق الذم والقبح، مثل: مجيء الجهل مع الظلم، ومجيء الجهالة مع عمل السوء.[3]

المطلب الثالث: طرق علاج الجهل.

لما كان الجهل من الآفات الخطيرة، التي تلاحق الأفراد، والمجتمعات، كان لزاما علينا، أن نبحث عن طرق لعلاج هذه الآفة الخطيرة، والظاهرة الممقوتة.

فمن الطرق التي تدفع الجهل وتقي منه ومن آثاره:

1. طلب العلم

قال تعالى:﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114]، في هذه الآية الكريمة، يأمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، بطلب الزيادة في العلم؛ والعلم ضد الجهل، فكلما ازداد المرء علما؛ كلما ابتعد عن الجهل، وما أمر الله نبيه بأن يتزود من شيء سوى العلم؛ لما له من أهمية في دين الله.[4]

---

(1) (مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، ص83).

(2) (التحرير والتنوير، 56/12).

(3) (مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، ص83).

(4) (ينظر: محاسن التأويل، 7/ 150)

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:63]، يفهم من هذه الآية، أن العلماء الربانيين، هم من ينهون الناس عن الإثم، وأكل السحت، وعلمهم، هو الذي دفعهم إلى نهيهم غيرهم عن الإثم، وأكلهم السحت، ومعصية الله هي نوع من أنواع الجهل[1]

2. مجالسة الصالحين.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28]، يأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وغيره أسوته في الأوامر والنواهي أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله.[2]

3. التأمل والتدبر في خلق الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 190-191]، قال وهب بن منبه: "ما طالت فكرة أمريء قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل".[3] والتأمل والتدبر هو الدافع للعلم؛ الذي يرتفع به الجهل. وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: "أخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء، إلا رأيت لله فيه نعمة ولي فيه عبرة"[4]

وفي هذه الآية الكريمة الحث على التفكر، والتأمل في ما خلق الله، وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الذاكرين الله قياما، وقعودا، والمتفكرين في خلق السموات والأرض، وما من عمل يخصه الله بالمدح إلا وهو من الأعمال التي يحبها سبحانه وتعالى، ويرغب فيها، ويحث البشرية على فعلها، ومن هذا البيان نستفيد أن المتفكر في خلق الله إذا وصل بهذا التفكير إلى أنه لا خالق لهذه المخلوقات إلا الله وحده زال عنه الشك والجهل وتعزز معتقده وقوي إيمانه، وبذلك نتيقن أنّ التفكر والتأمل فيما خلق الله من أعظم الأسباب الدافعة للجهل.[5]

---

(1) (ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص:237)، (ومجموع فتاوى ابن تيمية "التفسير"، 4/ 52)

(2) (ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص237)

(3) (تذكرة الحفاظ، 77/1).

(4) (طبقات الصوفية، ص74).

(5) (جامع البيان، 7/ 475)

4. تقوى الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:2-3]، قال الربيع بن خثيم: (يجعل له مخرجا) أي: من كل شيء ضاق على الناس[1]" وليس شيء أضيق على المرء من الجهل فبتقوى الله يكون لك مخرجا من الجهل كما قال الله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا... ﴾ [البقرة:282].

5. مجاهدة النفس.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]، نعلم جميعا أن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الناس وهم العلماء الربانيون[2]"والله سبحانه وتعالى إذا وهبك العلم رفع به عنك الجهل.

6. ترك الجدال.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج:3] من الناس طائفة وفرقة سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يجادلون بالباطل الحق، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق،[3] وهذا غاية الجهل، والجدال من الجهل فكلما اجتنبه الإنسان تعلم وارتفع عنه الجهل.

---

(1) (تفسير ابن كثير، 8/ 146)

(2) (تيسير الكريم الرحمن، ص636)

(3) (تيسير الكريم الرحمن، ص533)

المبحث الرابع: الجهل، وآثاره العقدية، والسلوكية في القرآن الكريم: وفيه مطلبان

المطلب الأول: آثار الجهل العقدية

أولاً: الجهل بقدر الله وقدرته وعظمته.

قال تعالى:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]، هذه الآية المباركة: فيها اللوم على من لم يقدر الله حق قدره إذ هو الكامل من جميع الوجوه، مسدي النعم، ودافع النقم، المستحق للعبادة وحده دون سواه، وما دفعهم إلى عدم قدر الله حق قدره إلا الجهل به سبحانه وتعالى.[1]

ثانيًا: سذاجة الفهم مما يوقع في فساد العقيدة.

قال تعالى:﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، لما كان الجهل مسيطرا على عقول قوم موسى، دفعهم إلى أن يطلبوا من نبيهم، أن يجعل لهم أوثانا يعبدونها، مع أن ذلك يخرجهم من الملة، ولم يرسل الله الرسل، وينزل عليهم الآيات؛ إلا ليدعوا قومهم إلى توحيد الله، وينهوهم عن عبادة الأوثان، ولكنه الجهل الذي يورد المرء إلى المهالك.[2]

ثالثاً: التشكيك في الغيبيات وعدم اليقين بها

من ظهور الجهل ظهور الكلام في الدّين بغير علم، وهو الكلام بغير برهان من الله، وبرهان الله كتابه[3]، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، آية: 168-169]، فمذهب السلف، هو عدم الخوض في المغيبات، وخصوصًا في مسائل الأسماء والصفات، فإنه ظن؛ والظن يخطئ ويصيب.[4]

رابعاً: الوقوع في منهج أهل البدع والأهواء، قال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الروم: 29]، يبين الله تبارك وتعالى في هذه الآية، ضلال من أعرض عن اتباع الحق واتبع هواه بغير علم، فمن يهديه إذا أعرض عن طلب الهداية من الله، وقدم هواه على شرع الله. قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ

---

(1) (ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص729).

(2) (التحرير والتنوير، 82/9)، (وجامع البيان، 84/13).

(3) (ينظر: الاستقامة، ١/ ٤٥٧).

(4) (أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، ص55).

قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5]، والوقوع في منهج أهل البدع، والأهواء، من آثار الجهل، إذ العالم، لا يمكن أن يقع في ذلك؛ بل يدفعه علمه إلى البعد عن ذلك.[1]

وقال تعالى:﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[الزخرف: 54]، "أي استخف فرعون قومه، أي وجدهم جهالاً، وقيل: حملهم على الخفة والجهل، يقال: استخفه عن رأيه، إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب".[2]

قال ابن تيمية –رحمه الله-: "أما أهل البدع: فهم أهل شبهات، يتبعون أهواءهم فيما يحبونه ويبغضونه، ويحكمون بالظن والشبه؛ فهم يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى، فكل فريقٍ منهم قد أصل لنفسه أصل دينٍ صنعه؛ إما برأيه وقياسه الذي يسميه عقليات؛ وإما بذوقه وهواه".[3]

وقال ابن القيم –رحمه الله-: في بيان أثر مسلك القياس الفاسد، على فكر أهل البدع من الجهمية، والقدرية، والمعتزلة، ومن شابههم، "استعمل أهله قياساتهم الفاسدة، وآراءهم الباطلة، وشبههم الداحضة، في رد النصوص الصحيحة الصريحة؛ فردوا لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم، ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلاً، فقابلوا النوع الأول: بالتكذيب، والنوع الثاني: بالتحريف والتأويل".[4]

المطلب الثاني: الجهل وآثاره السلوكية

أولاً: الظلم والجور في الحكم

فما حمل كثير من الخلق على الظلم، والجور في الحكم إلا الجهل، فالجهل حمل كثير من الخلق على استبدال الأحكام الإلهية، بإحكام وضعية، لا أصل لها في شريعة الله، فحكموا بها، فطغوا، وبغوا، وظلموا، وتجبروا، وتكبروا، وكان من نتائج ذلك، حال الأمة الإسلامية اليوم، وماهي عليه من الظلال، والهوان، والبعد عن كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى :﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:50].[5]

---

(1) (التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ص39)، (وجامع البيان، 97/20).

(2) (معالم التنزيل، 217/7).

(3) (النبوات، 421/1، 422).

(4) (إعلام الموقعين، 55/1).

(5) (معالم التنزيل، 116/2)، (ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، 130/5)، (وعقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع، ص116).

ثانيًا: الاضطراب عند مواطن الكرب والشدة

يبتلي الله عباده في الحياة الدنيا، فليحقهم من الكرب، والشدة، والهزيمة، وأقدار الله المؤلمة، ليميز سبحانه وتعالى عباده الصابرين المحتسبين – الذين يتلقون الأفراح بالشكر، والأحزان بالصبر والاحتساب، فيعيشون في هذه الحياة مطمئنين لما يجري لهم فيها، من خير وشر، لعلمهم بأنها دار ممر وليست دار مستقر، وأن الحياة الحقيقة هي الآخرة، وأن ما يجري عليهم في الدنيا، هو خير لهم، من سراء، أو ضراء– من أولئك الجهلة – الذين ما إن تعصف بهم فتنة، أو بلية، أو كرب، أو هم، أو حزن، إلا ونكسوا على أعقابهم، وظنوا بالله الظنون، لضعف توكلهم على ربهم، ولرقة إيمانهم ومعتقدهم، فتجدهم يثبطون أولياء الله، ويرجفون في الأرض، ويشكون بنصر الله تعالى لأوليائه، وكل هذا بسبب الجهل بالله، وبقدرته، وبتدبيره للكون، فلعل هزيمة اليوم، تجلب النصر غدا، ولعل كرب ساعه، يعقبه فرج الدهر كله، ولكن أكثر الخلق لا يعلمون. قال تعالى:﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[آل عمران: 154].[1]

ثالثًا: عدم إدراك ما تؤول إليه الأمور

الجاهل فكره محدود، ونظرته قاصرة، فتجده ينظر للأمور بنظرة الحال، ويغفل عن المآل ويغتر بهذه الحياة الدنيا، وبزخارفها، وملذاتها، وشهواتها، ويغفل عن ما بعدها، من الموت، والقبر، والحشر، والنشر، والصراط، والجنة أو النار، فتجده يحرص على أمور الدنيا، بأي طريق مشروعا، أو غير مشروع، وما حمله على ذلك إلا الجهل، وذلك لعدم علمه بما تؤول إليه الأمور .قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13].[2]

رابعًا: الحمية المقيتة والتعصب لها

قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: 26]، يبين الله تبارك

---

[1] (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 46/1)، (وتيسير الكريم الرحمن، ص153)، (وجامع البيان، 320/7).

[2] (ينظر: جامع البيان، 293/1)، (ومفاتيح الغيب، 356/5).

وتعالى في هذه الآية، أن الذي دفع الكفار على منع المسلمين من دخول المسجد الحرام، هي الحمية الجاهلية المقيتة وهذه الحمية صادرة عن الجهل الذي غطى على عقولهم[1]

خامسًا: استحلال ما حرم الله وترك ما أمر الله به

اذا كان الإنسان جاهلا بدين الله وبشرعه، اتخذ هواه دليلا له فلا يعرف حلالا ولا حراما فيستحل ما حرم الله ويترك ما أمر الله به، متبعا لهواه، جاهلا ما ينفعه أو يضره ، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:29].[2]

سادسًا: المراء والجدال الباطل

ينبغي على كل مسلم أن يبتعد عن الجدال المذموم، وأن لا يجادل إلا بالتي هي أحسن، وبالأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، المدعومة بالكتاب، والسنه، وأن يتجرد للحق بعيدا عن الانتصار للنفس، يتمنى ظهور الحق والصواب له أو لغيره، لا يفرق في ذلك سواء كان الحق معه، أو مع غيره، مقصوده، ومراده الوصول الى الحق والصواب، لا الانتصار للنفس، وغلبة الغير، وبهذا التجرد لله يُهدى العبد للصواب، ويسلم في دينه، ودنياه، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: 5]، وقال تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: 8]. [3]

المبحث الخامس: الجاهلون في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أصناف الجهلة وكيفية التعامل معهم.

يكون الإنسان في فترة الجهل على أربع منازل، كالآتي:

الأولى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22].

الثانية: من لا يفكر تفكيرًا لا طالحًا ولا صالحًا، فالتعامل معه في إرشاده سهل، إذ كان له طبع سليم، فإنه مثل اللوح الأبيض، لم يشغله نقش، وكأرض بيضاء لم يلق فيها بذر، ويقال له باعتبار العلم النظري: غفل، وباعتبار العلم العملي يقال له: سليم الصدر.

الثالثة: يعتقد الشخص اعتقادًا فاسدًا، وقد عرف نفسه أن معتقده فاسد، أو كان له القدرة في معرفته، لكنه اكتسب دنية لرأسه، وكرسيا لرئاسته، فهو من ذاك الذي يذم أهل الجهل، ويقوم بمجادلة أهل الحق على

---

(1) (ينظر: التحرير والتنوير، 193/26).

(2) (تيسير الكريم الرحمن، 193/2)، (والجامع لأحكام القرآن، 194/3).

(3) (تيسير الكريم الرحمن، ص 533)، (وأضواء البيان، 261/4).

الاعتقاد بأنه باطل، غايته ليجر الناس له، ويقال له: منافق، وفاسق، وهو من الموصوفين بالتكبر، والاستكبار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[المنافقون: 5]، فقد أكد الله سبحانه وتعالى أنهم جماعة ينكرون ما يقولونه ويقوموا بفعله، وهذا لأنهم من صفاتهم التي اشتهروا بها هي إنكار المعرفة، ولكن يستكبرون عن الالتزام بالحق والإيمان به.

الرابعة: الشخص الجاهل يعتقد لرأى فاسد، لكنه لم ينشأ عليه، ولا يتعود عليه، ولا يتربى عليه، فهديه هنا سهل، حتى وإن كان صعب فيعد من الأول، على أنه تلك اللوحة التي نكتب فيها ما نريده، ونمحو ما نريد أن نخفيه، وكأرض يحتاج فيها إلى تنظيف، ويقال له: ضال"[1].

ولكل واحد من هؤلاء طريقة خاصة للتعامل معه، وفق ما أمر الله به سبحانه وتعالى، بالحكمة، واللين، والموعظة الحسنة لدفع الجهل عنه، وإعادته إلى الصواب، والرجوع إلى طريق الرشد، والصلاح، مع الصبر، والاحتساب، وسعة الصدر، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125] وقال سبحانه وتعالى أيضا: وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3]

المطلب الثاني: وصف القرآن الكريم لبعض الأمم الكافرة بالجهل.

ومن ذلك على سبيل المثال:

أولا: ما وصف به نوح قومه لما كفروا بربهم، وكذبوا رسولهم الذي أرسله الله تبارك وتعالى إليهم، بالبينات، وبالهدى، وبالدلائل الواضحات، ينعتهم بالجهل لكفرهم، ولردهم ما جاءهم به من عند الله، حيث قال لهم: ﴿وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29].

ثانيا: ما وصف به لوط قومه، حينما دعاهم الى عبادة الله وحده، وترك ما سواه من الآلهة التي لا تملك لهم نفعا، ولا ضرا، لما قالوا له: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف:22] فقال لهم كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف: 23].وقال لهم أيضا : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل : 55].

---

[1] (الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص165).

ثالثا: أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يخاطب المشركين بالجهل، لما قالوا له تعبد آلهتنا، ونعبد آلهتك. قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: 64]. [1]

المطلب الثالث: عقوبة الجاهلين

إنه بعد التأمل والتدبر في كتاب الله، تبارك وتعالى، وحديثه عن الجهل، والجاهلين، تبين لنا أن الجاهلين من حيث العقوبة صنفان:

الصنف الأول: الكافرون المعاندون الذين كفروا بربهم واشركوا به.

هذا الصنف من الناس تعمدوا الكفر بالله، واتبعوا ما كان عليه آبائهم، واجدادهم، من الكفر، وعبادة الاصنام، والأوثان، من دون الله تبارك وتعالى، فكذبوا رسلهم.

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف:22، 23][2]، فهؤلاء، اتبعوا آبائهم، واجداهم، وكذبوا رسول ربهم، وكفروا بربهم، وقس على ذلك عموم الكفرة، الذين نعتهم الله بالجهل في القرآن الكريم. وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: 103-105].

الصنف الثاني: المؤمنون الذين غلبتهم الشهوة والشيطان فارتكبوا ما حرم الله

فهذا الصنف من الناس، هم من آمنوا بربهم. ووحدوه سبحانه وتعالى. ولكنهم تغلبهم النفس الأمارة بالسوء، فتصدر منهم المخالفات الشرعية، والتي تعد جهلا منهم على أنفسهم، وإن كانوا عالمين بتحريم ما اقترفوه من الذنوب، والمعاصي، قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:54]، وهذا الصنف من الجاهلين، إذا ادرك جهله على نفسة وتاب إلى الله وأناب، فسوف يتوب الله عليه، ويبدل الله سيئاته حسنات ،كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:70].

---

[1] (تيسير الكريم الرحمن ص: 729)

[2] (ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص782)

الخاتمة.

ومن النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

1. أن الجهل نوعان هما: بسيط، ومركب، فالجهل البسيط علاجه أسهل من الجهل المركب.
2. ورد لفظ الجهل بالقرآن الكريم باشتقاقات عديدة، وله نظائر عدة في القرآن الكريم، وذكر القرآن أسباب الجهل، وطرق دفعه
3. وصف الجهل لا يقتصر على المخالفين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ بل وصفت به أمم سابقه، كذبت، وخالفت الرسل السابقين.
4. ذكر الجهل في القرآن صفة ذم مطلقه، شاملة لكل تصور، أو اعتقاد، أو سلوك، أو لفظ، أو منهج خالف الحكمة، والعقل، والحق.
5. أن الجهل سبب النزاع بين المسلمين، سواء في دينهم، أو دنياهم. وأعظم ما يحارب به الجهل، هو العلم الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة، بفهم علماء السلف الصالح.

ومن أهم التوصيات التي أوصى بها في هذا البحث:

1. ضرورة العناية بالعلم، وأخذه عن العلماء الصادقين المخلصين. والحرص على معرفة الحق، مع التجرد له بعيدا عن الالتفات لحظوظ النفس.
2. المداومة على طلب العلم، والتحذير من الجهل، وخطره على المجتمعات. والابتعاد عن الجدال، إلا في أضيق الأحوال، وليكن بالحكمة، والموعظة الحسنة.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع.

1. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد. "**تفسير القرآن العظيم**" تحقيق أسعد محمد الطيب. (ط3، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ)
2. ابن الدامغاني، عادل الدرة. "**الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**" تحقيق طلال الحديثي. (دمشق: دار العرب، 2012م)
3. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم الحراني. "**الاستقامة**" تحقيق د. محمد رشاد سالم. (ط1، المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1403هـ)
4. ابن تيمية. "**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**" تحقيق: د. محمد رشاد سالم. (ط1، المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1403هـ)
5. ابن تيمية. "**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**"، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل. (ط7، بيروت: دار عالم الكتب، 1999م).
6. ابن تيمية. "**النبوات**" تحقيق: عبدالعزيز بن صالح الطويان. (ط1،الرياض: أضواء السلف، 2000م).
7. ابن تيمية. "**التحفة العراقية في الأعمال القلبية**" (ط2،القاهرة: المطبعة السلفية، 1399هـ).
8. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. "**التحرير والتنوير**" (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ).
9. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. "**تفسير القرآن العظيم**" تحقيق: سامي محمد سلامة (ط2، دار طيبه للنشر والتوزيع، 1420هـ).
10. ابن كثير. "**تفسير القرآن العظيم**" تحقيق: محمد حسين شمس الدين (ط1،بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ).
11. ابن كثير. "**تفسير القرآن العظيم**" تحقيق: محمود حسين (ط1،بيروت: دار الفكر، 1414هـ).
12. ابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر. "**طبقات الشافعية**" (ط1، بيروت: عالم الكتب 1407 هـ).
13. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. "**تفسير غريب القرآن**" شرحه وعلق عليه إبراهيم رمضان. (ط1، مكتبة الدراسات والبحوث العربية والإسلامية: دار مكتبة الهلال، 1991م).
14. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. "**زاد المعاد في هدي خير العباد**" (ط27،بيروت: مؤسسة الرسالة،1415هـ).
15. ابن قيم الجوزية. "**إعلام الموقعين**" تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م)

16. ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. "**سنن ابن ماجه**" تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار الفكر).

17. ابن منظور، محمد بن مكرم. "**لسان العرب**" (ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ).

18. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد "**الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان**" تحقيق الشيخ زكريا عميرات. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ).

19. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الحنفي. "**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**" تحقيق عدنان درويش، محمد المصري. (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1837م).

20. أبو البقاء، محمد المعروف بابن النجار الحنبلي. "**شرح الكوكب المنير**" تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد. (مكتبة العبيكان).

21. أبو العباس، أحمد بن عجيبة الحسني. "**البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**" تحقيق أحمد عبدالله القرشي رسلان. (القاهرة، 1419هـ).

22. أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي. "**روح البيان**" (بيروت: دار الفكر).

23. أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. "**الذريعة إلى مكارم الشريعة**" تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. (القاهرة: دار السلام، 1428هـ).

24. أبو القاسم، الراغب الأصفهاني "**المفردات في غريب القرآن**" تحقيق صفوان عدنان الداودي، (ط1، بيروت دمشق: دار القلم ـ الدار الشامية، 1412هـ).

25. أبو تراب، عبد الباقي بن يوسف بن علي بن هارون المراغي. "**سير أعلام النبلاء**" (القاهرة: دار الحديث، 2006م).

26. أبو حفص، سراج الدين عمر بن علي النعماني. "**اللباب في علوم الكتاب**". تحقيق الشيخ عادل، (ط1، بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـ).

27. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي. "**البحر المحيط**" تحقيق صدقي محمد جميل. (بيروت: دار الفكر، 1420).

28. أبو جعفر، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي "**الجامع الصحيح سنن الترمذي**" تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

29. أبو عبدالله، أحمد بن حنبل، "**مسند الإمام أحمد بن حنبل**". تحقيق أحمد محمد شاكر. (ط1، القاهرة: دار الحديث، 1995م).

30. أبو عمر، يوسف النمري القرطبي. "**جامع بيان العلم وفضله**" تحقيق أبي الأشبال الزهيري. (ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1994م).

31. أحمد عبدالله نوح، وسعيد إبراهيم صهيود، "**مادة جهل في القرآن الكريم دراسة لغوية**" (أبحاث مجلة البصرة، كلية التربية الرياضية، قسم اللغة العربية، جامعة البصرة، 2011م).

32. أحمد علي الفيومي. "**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**" (بيروت: المكتبة العلمية).

33. الألوسي، شهاب الدين محمود عبد الله "**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**" المحقق علي عبد الباري عطية. (ط1،بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ).

34. البخاري، محمد بن إسماعيل . "**صحيح البخاري**" تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ).

35. البغوي، الحسين بن مسعود. "**معالم التنزيل**" تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. (دار طيبة، 1989 م).

36. البيضاوي، محمد الشيرازي. "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**" تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي. (ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ).

37. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. "**تعريفات الجرجاني**" تحقيق جماعة من العلماء. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ).

38. الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن. "**سنن الدرامي**" تحقيق حسين سليم أسد الداراني. (ط1، المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، 1412هـ).

39. الرازي، محمد بن أبي بكر الحنفي "**مختار الصحاح**" تحقيق يوسف الشيخ محمد. (ط5، بيروت: الدار النموذجية، 1999م).

40. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. "**مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير**" (ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ)

41. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله. "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**" تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق. (ط1، مؤسسة الرسالة، 2000م).

42. السمعاني، منصور بن محمد. "**تفسير القرآن**" تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. (ط1، الرياض: دار الوطن، 1997م).

43. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. "**بحر العلوم**" دار الكتب العلمية، 1413 – 1993.

44. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. "**العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**" تحقيق خالد بن عثمان السبت، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد (ط2، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1426هـ).

45. الشنقيطي، محمد الأمين. "**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**" (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ).

46. الشوكاني، محمد بن علي. "**فتح القدير**" (ط1، دمشق . دار ابن كثير، دار الكلم الطيب. بيروت، 1414هـ).

47. العيني، محمود بدر الدين. "**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**" (بيروت: دار إحياء التراث).

48. الصنعاني، وهب بن منبه الحافظ. "**تذكرة الحفاظ**" (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،1998م).

49. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. "**جامع البيان في تأويل القرآن**" المحقق أحمد محمد شاكر (ط1،مؤسسة الرسالة، 1420هـ).

50. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. "**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**" (دار الكتب العلمية، 2009م).

51. القاسمي، جمال الدين بن قاسم الحلاق. "**محاسن التأويل**" تحقيق محمد باسل عيون السود. (ط1،بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ).

52. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. "**الجامع لأحكام القرآن**" (مؤسسة الرسالة، 2006م).

53. المراغي، أحمد بن مصطفي المراغي. "**تفسير المراغي**" (ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، 1946م).

54. المقدسي، مرعي بن يوسف الكرمي. "**أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات**" تحقيق شعيب الأرناؤوط. (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ).

55. النيسابوري، محمد بن الحسين بن محمد "**طبقات الصوفية**" المحقق مصطفى عبد القادر عطا. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ).

56. حبنكة، عبدالرحمن حسن. "**ضوابط المعرفة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي الميداني**" (ط3، دمشق: دار القلم، 1414هـ).

57. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان. "**عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع**" (جدة: دار القاسم).

58. طنطاوي، محمد سيد. "**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**" (ط1، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).

59. عبد الكريم زيدان. "**الوجيز في أصول الفقه**" (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة،1430هـ).

60. عفاف بنت يحيي آل حريد، "**آفة الجهل**" (موقع الإسلام، 1433هـ).

61. محمد الينبعي. "**مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي**" (ط1، مصر: دار السلام، 2013م).

62. محمد بن أحمد بن مصطفي زهرة. "**زهرة التفاسير**" (دار الفكر العربي، 1394هـ).

63. محمد رشيد بن علي رضا. "**تفسير القرآن الحكيم**" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).

64. مسلم بن الحجاج النيسابوري، "**المسند الصحيح المختصر**"، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

65. نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد. "**جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**" (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م).

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY
VOL. (1)- Issue 1 Jan 2023 المجلد الأول -العدد الأوّل يناير

الآثار السلبية للمبالغة في التمسك بالمجاز في فهم الحديث النبوي

The negative effects of the excessive uphold towards the metaphor in understanding the hadith of the Prophet.

Muhamad Rozaimi bin Ramle محمد روزيمي بن رملي
Kolej Universiti Islam Perlis (KUIPs) جامعة برليس الإسلامية Universiti Pendidikan Sultan Idris (UPSI) جامعة سلطان إدريس
rozaimi@fsk.upsi.edu.my - rector@kuips.edu.my

Wafika Younes وفيقه يونس
Universiti Pendidikan Sultan Idris (UPSI) جامعة سلطان إدريس
mailto:wafia860@gmail.com

Mohd Azrul Azlen bin Abd Hamid محمد أزرول أزلين بن عبد الحميد
International Islamic University Malaysia (IIUM) الجامعة الإسلامية العالمية -ماليزيا

Muhammad Fathullah al Haq bin Muhammad Asni محمد فتح الله الحق بن محمد أسني
Kolej Universiti Islam Perlis (KUIPs)جامعة برليس الإسلامية

Muhammad Amir Farhan bin Roslan محمد أمير فرحان بن روسلان
Jabatan Mufti Perlis مكتب مفتي برليس
muhammadamirfarhan1995@gmail.com

الملخص.

إن فهم الحديث النبوي فهمًا صحيحًا هو الخطوة قبل العمل بمراد الشرع. ومن القواعد التي تضمن الفهم الصحيح للحديث الالتفات إلى المعنى المجازي. ولكن المبالغة في التمسك بالمجاز تؤدي إلى سوء فهم متون الأحاديث أحيانًا. وقد انتشرت في هذا العصر الفتاوى الشاذة، فإذا بدأ العاقل المنصف بالبحث عن سبب هذا الظاهرة فسيجد أن بعض أسباب ذلك المبالغة في التمسك بالمجاز في فهم الحديث النبوي. فهذا البحث يهدف إلى بيان الآثار السلبية للغلو في التمسك بالمجاز. وقد سلك البحث المنهج التحليلي والنقدي. وذلك بتحليل تأويلات بعض المنتقدين لبعض الأحاديث ونقدها نقدًا علميًا. وقد كشف البحث عن الآثار السلبية للمبالغة في التمسك بالمجاز في فهم الحديث، وهي: توهم ما يخالف العصمة، ومخالفة الحديث المتواتر، ومخالفة أقوال السلف في تفسير الآيات القرآنية.

الكلمات المفتاحيّة: آثار سلبية، مبالغة، المجاز، فهم، الحديث النبوي.

Abstract

The correct understanding of hadith of the Prophet is considered as primary step prior to the practice on the objective of the *Sharia*. One of the rules that ensure the correct understanding of the hadith is to pay attention to the metaphorical understanding. But exaggeration in adherence to metaphoric commitment may lead into misconception at understanding of the text of the hadith. At present they are a lot misleading *fatwas* issued by certain circle. This mainly due to strict adherence metaphoric understanding on textual hadith of the Prophet. This research aims at analyzing effects of exaggeration in adhering to the metaphor. The research is conducted on the basis of analytical and critical method. It also analyzes interpretations of some contemporary scholars and criticizing them scientifically. This study discovers the negative effects of strict adherence toward metaphoric in understanding hadiths which contradicts infallibility which are against hadith *mutawatir* as well as opposing views of *salafi* scholars in giving interpretation toward the Quranic verses.

Keywords: negative effects, exaggeration, metaphor, understanding, prophetic hadith

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ففهمها فهمًا صحيحًا يؤدي إلى فهم الدين وحسن تطبيقه، وسوء فهمها يؤدي إلى سوء التطبيق، وهذا ما نراه اليوم منتشرًا في بقاع الأرض الإسلامية، من انتشار الفرق الضالة والمضلة.

وإن مما لا شك فيه أن النبي ﷺ أفصح العرب، وكان يتكلم باللغة العربية الفصحى. والكلام العربي يتضمن الحقيقة والمجاز، فلذلك رأينا أن بعض الأحاديث النبوية الشريفة حوت المجاز مع أن كثيرًا منها يتضمن الحقيقة. ومن المقرر أنه لا يجوز حمل الحديث على المعنى المجازي إلا بوجود القرينة. فإن المبالغة في التمسك بالمجاز قد تؤدي إلى إهمال المعنى الحقيقي لمتون السنة أو سوء فهمها. وهذا البحث سيتناول قضية آثار الغلو في التمسك بالمجاز، مع ذكر بعض الأمثلة على المبالغة في المجاز وإهمال الحقيقة التي هي أولى وأوضح، وذلك لمجرد الرغبة دون أي أسس أو قواعد يُستند عليها. وسيكون هذا البحث حسب المطالب التالية:

المطلب الأول: توهم ما يخالف العصمة النبوية.

من الآثار السلبية التي تترتب على سوء استعمال المجاز أن يتوهم الشارح عدم العصمة في النبي ﷺ، وأنه إن ثبت هذا الحديث على حقيقته فقد نسب إليه عليه أفضل الصلاة والسلام ما لا يجوز.

ومن الأمثلة على توسع البعض في حمل الأحاديث على مجازها حديث الذبابة، الذي جاء في صحيح البخاري من قول رسول الله ﷺ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ، فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ؛ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالْأُخْرَى شِفَاءً»[1]. والأصل في الكلام الحقيقة كما مر، ولا ينقل إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة ووجود القرينة، وهي مفقودة هنا.

إلا أن بعض المعاصرين[2] لجأ إلى حمل هذا الحديث على مجازه، دون تبيين وجه النقل، ودون توضيح القرينة، ودون أي وجه صحيح، فقط لمجرد أنه يتوهم أن قول النبي ﷺ هذا يخالف عصمته، وأن ظاهر هذا القول لا تستسيغه النفوس، وظنًا بأنه خارج عن معطيات العقل، أو مقتضيات الوقاية الطبية من الأمراض والأوبئة.

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم، ج3، ص1206، رقم الحديث: 3142.

[2] أمثال الدكتور عمر الحمادي، ينظر: عمر-الحمادي https://24.ae/article/428864/، تاريخ: 2019/6/6.

قال الكلاباذي[1]:"يجوز" أن يكون معنى فتنة هذا الداء والشفاء على معنى الطب الروحاني، وقد تكلم في مثل ذلك الأطباء، ومعناه إصلاح الأخلاق، وتقويم الطباع، وتهذيب العادات والسجيات باستخراج الفاسدة منها، وتربية الصالحة منها، وإصلاح ما يمكن إصلاحها؛ فيجوز أن يكون معنى الداء في أحد جناحيه الكبر، فأمر النبي ﷺ أن يغمس الذباب إذا وقع في الإناء ليذهب عن نفسه ترفعها، ويقتل فيها كبرها[2].

ثم بعد ذلك استشهد بما ورد أنه: "وقع الذباب على المنصور فذبه عنه، فعاد، فذبه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد [الصادق]، فقال له المنصور: يا أبا عبد الله! لم خَلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة"[3].

وقال غيره: "إن هذا الحديث من قبيل المجاز، وأن المراد بالداء داء الكبر، وبالدواء حمل النفس على التواضع بتناول ما سقط فيه الذباب"[4].

ولا وجه صحيح لهذا الحمل على المجاز، كما قال المناوي: "قال الزركشي: وَالْأُخْرَى شِفَاءً: حقيقة، فأمر الشارع بمقابلة السمية بما في جناحه الآخر من الشفاء، ولا بُعد في حكمة الله أن يجعلهما في جزء الحيوان الواحد، كالعقرب بإبرتها السم ويداوي منه بجزء منها، فلا ضرورة للعدول عن الحقيقة هنا وجعله مجازًا، كما وقع للبعض حيث جعله من الطب الروحاني بمعنى إصلاح الأخلاق وتقويم الطباع بإخراج فاسدها وتبقية صالحها"[5].

وقال الكرماني: "هذا مما ينكره من لم يشرح الله قلبه بنور المعرفة، ولِمَ لا يُتعجَّب من النحلة؛ جمع الله فيها الشفاء والسم معًا، فتعسل من أعلاها وتسم من أسفلها بحمتها، والحية قاتلة بسمها ولحمها مما يستشفى به من الترياق الأكبر"[6].

---

(1) محمد بن إبراهيم الكلاباذي: (ت380هـ): محمد بن إبراهيم الكلاباذي الحنفي، أبو بكر، محدث، مشارك في بعض العلوم. من آثاره: "بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخيار"، "نبذة من كتاب التعرف لمذهب التصوف"، و"الأشفاع والأوتار". ينظر: عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) (213/8).

(2) أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي: **بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار**، تحقيق: محمد حسن وغيره، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/ 1999م)، ص240.

(3) أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي: **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عواد، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ/1980م)، ج5، ص92.

(4) أبو شهبة محمد بن سويلم: **دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتَّاب المعاصرين**، ط1، (القاهرة: مكتبة السنة، 1989م)، ص169.

(5) عبد الرؤوف المناوي: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط1، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ) ج1، ص453.

(6) محمد بن يوسف شمس الدين الكرماني: **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1401هـ/1981م) ج21، ص50.

ثم جاء اليوم العلم الحديث بالتجارب العلمية اليقينية ليثبت الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وليؤكد عصمته ﷺ حتى فيما يُتخيل عكس ذلك، وأنه إذا وقعت الذبابة على الأكل فإنها ستلمس الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية، كالتيفؤيد والكوليرا، وإذا تبرزت على الغذاء سيُلوث الغذاء أيضًا، أما الفطريات التي تفرز المواد المضادة للحيوية والتي تقتل الجراثيم المرضية الموجودة في براز الذبابة وفي أرجلها، فتوجد على بطن الذبابة، ولا تنطلق إلا بعد أن يلمسها السائل[1].

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لإفساد أثر الجراثيم المرضية التي تنقلها بأرجلها، وكذلك يؤكد الحقيقة التي أشار إليها الحديث، وهي أن في أحد جناحيها داء، أي في أحد أجزاء جسمها الأمراض، وفي الآخر شفاء، وهو المواد المضادة للحيوية التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها[2].

فليس بعد ذلك ضرورة لحمل هذا الحديث على مجازه، وإنما يجب التشبث بحقيقته نصرةً لسنة سيد الخلق، وإثباتًا لعصمته ﷺ، وأنه ما ينطق عن الهوى، بل هو وحي يوحى.

---

[1] أبو شهبة: **دفاع عن السنة**، ص173.

[2] **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، العدد (53)، عام 2002م، جاء فيها: "جاء في المراجع العلمية: 1- في عام 1871م اكتشف البروفيسور بريفلد من جامعة هالة بألمانيا أن ذبابة المنزل مصاحبة بطفيلي من جنس الطفيليات – الفطريات الأشنية، وقد تعمق البروفيسور في دراسة دورة حياته، فعرف أنه يعيش داخل بطن الذبابة في الجزء الدهني بشكل خلايا مستديرة تنمو، فتصبح مستطيلة الشكل، وتخرج من فتحات أو مفاصل حلقات بطن الذبابة للخارج، وبهذا فإنها تعيد دورة حياتها التناسلية، بيد أن بذور الفطر عند تجمعها داخل الخلية يزداد الضغط الداخلي فيها إلى حد معين ينفجر معه جدار الخلية، فتنطلق بذور الفطر بقوة شديدة ولمسافة تصل إلى 200سم خارجها على هيئة رذاذ، مصحوبًا بسائل الخلية وهذا ما نشاهده إذا أمعنا النظر في ذبابة ميتة على لوح زجاج أو شباك فنرى بذور الفطر حول الذبابة، ونرى أماكن انفجار الخلايا من بطن الذبابة ولو فحصناها تحت الميكريسكوب لرأينا شكلها المستطيل، 2- في عام 1945م أعلن أستاذ الفطريات المشهور لانجيرون أن هذا الفطر الذي يعيش دائمًا في بطن الذبابة على شكل خلايا مستديرة فيه أنزيم خاص، يحلل جزءًا من جراثيم المرض المحمول بواسطة الذبابة، 3- في عام 1947م تمكن العالم موفيتش من عزل مواد حيوية مضادة، من مزرعة للفطريات الموجودة على نفس جسم الذبابة، ووجدها ذات مفعول قوي ضد جراثيم غرام السالبة مثل التيفوئيد والديسانتريا وما يشبهها، وإن غرامًا واحدًا من هذه المادة المعزولة يمكن أن يحفظ 1000 لتر من الحليب المتلوث بهذه الجراثيم، 4- في عام 1948م تمكن فريق من العلماء الإنكليز: بريان، وكوتسي، وهمينغ، وجيغرس، ومالحجوان، من عزل مادة مضادة حيوية، من فطريات تنتمي لنفس عائلة فطريات الذبابة أسموها كولتيزين وتؤثر في جراثيم غرام السالبة كالديسانتريا، والتيفوئيد، 5- أكد ذلك مجموعتا آرنشتين، وكوك الإنجليزية ورولبوس السويسرية بعزلهما لنفس المضاد الحيوي من فطريات الذباب في الأعوام 1947-1950 وهذه المادة أسموها جافاسين وتقتل جراثيم غرام السالبة والموجبة كالتيفوئيد والدسنتاريا، 6- وقد أكدت مجموعتان: إنكليزية كوتش، وفارمر وسويسرية جرمان، وروث ماتلنجر، وبلاتز، عام 1949م، وذلك بعزل مادة مضادة حيوية، من فطر الذباب، اسمها إنياثين من نفس القوة والتأثير على جراثيم غرام الموجبة والسالبة كالكوليرا والزهار والتيفوئيد "هـ.

المطلب الثاني: مخالفة الحديث المتواتر.

الحديث المتواتر: هو الحديث الذي رواه جمع كثير يؤمن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، إلى انتهاء السند، وكان مستندهم الحس.

وبناء على هذا التعريف فإنه لا يشترط في رواة المتواتر، ما يشترط في رجال الصحيح أو الحسن من العدالة والضبط، بل العبرة بكثرتهم كثرة تجعل العقل يحكم باستحالة تواطئهم على الكذب.

حتى لو أخبر أهل بلدة كفر أنهم رأوا بأعينهم حريقًا كبيرًا في بلدتهم أو انفجارًا حصل العلم اليقيني بصدقهم.

ومن هنا قرر المحدثون أن هذا النوع لا يدخل في مصطلح الحديث، وليس من صناعة علم المصطلح؛ لأن هذا العلم يبحث فيه عما يوصل إلى صحة الحديث أو حسنه أو ضعفه، والمتواتر لا يحتاج فيه إلى البحث. لأن العمدة فيه على الكثرة التي يحصل بها العلم اليقيني، وهو أمر ضروري فطري يحصل لكل سامع دون حاجة إلى البحث والنظر[1].قال الكتاني[2] في تعريف الحديث المتواتر: "وفي الاصطلاح: قال ابن الصلاح في مقدمة علوم الحديث له: عبارة عن الخبر الذي ينقله من يحصل العلم بصدقه ضرورة، قال: ولابد في إسناده من استمرار هذا الشرط في رواته من أوله إلى منتهاه"[3].

مثال مخالفة الحديث المتواتر.

من الآثار السلبية المترتبة على التوسع في حمل الحديث على مجازه أن يخالف الشارح أحاديث صحيحة بلغت أعلى درجات الصحة كونها من الحديث المتواتر، ومثل هذا تأويل أحاديث الدجال في آخر الزمان.

إن أحاديث الفتن التي تظهر آخر الزمان كثيرة، منها ما هو في أعلى مراتب الصحة، مثل قوله ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»[4].

---

[1] نور الدين عتر: **منهج النقد في علوم الحديث**، ط3، (دمشق: دار الفكر، 1418هـ/1997م) ص405.

[2] الكتاني: (1274-1345هـ): محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، أبو عبد الله: مؤرخ محدث، مكثر من التصنيف. مولده ووفاته بفاس. له نحو 60 كتابًا، منها: "نظم المتناثر في الحديث المتواتر"، و"الرسالة المستطرفة". ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط15، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م) ج6، ص72.

[3] محمد جعفر أبو عبد الله الكتاني: **نظم المتناثر في الحديث المتواتر**، ط2، (مصر: دار الكتب السلفية، د.ت) ص9.

[4] أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ج1، ص43، رقم الحديث: 81، ومسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم...، ج4، ص2056، رقم الحديث: 2671.

ومنها ما هو موضوع، مثل قولهم: "ما أهلك الله سبحانه أمة من الأمم إلا في آذار، ولا تقوم الساعة إلا في آذار[1]"[2].

فعلى المسلمين تحري الدقة في قبول أو رد أيٍّ من هذه الأحاديث، فلا نأتي إلى أحاديث الصحاح ونردها، وندور على الضعاف فنقبلها.

وممن وقع في هذا بعض المعاصرين حين تأولوا الأحاديث الثابتة في صحيحي البخاري ومسلم، واستندوا في ذلك على المجاز، فقالوا: بأن النبي ﷺ حين قالها ما أراد حقيقتها، وإنما مجازها.

فمن ذلك تأويل الأحاديث الواردة في شأن المسيح الدجال الذي يجيء في آخر الزمان، ومعه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت. ومن هذه الأحاديث:

– قال رسول الله ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»[3].

– وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[4].

– وقال: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنْ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»[5]. وغيرها أيضًا كثير.

---

(1) آذار هو الشهر الثالث من شهور السنة الميلادية حسب الأسماء السريانية المستعملة في المشرق العربي، يقابله في التسمية الغربية شهر مارس، ارتبط آذار بالتراث والحكايا الشعبية والأمثال في المشرق العربي. ينظر: الموسوعة ويكيبيديا، آذار https://ar.wikipedia.org/wiki/، تاريخ: 2019/6/2.

(2) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي: **الموضوعات**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط1، (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، 1386هـ/1966م) ج2، ص74، قال أبو الفتح الأزدي: هذا كذب، وأبو شيبة متروك الحديث.

(3) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ج6، ص2608، رقم الحديث: 6712، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ج4، ص2248، رقم الحديث: 2933.

(4) أخرجه البخاري: أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ج2، ص665، رقم الحديث: 1782، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ج4، ص2265، رقم الحديث: 2943.

(5) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، ج3، ص1215، رقم الحديث: 3160، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ج4، ص2250، رقم الحديث: 2936.

قال الكتاني في خروج المسيح الدجال: "ذكر غير واحد أنها واردة من طرق كثيرة صحيحة عن جماعة كثيرة من الصحابة، وفي التوضيح للشوكاني منها مائة حديث، وهي في الصحاح والمعاجم والمسانيد، والتواتر يحصل بدونها فكيف بمجموعها، وقال بعضهم: أخبار الدجال تحتمل مجلدات وقد أفردها غير واحد من الأئمة بالتأليف"[1].

فجاء بعض المعاصرين ومنهم الشيخ محمد عبده[2] وحملوا هذه الأحاديث على المجاز، وقالوا بأنها ترمز إلى الحضارة الغربية السائدة الآن، فهي حضارة عوراء، مثلما وصف الدجال بأنه أعور، وأنها تنظر إلى الحياة والإنسان بعين واحدة، هي العين المادية فقط، وما عدا ذلك لا تراه، فلا روح للإنسان، ولا إله للكون، ولا آخرة بعد الحياة الدنيا. فهذا الحمل المجازي لأحاديث الدجال مخالف لما أثبتته السنة المتواترة أن الدجال إنسان، يولد من أبوين يهوديين، وأنه سيخرج في آخر الزمان، عارضًا فتنته على الأمة، فمن اتبعه خسر وخاب، ومن تمسك بالعروة الوثقى فهو في الآخرة من المفلحين.

وكان محمد رشيد رضا[3] ممن تأوَّل خروج المسيح الدجال في آخر الزمان، واعتبرها خرافة حيث قال: "بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين، ليفسد عليهم دينهم وسنتهم، وخدع به الناس لإظهار التقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وجملة أخبار الدجال قالوا: إنها متواترة، يعنون التواتر المعنوي، وهو أن لها أصلًا، وإن لم يتواتر شيء من رواياتها، ويدل القدر المشترك منها على أن النبي ﷺ كشف له وتمثل له ظهور دجال في آخر الزمان، يظهر للناس خوارق كثيرة وغرائب يفتتن بها خلق كثير، وأنه من اليهود، وأن المسلمين يقاتلونه ويقاتلون اليهود في هذه البلاد المقدسة وينتصرون عليهم، وقد كشف له ذلك مجملًا غير مفصل ولا بوحي عن الله تعالى، كما كشف له غير ذلك من الفتن، فذكره، فتناقله الرواة بالمعنى، فأخطأ كثير منهم، وتعمد الذين كانوا يثبتون الإسرائيليات الدس في رواياته، ولا يبعد أن يقوم طلاب الملك من اليهود الصهيونيين بتدبير فتنة في هذا المعنى يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون العصرية كالكهرباء والكيمياء وغير ذلك والله أعلم"[4].

---

(1) الكتاني: **المتناثر من الحديث المتواتر**، ص228.

(2) محمد رشيد بن علي رضا: **تفسير المنار**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)، (261/3).

(3) محمد رشيد بن علي رضا: (1865-1935م): في قرية القلمون، كان أبوه "علي رضا" شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها، حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، يعتبر محمد رشيد رضا مفكرًا إسلاميًا من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفيًا وكاتبًا وأديبًا لغويًا. هو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده، أسس مجلة المنار على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده، ويعتبر حسن البنا أكثر من تأثر برشيد رضا. ينظر: الموسوعة ويكيبيديا، *https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد رشيد رضا*، تاريخ: 2/ 6/ 2019.

(4) محمد رشيد رضا: **تفسير المنار**، (416/9).

وقال: "إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها"[1].

وممن وقع في مثل هذا أيضًا الشيخ محمد الغزالي رحمه الله[2]، فقد تأوَّل بعض أحاديث الدجال، ورد بعضها الآخر على صحتها وكثرتها، وإن كانت ضمن المتواتر من الأحاديث[3].

قال محمد الغزالي في تأويله لأحاديث الدجال: "ويظهر لي أن الدجال من زعماء اليهود، وقد يكون من كبار علمائهم الكونيين، وهو يمثل عوج الضمير اليهودي وانقطاعه عن الله، بل عداوته له. وقصته قُبيل الساعة تمثل خاتمة الصراع السيء بين أتباع الأديان الثلاثة، فاليهود بقيادة مسيحهم يحاولون الظهور والسيطرة، والنصارى مستمسكون بأقانيمهم وتثاليثهم وصلبانهم وسيرتهم الاجتماعية المعروفة، وهم يظاهرون اليهود على العرب، والمسلمون فرق شتى، فيهم الصالح المستميت في المقاومة، وفيهم التائه الهائم على وجهه. ومع اشتداد الصراع الديني يقدم الزحف الأحمر من الشرق جيشًا بعد جيش، وفوجًا بعد فوج، فلا يصده شيء، في غمار هذه الفوضى ينزل عيسى ابن مريم ليؤيد عقيدة التوحيد، ويصدق النبوة الخاتمة ويقتل إله اليهود، ويواجه بالمسلمين الزحف الأحمر، زحف يأجوج ومأجوج حتى يقضي بقدر الله عليه"[4].

وقال في مكان آخر معلقًا على حديث تميم الداري الذي ذكر وجود الدجال في جزيرة في البحر ومنكرًا للفكرة بالكلية[5]: "إن أساطيل الرومان والعرب والترك والصليبيين تجوب البحرين الأبيض والأحمر من بضعة عشر

---

(1) محمد رشيد رضا: **تفسير المنار**، (261/3).

(2) محمد الغزالي: (1917-1996م): عالم ومفكر إسلامي مصري، يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عُرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين"، كما عُرف بأسلوبه الأدبي الرصين في الكتابة واشتهر بلقب أديب الدعوة. سببت انتقادات الغزالي للأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي العديد من المشاكل له سواء أثناء إقامته في مصر أو في السعودية. توفي في الرياض في السعودية أثناء مشاركته في مؤتمر حول الإسلام وتحديات العصر ودفن بمقبرة البقيع بالمدينة المنورة. له مؤلفات عديدة. ينظر: الموسوعة ويكيبيديا، *محمد_الغزالي*، تاريخ: 2019/6/2م. *https://ar.wikipedia.org/wiki/* .

(3) وأيضًا ممن أورد إنكار البعض لهذه الأحاديث حمود بن عبدالله التويجري حيث قال في "إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان: "فقد رأيت في المجلة المسماة "المسلمون" مقالًا لعبد الكريم الخطيب أنكر فيه ما أخبر به رسول الله ﷺ من ظهور المهدي في آخر الزمان، وما أخبر به من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، وهذه جراءة عظيمة وخطيرة جدًا".

(4) محمد الغزالي: **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، ط11، (القاهرة: دار الشروق، د.ت)، ص77.

(5) حديث تميم الداري صحيح، أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ج4، ص2261، رقم الحديث: 2942، وهو: " قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ فَتَاهَتْ بِهِ سَفِينَتُهُ فَسَقَطَ إِلَى جَزِيرَةٍ فَخَرَجَ إِلَيْهَا يَلْتَمِسُ الْمَاءَ فَلَقِيَ إِنْسَانًا يَجُرُّ شَعَرَهُ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِيهِ: ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ قَدْ وَطِئْتُ الْبِلَادَ كُلَّهَا غَيْرَ طَيْبَةَ، فَأَخْرَجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ فَحَدَّثَهُمْ قَالَ: هَذِهِ طَيْبَةُ وَذَاكَ الدَّجَّالُ".

قرنًا ولم تر هذه الجزيرة، وفي عصرنا هذا طُرق كل شبر في البر والبحر، والتقطت صور لأعماق المحيطات عن طريق الأقمار الصناعية، فأين تقع هذه الجزيرة؟"[1].

فما استطاع المانعون تأويله فقد اجتهدوا في تأويله وحمله على المجاز، مثل تأويلهم "أعور" بأنها حضارة عوراء، وما عجزوا عن تأويله إما لصحته أو لعدم احتمالية وجود المجاز فردوه بالكلية، مثل حديث تميم الداري ووجود الجزيرة.

وقال أبو رية[2]: "لعل علماء الجغرافيا يبحثون عن هذه الجزيرة، ويعرفون أين مكانها من البحر، ثم يخبروننا حتى نرى ما فيها من الغرائب التي حدثنا بها "سيدنا" تميم الداري رضي الله عنه"[3]. والذي يبدو أن عدم معرفة مكان هذه الجزيرة ليست بحجة تقوى على رد حديث متواتر بلغ أعلى درجات الصحة.

فاليوم ومع العلم الحديث الذي بلغ القمة في الدقة، ومع وجود المعدات التي ترى أعماق المحيطات، فما زال العالم عاجزًا عن معرفة مكان السد الذي يقبع خلفه قوم يأجوج ومأجوج، فهل نصل بهذا إلى إنكار وجود هذا السد؟! وبالتالي ننكر النص القرآني الذي أثبت وجودهما؟! فلعل الله يخبئ هذه الجزيرة حتى تقترب الساعة فيظهرها، كما سيظهر الكثير من الأمور الغيبية التي لا يعلم وقتها إلا هو سبحانه وتعالى، كظهور الشمس من مغربها[4]، والدابة[5]، وما ذلك على الله بعزيز.

فليس هناك مانع عقلًا أن تحمل أحاديث الدجال على الحقيقة، بل إن ألفاظها تدل على أنه إنسان، نعم قد يكون بعض ما يرد في هذه النصوص يحير العقل لكنه لا يحكم باستحالتها.

---

(1) محمد الغزالي: **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، ص106.

(2) محمود أبو رية: (١٨٨٩-1970م): ولد في كفر المندرة، محافظة الدقهلية، جمع بين الدراسة المدنية والدينية بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية، اشتهر بنقده للسنة القولية، وانتقاده لبعض المحدثين...، وهو كاتب مصري، طُرد من الأزهر لكسله، فألف كتاباً استهزأ فيه براوية الإسلام أبي هريرة رضي الله عنه وأنكر حديث الذبابة الذي في الصحيح، ولما ألمت به سكرات الموت أخذ يئن ويقول: آه أبو هريرة. آه أبو هريرة.. وظل يتأوه بها حتى نُزعت روحه، ولم ينطق بكلمة الحق. ينظر: الموسوعة ويكيبيديا، *https://ar.wikipedia.org/wiki/محمود أبورية*، تاريخ: 6/2 /2019.

(3) محمود أبو رية: **أضواء على السنة المحمدية**، ط6، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص155.

(4) قال رسول الله ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينَ: ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة الأنعام، ج4، ص1697، رقم الحديث: 4359، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ج1، ص137، رقم الحديث: 157.

(5) المشار إليها بقوله تعالى:﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [لنمل: ٨٢].

المطلب الثالث: مخالفة أقوال السلف في تفسير الآيات القرآنية.

وتتمة لما سبق فقد كان تأويل بعض المعاصرين لبعض الأحاديث مخالفًا لتفسير السلف الصالح للنصوص القرآنية، ومثاله قضية نزول سيدنا عيسى عليه السلام آخر الزمان.

ومن هؤلاء المعاصرين الشيخ محمد عبده الذي تأول نصوص قتل عيسى للدجال على معنى مجازي حيث قال إن الدجال رمز للخرافة والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وأن القرآن أعظم هاد إلى هذه الحكم والأسرار، وسنة الرسول ﷺ مبينة لذلك فلا حاجة للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك. وهذا يعني أن نزول عيسى ليس على ظاهره وإنما رمز لتطبيق الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها.

وقد عاب الشيخ يوسف القرضاوي على من تأول أحاديث نزول عيسى في آخر الزمان على معنى مجازي وهو رمز للزمان الذي يسود فيه الأمن والسلام.[1]

ونسي هذا المؤول أن هذا التأويل يتنافى تمامًا مع مدلول الآيات والأحاديث الصحيحة والصريحة في نزول عيسى آخر الزمان، والتي وصفته عليه السلام تمامًا بعكس هذا الاعتقاد السائد، حيث قال ﷺ: «وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ»[2]، فنزول عيسى عليه السلام مقرون بالإسلام، فلا يقبل إلا هو.

فمن الآيات التي تحدثت عن نزول عيسى عليه السلام وأنه من علامات انتهاء الزمان قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١]، قال الطبري: "عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، قال: نزول عيسى ابن مريم"[3]. ويؤكده قوله تعالى:﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦]، قال البغوي: قيل للحسين بن الفضل: هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ قال: نعم، ﴿وَكَهْلًا﴾، ولم يكتهل في الدنيا، وإنما معناه وَكَهْلًا بعد نزوله من السماء[4].

---

[1] يوسف القرضاوي: **كيف نتعامل مع السنة**، (القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2002م) ص189.

[2] أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، ج2، ص774، رقم الحديث: 2109، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ج1، ص135، رقم الحديث: 155.

[3] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م)، ج21، ص632.

[4] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط4، (الرياض: دار طيبة، 1417هـ/1997م)، ج2، ص46.

وأيضًا إن تأويله يخالف تفسير الحسن البصري لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، حيث قال: "قبل موت عيسى، والله إنه لحي عند الله الآن، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون"[1].إلا أن هذا التأويل الذي ينفي نزول عيسى حقيقة وأنه على معنى انتشار السلام في آخر الزمان ينسجم انسجامًا تامًا مع الحملات التبشيرية والاستشراقية التي تزعم أن النصرانية دين السماحة والسلام، وأن الإسلام انتشر تحت ظلال السيوف[2].

ومن الأحاديث الصحيحة التي تؤكد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لاَ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ»[3].

وقوله ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ [أي الدجال] إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ»[4].وهو أيضًا صريح بأنه عليه السلام ينزل من السماء، وهذا ما خالفه العديد من المعاصرين، أمثال محمد رشيد رضا ومحمود شلتوت.

قال محمد رشيد رضا: "والحق أنه ليس في القرآن نص يثبت أن عيسى ينزل من السماء ويحكم في الأرض"[5]. وقال أيضًا: "ومن العلماء من يقول: إن بعض هذه البشارات لا يتم إلا في آخر الزمان عند ظهور المهدي، وما يتلوه من نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء وإقامته لدين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وإظهاره بالحكم والعمل به، خلافًا لما يتوقعه اليهود والنصارى على اختلافهما في صفته. وقد كان شيوع هذا بين المسلمين من أسباب تقاعدهم عما أوجبه الله تعالى في كل وقت، من إعلاء دينه، وإقامة حجته وحماية دعوته، وتنفيذ شريعته وتعزيز سلطته اتكالًا على أمور غيبية مستقبلة لا تسقط عنهم فريضة حاضرة، وأما أحاديث نزول عيسى فبعض أسانيدها صحيحة، وهي على تعارضها واردة في أمر غيبي متعلق بأحاديث الدجال المتعارضة مثلها

---

(1) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، د.ط، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ/1964م) ج6، ص11.

(2) يوسف القرضاوي: **كيف نتعامل مع السنة**، (القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2002م) ص189.

(3) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ج1، ص137، رقم الحديث: 156.

(4) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الدجال وصفته وما معه، ج4، ص2250، رقم الحديث: 2937.

(5) محمد رشيد رضا: **تفسير القرآن**، ج6، ص48.

كما تقدم بيانه، فينبغي أن يفوض أمرها إلى الله تعالى، وألا تكون سببًا للتقصير في إقامة الدين والدنيا بما شرعه الله تعالى فيهما"[1]. وقال أبو رية: "نزول عيسى عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهر الإسلام إلى الآن بثّها في المسلمين، وممن حاولوا ذلك بإدخالها في التفسير وهب بن منبه، الركن الثاني بعد كعب الأحبار، لتشويه تفسير القرآن بما بثّه من الخرافات"[2].

وكذلك فلا وجه لمن تأوله بأنه سيأتي في آخر الزمان شبيه له في الأرض، حيث نشأت على أعقاب ذلك فرقة جديدة أصلها هذا المعتقد الباطل، وأن عيسى آخر الزمان ليس بالنبي عيسى عليه السلام، وإنما هو نبي جديد، بوحي ومعجزات ومكة خاصة به، واسمه غلام أحمد القادياني[3]، فأعلن أن ظواهر الكتاب والسنة مصروفة إلى الاستعارات والكنايات والمجازات، فأسقط فريضة الجهاد وخاصة بالنسبة للإنكليز الذين كانوا طرفًا في انتشار دعوته، فأماته الله شر ميتة مصابًا بداء الكوليرا ساقطًا على وجهه في بيت الخلاء، فكانت ميتته عبرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، [4].

---

[1] محمد رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج10، ص342.

[2] أبو رية: **أضواء على السنة المحمدية**، ص158.

[3] أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني، ويسمى مرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطاء محمد، ويلقب بالمسيح الثاني، زعيم **القاديانية** ومؤسس نحلتهم، نعت نفسه بمجدد المئة، ثم أعلن أنه المهدي، وزاد فادعى أن الله أوحى إليه: "الحمد لله الذي جعلك المسيح بن مريم، أنت شيخ المسيح الذي لا يضاع وقته، كمثلك در لا يضاع"، وآمن به جمهور من الهنود، على أنه نبي تابع للشريعة الإسلامية، وأنه أحمد المعني بآية:"ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"، ووضع كتبًا بالعربية والأردية، ولا يزال له أتباع إلى اليوم في الهند وباكستان"، الزركلي: **الأعلام**، ج1، ص256.

[4] محمد سعيد رمضان البوطي: **كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق**، ط8، (دمشق: دار الفكر، 1417هـ/1997م)، ص332.

الخاتمة:

وفي النهاية توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. المجاز أسلوب من أجمل أساليب اللغة العربية، ورد في القرآن والسنة وأشعار العرب على حد سواء.
2. كان النبي ﷺ من العرب ويتكلم بأسلوب العرب. فلا بد أن نلتفت إلى المعنى المجازي إذا كان المعنى الحقيقي من الحديث متعذرًا.
3. إن المبالغة في التمسك بالمجازي قد يحمل البعض على توهم ما يخالف العصمة.
4. المبالغة في التمسك بالمعنى المجازي في بعض الأحيان يوقع البعض في مخالفة الحديث المتواتر.
5. الغلو في التمسك بالمجاز يسبب مخالفة أقوال السلف في تفسير الآيات القرآنية.

ونرجو أن نكون قد ساهمنا بشيء نافع لطلبة العلم الشرعي في مجال علوم الحديث من خلال هذا البحث. وإن أصبنا فمن توفيق الله علينا، وإن أسأنا فمن نفسنا وتقصيرنا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع.

1. أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي: **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عواد، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ/1980م).
2. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي: **الموضوعات**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط1، (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، 1386هـ/1966م).
3. أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي: **بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار**، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/ 1999م).
4. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م).
5. أبو شهبة محمد بن سويلم: **دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتَّاب المعاصرين**، ط1، (القاهرة: مكتبة السنة، 1989م).
6. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط4، (الرياض: دار طيبة، 1417هـ/1997م).
7. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، (بيروت: دار الفكر، 1414هـ/ 1993م).
8. خير الدين بن محمود بن فارس، الزركلي، **الأعلام**، ط5، (دار العلم للملايين، 2002م).
9. عبد الرؤوف المناوي: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط1، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ).
10. **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، العدد (53)، عام 2002م.
11. محمد الغزالي: **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، ط11، (القاهرة: دار الشروق، د.ت).
12. محمد بن إبراهيم الكلاباذي **معجم المؤلفين**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
13. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، د.ط، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ/1964م).

14. محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط15، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م).

15. محمد بن يوسف شمس الدين الكرماني، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1401هـ/1981م).

16. محمد جعفر أبو عبد الله الكتاني، **نظم المتناثر في الحديث المتواتر**، ط2، (مصر: دار الكتب السلفية، د.ت).

17. محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير المنار**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).

18. محمد سعيد رمضان البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق**، ط8، (دمشق: دار الفكر، 1417هـ/1997م).

19. محمود أبو رية، **أضواء على السنة المحمدية**، ط6، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

20. مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، (بيروت: ط1 دار إحياء التراث العربي).

21. الموسوعة ويكيبيديا، آذار https://ar.wikipedia.org/wiki/، تاريخ: 2019/6/2.

22. نور الدين عتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، ط3، (دمشق: دار الفكر، 1418هـ/1997م).

23. يوسف القرضاوي، **كيف نتعامل مع السنة**، (القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2002م).

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF Al-QUR'AN & Al-SUNNAH FACULTY
VOL. (1)- Issue 1 Jan 2023 المجلد الأول -العدد الأوّل يناير

المنهج النبوي في التربية النفسيّة

(التفاؤل والطيَرة نموذجًا)

The Prophetic Approach in Psychological Education: A Case study of Optimism and Superstition

مجاهد مصطفى بهجت
جامعة برليس الإسلامية، ماليزيا
Profmujahid@kuips.edu.my

عفاف عبد الغفور حميد
جامعة برليس الإسلامية، ماليزيا
Profafaf@kuips.edu.my

الملخص

تزخر السنة النبوية بالمبادئ والأسس التربوية بكل أصنافها ومنها التربية النفسية، ويأتي البحث ضمن شمولية السنة النبوية لجوانب الحياة الإنسانية كلها، فمن الجوانب التي أولتها السنة النبوية عناية موضوع الصحة النفسية، إذ يُعدّ حفظُ النفس من الضرورات الخمس التي يجب الحفاظ عليها. لقد كان الرسول (ﷺ) يحيا بين الصحابة مربيًا لنفوسهم ومطهرًا لقلوبهم وتصوراتهم ومشاعرهم، وهذه التربية النفسية كانت من خلال ما يتلوه عليهم من القرآن الكريم، وما كانت منه من توجيهات مباشرة، تعليقاً على تصرفاتهم، أو إجابة لتساؤلاتهم فضلاً عن تصرفاته بينهم في المواقف المختلفة؛ حيث كانوا يتخذونه قدوة وأسوة حسنة في جميع حركاته وسكناته. وقد كان النبي (ﷺ) يتعهد أصحابه بهذه التربية من خلال منهج متكامل ومتوازن، ومن ذلك تربيته النفسية للصحابة وتدريبهم على التفاؤل عملياً، والنهى عن التشاؤم والطيرة، وتجريد العقل من المسلمات المبنية على الظن والتخمين، أو التبعية والتقليد، لأن التفاؤل يدفع إلى حسن الظن بالله. ويساهم هذا البحث في تجلية جوانب هذا المنهج في صورة ميسرة وعصرية، ليستفيد منها المربّون والمرشدون في عالمنا العربي والإسلامي.

الكلمات المفتاحية: منهج، تربية، التفاؤل، الطيرة.

Abstract

The Sunnah contains abundant principles of education including in the field psychological domain. This paper is aimed at highlighting comprehensiveness of the prophetic tradition particularly which is related with mental health. Self-purification is considered as is one of those five essential things need to be preserved.Both the Qur'an and Sunnah have ample evidence on psychological education.

The Prophet (peace be upon him) highly asserted on the balanced approach integrating spiritual and intellectual. In addition, highly encourages all believers on optimism toward the mercy of God as well as forbidding pessimism and superstitious belief. This paper attempts to clarify pertinent issues related with psychological education based on prophetic guidance for benefit of all believers in the Muslim ummah.

Key Words: Principles, education, prophetic tradition.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين خالق الإنسان في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على المربي الأمين المعلم المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه اجمعين، وبعد:

فيأتي هذا البحث في الزمن الحرج الذي تكالب فيه أعداء الإسلام من كل حدب وصوب، لتضليل المسلمين وإبعادهم عن سنة نبيهم (ﷺ)، من منطلق إسلامي –كما يزعمون– الاكتفاء بما ورد في القرآن الكريم، مما زينه لهم شياطين الجن والإنس، وهو أمر جلل خطير أن يطرح الهدي النبوي ليبيحوا لأهوائهم ما يخالف الوحي النبوي، في الوقت الذي يعيش الغرب الفساد والضلال –على أبعد حدوده– ولو كانت لهم عقول يتدبرون بها لاتعظوا بما ابتلي الغرب به، للنهوض من كبوتهم والإفاقة من غفلتهم.

ويأتي **سبب اختيار موضوع البحث** في كون الفأل والطيرة مما يواجهه كل الناس على اختلاف دياناتهم وأعراقهم وثقافاتهم، وقد شاب الموضوع شئ من الموروثات القديمة التي تصل إلى حد الخرافة والأساطير، فكان لا بد من بيان المنهج النبوي لتربية الأجيال المسلمة على ممارسة التفاؤل والإيجابية وعدم التطير، بل حسن التوكل والثقة بقضاء الله وقدره، ولا شك أن **جديد** هذا البحث يعتمد على مصدرية السنة النبوية في التعامل مع تحديات الحياة اليومية، وعدم التراجع والتقهقر في هذه الظروف يائسين قانطين، بل لابد أن نكون متفائلين ومتفاعلين مع مواقف الحياة المختلفة، مقتدين بالهدي النبوي في السلوك الإيجابي مع مفردات الحياة الصعبة.

ويهدف البحث إلى بيان عناية السنة النبوية بتربية الصحابة (رضي الله عنهم) على تنمية قدرتهم في النظر والتأمل والتفكر والتدبر، وفي ذلك توجيه للمسلمين في كيفية التصرف إزاء المسائل النفسية المرتبطة بالعقيدة وهي الفأل والطيرة، وهذا هو الذي يؤهلهم لحمل أعباء الدعوة إلى الله، فالعقل إحدى طاقات الإنسان المهمة الذي يحقق **التفكير الإيجابي** ليكون الإنسان متفائلا بالخير وإن كان في أحلك الظروف والأحوال، والطيرة على النقيض من ذلك.

وتكمن **أهمية** البحث لتعلق هذا الموضوع بالعقيدة الإسلامية في تحرير العقل من الموروثات السلبية تطيراً، وحسن الظن بالله تعالى في تجاوز العقبات وتخطي الصعوبات، للنظر إلى المستقبل نظرة تفاؤل، ولاهتمام الناس بهذا

الموضوع وممارسته في حياتهم العملية، معتمدين على أقوال الرسول (ﷺ): الصحيح منها وغير الصحيح، **والمنهج** المتبع في البحث هو المنهج الوصفي المكتبي المعهود في الدراسات الإسلامية والإنسانية، وهو كذلك المنهج الاستقرائي في الوقوف على نصوص الحديث النبوي وتحليلها.

وتظهر **إشكالية البحث** في الالتفات إلى التربية النفسية في المنهج النبوي لبناء جيل الصحابة بناءً سوياً قوياً، ليجابه الصعوبات والتحديات في الحياة، بالتحلي بالإيجابية وترك السلبية، والتعامل مع الظروف بصورة صحيحة تبرز القدرة على حلّ مشكلات الحياة. **ومن أهم الدراسات السابقة** لموضوع بحثنا ما يأتي:

1- الأحاديث النبوية الواردة في الفأل جمعا ودراسة، د. عمر بن إبراهيم بن محمد نور سيف[(1)]، وقد اقتصر البحث على سرد الأحاديث الواردة في الموضوع ودراستها من حيث القبول والرد، كالصحيح والحسن والضعيف بأنواعه مع شيوعها، وقد أفدت من النصوص لكن البحث لم يركز على تحليل معاني النصوص.

2- الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة، علي محمد زينو[(2)]، ذكر ما جاء من أحاديث الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة، واهتم باختيار العناوين التي اندرجت تحتها هذه الأحاديث في كتبهم للكشف عن العلاقة بينهما، مع بيان مختصر لمعاني هذه الأحاديث.

3- التربية في السنة النبوية، د. أبو لبابة حسين[(3)]، وقد تناول فيه عناصر التربية الإسلامية وخصائصها، وأهدافها، بشكل عام مختصر، مع بيان مبدأ التربية في الطفولة، دون أن يتطرق للتربية النفسية وموضوع الفأل والطيرة.

وأخيرا تأتي **خطة البحث** في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، **المبحث الأول**: سمات المنهج النبوي في التربية النفسية مقارنا بالمناهج الوضعية. **الآخر**: المنهج النبوي في التربية على حب الفأل ونبذ الطيرة. **الخاتمة**: نتائج البحث والتوصيات. نسأله تعالى أن يكون البحث قد حقق الهدف المرجو منه، وأن يتقبل الله صالح أعمالنا، وأن يوفقنا جميعا لما يحبه تعالى ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) بحث منشور في مجلة تعظيم الوحيين، العدد الثاني، رجب 1439هـ.

(2) بحث منشور على شبكة الإنترنت شبكة الألوكة – الصفحة الرئيسية (alukah.net).

(3) كتاب ط منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، د. ت.

التمهيد: التعريف بمفردات عنوان البحث.

نعرض لمعنى أهم المفردات الواردة في عنوان البحث لغة واصطلاحا وهما الفأل والطيرة، وقبل ذلك نشير إلى معنى منهج التربية النفسي.

معنى المنهج اصطلاحاً هو: "الطريق المستقيم الواضح المعالم، القائم على قواعد علمية صحيحة، الموصل إلى الحقيقة"[1]. أو "هو مجموع القواعد العامة والخطوات والقوانين المنظمة التي تحكم عمليات العقل خلال البحث والنظر في مجال معين[2].

ومعنى التربية اصطلاحاً: "صياغة سلوك الفرد المسلم وشخصيته حسب مبادئ الإسلام وأفكاره، وهذه المبادئ تقوم على الاعتقاد والعمل"[3]. وعرّفها أحد الباحثين بأنها "عملية تنمية وتنشئة وتزكية وتهذيب لجميع جوانب الفرد الجسدية والعقلية والروحية والنفسية خلال مراحل عمره المختلفة، مع الاعتماد على المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، للوصول للكمال الإنساني المنشود بحسب قدرة الفرد واستعداداته بهدف تحقيق السعادة في الدارين"[4].

ومعنى النفس اصطلاحا هي: القوى الكامنة في الجسم الإنساني، مجمع عواطف الخير ونوازع الشر، ومستقر الغرائز، والنزعات والعواطف والشهوات المحركة لهذا الجسم المادي واتجاهه"[5]. **فالتربية النفسية:** هي حركة تربوية تهتم بمشكلات التوافق للفرد وتحقيق أقصى ما يمكن من احتياجاته النفسية والحسية وتدريبه على العيش السعيد اجتماعياً ووجدانياً"[6].

---

(1) رمضان يوسف الصيفي. **منهج القرآن في التعامل مع جرائم اليهود**. رسالة ماجستير كلية أصول الدين. الجامعة الإسلامية. غزة، 2009م ص4.

(2) زكية مازغ. **المنهج النبوي التربوي**. موقع مغرس.

(3) عثمان حسن ملا. **تربية الإنسان المسلم**. (القاهرة: دار الصحوة، 1984م). ص 15-16.

(4) الشهري، عزة بنت عابس بن محمد. **مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم**. رسالة دكتوراه في التربية، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، سنة 2015م. ص 29.

(5) العطار، عبد الخالق. **النفوس المطمئنة الزكية، والنفوس الشيطانية الأمارة الشريرة الشقية في ضوء القرآن والسنة**. (القاهرة: جمعية السلام الإسلامية، 1991م). ص 13.

(6) راجح، أحمد عزت. **أصول علم النفس**. (الاسكندرية: المكتب المصري، ط1، 1982م). ص 504.

أ- الفأل والطيرة لغة واصطلاحا:

الفأل لغة: قول أو فعل يستبشر به، وقد تخفف الهمزة وتسهل فيقال: الفال، ضده شؤم، وقَرأَ الفَأَلَ: تَنبأَ بالمستقبل، وقولهم: لا فألَ عَليكَ: دُعاء معناه: لا ضَيرَ ولا شَرّ عليك[1]. أو هو التيمن بما يرى أو يسمع من أمر حسن، أو اسم حسن، أو كلام حسن، وتوقع الخير كأن يكون الرجل مريضًا فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقول: تفاءلت بكذا، ويتوجه له في ظنه –كما سمع– أنه يبرؤ من مرضه، أو يجد ضالته، والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء، ومن العرب من يجعل الفأل فيما يُكره أيضاً، والفأل الصالح كما في الحديث: «الكلمة الحسنة»[2].

وقال الزمخشري: "الفأل والطيرة جاءا في الخير والشر؛ مجيء الطيرة في الشر واسع، لا يفتقر فيه إلى شاهد، إلا أن استعمال الفأل في الخير أكثر"[3]، وقال ابن الأثير: "الفأل –مهموز– فيما يسر ويسوء"[4].

الفأل اصطلاحاً: عرفه أبو بكر بن العربي (ت 543هـ)، في اصطلاح الشرع فقال: "الفأل: هو الاستدلال بما يسمع من الكلام على ما يريد من الأمر إذا كان حسنًا، فإن سمع مكروهًا فهو تطير؛ أمره الشرع بأن يفرح بالفأل ويمضي على أمره مسروراً، وإذا سمع المكروه أعرض عنه ولم يرجع لأجله"[5].

ب - الطِيَرَة لغة واصطلاحا:

الطِيَرَة لغة: ما يتشاءم منه بكسر الطاء، من التطير وهو التشاؤم، وسمي التشاؤم بها لأن العرب كانوا أكثر ما يتشاءمون من الطيور، كالغراب أو البوم أو العقعق وغيرها، بل من كل الطيور، وذلك إذا سارت في اتجاه معين، ولذا غلب الاسم عليه، وقيل ما يتفاءل به أو يُتشاءم منه[6].

---

(1) انظر: مادة فأل في، **معجم المعاني الجامع، والمعجم الوسيط**.

(2) أخرجه البخاري في صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، ج 4، ص46، برقم (5756). (بيروت. الرسالة ناشرون، ط1 1429هـ/ 2008م)، وسيرد الحديث كاملا في موضعه من المبحث الثاني.

(3) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. **الفائق في غريب الحديث**. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (مصر: عيسى البابي الحلبي، ط2، 1971م). ج3، ص 86.

(4) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد. **النهاية في غريب الحديث**. تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي. (القاهرة: المكتبة الإسلامية، د. ت). 3/ 405.

(5) ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر المالكي. **أحكام القرآن**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م). ج4، ص 126.

(6) راجع مادة طير في **معجم اللغة العربية المعاصر والمعجم الوسيط**.

واصطلاحاً: قال القرافي (684 هـ) في اصطلاح الشرع: "التطير: هو الظن السيء الكائن في القلب، والطيرة: هو الفعل المرتب على هذا الظن من فرار أو غيره"[1].

وأما عند علماء الشريعة فقد قال الإمام القرطبي (656 هـ): الطِّيَرَة أن يسمع الإنسان قولاً، أو يرى أمراً يخاف منه ألا يحصل له غرضه الذي قصد تحصيله[2]، وقال النووي: والطِّيَرَة لا تكون إلا فيما يسوء، قالوا: وقد يُستعمل مجازاً في السرور[3].

المبحث الأول: المنهج النبوي في التربية النفسية مقارنا بالمناهج الوضعية.

اعتنى الإسلام بالعقيدة أولا، ليكون العمل فيما بعد مبنيا على عقيدة صحيحة، لذا نرى القرآن الكريم في نزوله الأول أكد مسألة الإيمان بكل أركانها في سور كثيرة وبأساليب متنوعة، فالعمل بعد ذلك يترتب على الاعتقاد ترتب النتيجة على السبب، فيظهر ذلك في تهذيب السلوك وتزكية النفس والسمو بها نحو المثل الأعلى، فإذا ما فقد الإيمان أو اهتز فقدت السيطرة على السلوك، وانقادت العقول إلى كل صيحة ودعوة وإن كانت سيئة العواقب، ولذا نجد النبي (ﷺ) ينفي الإيمان عمن لا أمانة له، فقال: «لا إيمان عمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[4]، كما جعل كل القيم الفاضلة من لوازم الإيمان، كصلة الرحم وإكرام الضيف، وحسن الجوار، وهكذا فإن عدم الالتفات إلى أهمية العقيدة في المناهج التعليمية والتربوية يؤدي إلى خلل واضطراب المفاهيم، ومصادمة الفطرة، وذهاب الفضائل والقيم. وأقام الإسلام نظامه الاجتماعي على قيم تربوية أخلاقية هي مهمة الرسالة المحمدية، فكان الرسول (ﷺ) هو المربي الأول الذي قام بهذه المهمة منذ اللحظة الأولى، فالقرآن والسنة هما لحمة وسدى البناء التربوي الإسلامي، الذي طبّقه الرسول ومن بعده الصحابة، والصالحون من بعدهم، فكان المثل الأعلى في التربية والتعليم، ولكي ينتفع المسلمون منه أمرهم الله

---

(1) القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. **كتاب الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)**. دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية: أ.د. محمد أحمد سراج، أ.د. علي جمعة محمد. (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1421 هـ/2001م) ج 4، ص1367.

(2) الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي. **المُفهم لِما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**. حققه وعلق عليه: محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزّال. (دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ط1، 1417هـ/1996م) ج5، ص 626.

(3) النووي، يحيى بن شرف الدين. **شرح صحيح مسلم**. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392). ج14، ص219.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج 3، ص210، 335، 354 برقم (47)، والحديث ضعيف ولكن جاء من طرق كثيرة وبمجموعها فهو صحيح. انظر: موقع الشيخ ظافر الجبعان.

تعالى أن يتخذوه أسوتهم ومثلهم فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب: 21].

ومن جملة التربية النبوية التربية النفسية، شخّص الرسول (ﷺ) الأمراض النفسية، وفرّق بين أنواعها كالغمّ والكرب والحزن والأرق والقلق وغير ذلك كما بين العلاج والوقاية منها. ونجد مبادئ هذه التربية في القرآن وتطبيقاتها في السنة النبوية تعتمد على حقائق مكونات النفس الإنسانية، وتهتم بإزالة العقبات التي تعيق النمو النفسي السليم، وتبني معارف حول إعداد وتهذيب وتزكية مكونات النفس خلال مراحل نموها للرقي بها وصولاً لتكامل الشخصية، مراعية قدرات الإنسان التي أودعها الله فيه[1].

فالتربية عملية إعداد للنفس الإنسانية بجوانبها المتعددة ومراحلها المختلفة، وهي أشبه بالبناء العمراني فكل مرحلة تعتمد على قوة واتزان المرحلة التي سبقتها، ويبنى عليها المرحلة التي تليها، ولا بد من الإشارة إلى أن الجانب الروحي المرتبط بالعقيدة الإسلامية هو أهم مكون للنفس الإنسانية وتعتمد عليها بقية المكونات، وكذلك الجانب العقلي وتحريره من الخرافات والأباطيل، وهو موضوع البحث إذ ينصب في موضوع التفاؤل والطيرة، وقد اهتمت السنة النبوية أيما اهتمام بذلك، وكان لتوجيهاته الأثر الكبير في تنشئة جيل على أسس سليمة وبناء متين.

وللمنهج النبوي سمات وخصائص يتميز بها عن غيره يمكن إجمالها بما يأتي:

أولاً: مراعاة المخاطبين بالتدرج والإقناع.

كان رسول الله (ﷺ) يراعي حال المخاطب من جوانب متعددة مثل العمر وطول الصحبة معه وغير ذلك، فيخاطب كلاً منهم بما يناسبه ويلبي حاجته، لأن الناس يختلفون في مداركهم وحاجاتهم وسرعة استجابتهم، فقد يجيب رسول الله (ﷺ) على سؤال واحد بأجوبة متعددة مراعياً طبيعة السائل، فقد سأله الكثير: أوصني، فيجيب بأجوبة

---

[1] انظر: الشهري، عزة بنت عابس بن محمد. **مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم**. رسالة دكتوراه في التربية، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، سنة 2015م. ص 33.

مختلفة مثل: لا تغضب، وقوله لأبي ذر رضي الله عنه: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنها زين لأمرك كله». وهكذا ندرك أن "مراعاة مستوى المخاطبين الذهني والأخلاقي واتجاهاتهم السياسية والاعتقادية ونحوها، من الدعائم الأساسية لنجاح مخاطبهم في أداء مهمته، فإن هذه المراعاة تكون أوكد بالنسبة للتربية والتعليم»[1].

يقوم المنهج النبوي في التربية والتعليم على التدرج ومراعاة الحال على خطى القرآن في التدرج في بعض أحكام التشريع، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث النبي (ﷺ) معاذاً إلى اليمن قال: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ فإن هم أطاعوا ذلك فأعلمهم أن الله افترض..... الحديث»[2]. وإن من التدرج ومراعاة الحال في التربية والتعليم عدم تقديم ما حقّه التأخير، وأن يُخَصَّ بالعلم أناسٌ دون غيرهم مراعاةً للفهوم وتقديراً للمصالح. روى البخاري في صحيحه قال: (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا) وذكر تحته حديث أنس رضي الله عنه قال: ذُكِر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» قال: ألا أبشر الناس؟ قال: لا؛ إني أخاف أن يتكلوا»[3].

كما كان رسول الله (ﷺ) ينهج وسيلة الإقناع مع السائل روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله، وُلِدَ لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم! قال: ما لونها؟ قال حمر. قال: هل فيها من أوْرق؟ قال: نعم! قال: فأنَّى ذلك؟ قال: نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزعه عرق»[4]. والملاحظ هنا في الإقناع النبوي الاستفادة من البيئة المحيطة، وكذا الاستفادة من البدهيات التي يؤمن بها المحاوَر، وهذا في حد ذاته من مؤكدات الإقناع.

---

(1) أبو لبابة حسين. **التربية في السنة النبوية**. (الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، (د.ت). ص67.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، 2/ 544، برقم (1425) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج1، ص 50، برقم (19).

(3) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، ج1، ص44، برقم (129)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا،ج1، ص61، رقم (32).

(4) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، ج5، ص 2032، برقم (4999)، ومسلم في كتاب اللعان، ج2، ص 1137، برقم (1500)، والرجل هو ضمضم بن قتادة رضي الله عنه، والأورق: الأغبر الذي في لونه بياض إلى سواد.

وكان (ﷺ) ينهج في تقوية سلوك ما بما يتناسب مع الموقف ومع حجم الخطأ وطبيعته، فحين يكون السلوك السلبي في حق الشرع تجده يستخدم لغة صريحة وصارمة، وقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[1]، وفي المقابل كان يتسامح مع من يخطئون في حقه من جفاة الأعراب، ويستعمل لغة سهلة مع الصبيان بما يتناسب مع قدراتهم الاستيعابية.

ومن سمات المنهج النبوي تربية الناس على صحة المقصد فيه، وإذا كان ذلك يصدق على كل العلوم عامة فهو أكثر إلزاما في العلوم الشرعية، والخلل في هذا المنهج يضيع العمل ويذهبه، يقول في ذلك رسول الله (ﷺ) «من تعلم علما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[2] أي: ريحها.

ثانيا: اليسر ورفع الحرج وحسن التعامل.

وهي سمة أكّدها القرآن الكريم وامتثلها الرسول (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، فالمنهج التربوي النبوي يأخذ بمبدأ المرونه في كل شئ، فيكون منسجما مع الفطرة البشرية التي تنفر من التضييق والعسر، ونرى الرسول (ﷺ) ينتقل بالمسلم من العزيمة إلى الرخصة عند الضرورة وأصل المبدأ: (الضرورات تبيح المحضورات)، ومن ذلك قوله (ﷺ): «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»، كما كان ينهى عن التشدد في الدين «لا تشددوا فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات؟، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»[3].

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، ج 8، ص 132، برقم (6299) و ج11، ص 539 برقم (6647) ،. ومسلم في كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، ج3، ص1267، برقم (3207).

[2] أخرجه أبو داود في كتاب العلم، بابٌ في طَلَبِ العلم لغير الله تعالى (٣٦٦٤)، وابنُ ماجه في «المقدِّمة» بابُ الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٢)، مِنْ حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه. والحديث صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» ج1، ص 153، برقم: (١٠٥).

[3] رواه أبو داود في سننه عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، كتاب الآداب، باب في الحسد، ج4، ص 276، رقم (4904).

ولهذا المنهج مظاهر كثيرة في سنة النبي (ﷺ) منها **الإشفاق على النفس** وعدم تحميلها ما لا تطيق، فعنه (ﷺ): «ما خيّر رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما»[1] ويقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»[2]، وذلك لأن كثرة التكاليف فيها إحراج، وقد سكت الشرع عن أشياء كثيرة رحمة بالناس، كما نهى الرسول (ﷺ) عن كثرة السؤال كي لا يترتب عليها مزيد من التكاليف قد لا يطيقونها.

كما نلاحظ أن كل ما جاء في المنهج التربوي ملائم للفطرة متماشيا معها، والأمثلة على ذلك كثيرة في تطبيقها العملي من سنة النبي (ﷺ) ومن اليسر ورفع الحرج حسن تعامله (ﷺ) مع الآخرين، فقد كان رسول الله (ﷺ) يرحب بمن يقابله مما يجعل النفوس تنجذب إليه وتأنس بحديثه، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن صفوان بن عسال رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم. فقال له النبي (ﷺ): «مرحباً بطالب العلم؛ إن طالب العلم تحفّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم على بعض حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب...»[3].

ولقد كان النبي (ﷺ) يستقبل الوفود ويحسن وفادتهم، ويتخذ لذلك لباساً خاصاً وخطيباً يخطب بين يديه إشعاراً منه بمزيد الاهتمام بهم؛ فلما أتى وفد عبد القيس رحب بهم (ﷺ)، فقال: «مرحباً بالقوم غير خزايا ولا دامى..»[4]، وقدِمَ وفد عبس على النبي وكانوا تسعة، فقال النبي (ﷺ): «أنا عاشركم. وعقد لهم لواءً وجعل شعارهم «يا عشرة»[5].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ج4، ص 189، برقم (356) ، ومسلم في كتاب الفضائل، بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ....،ج 4، ص1814، برقم (2328).

(2) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، ج4، ص1830، برقم (1337)

(3) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (155/1) وصحح إسناده المحقق (أبو الأشبال). والهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد « كتاب العلم، باب في طالب العلم وإظهار البشر له، برقم (550).

(4) أخرجه البخاري، في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ج1، ص 29برقم (53)، وكتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج 4، ص 1588، برقم (4110).

(5) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية**. (بيروت: مكتبة المعارف، ط6، 1990). ج 5، ص46.

ثالثاً: الحكمة في النصح والإرشاد.

ضرب رسول الله (ﷺ) مثلا أعلى في التعامل باللين والرفق والتسامح والرأفة في معالجة المسائل الفردية والجماعية، وهو كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، ومن ذلك مقابلة الإساءة بالإحسان ممتثلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، وانظر إليه (ﷺ) وقد جلس في مجلس مبارك يحيط به أصحابه، فيأتيه أعرابي يستعينه في دية قتل... فأقبل يريد من الرسول (ﷺ) أن يعينه بمال يؤديه إلى أولياء المقتول... فأعطاه الرسول (ﷺ) شيئا...ثم قال تلطفا معه: " أحسنتُ إليك؟" قال الأعرابي: لا... لا أحسنت ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين، وهمّوا أن يقوموا إليه، فأشار النبي (ﷺ) إليهم أن كفّوا، ثم قام (ﷺ) إلى منزله، ودعا الأعرابي على البيت فقال له: «إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك... فقلت ما قلت" ثم زاده (ﷺ) من مال وجده في بيته، فقال: «أحسنت إليك؟" فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا"، فأعجبه (ﷺ) هذا الرضا منه، لكنه خشي أن يبقى في قلوب أصحابه شيء على الرجل، فيراه أحدهم في طريق أو سوق فلا يزال حاقدا عليه، فأراد أن يسلَّ ما في صدورهم، فقال له (ﷺ): «إنك كنت جئتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب عن صدورهم، فلما جاء الأعرابي قال: «إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا قد دعوناه فأعطيناه، فزعم انه قد رضي"، ثم التفت إلى الأعرابي وقال: "أكذلك؟" قال الأعرابي: نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فلما همّ الأعرابي أن يخرج إلى أهله، أراد (ﷺ) أن يعطي أصحابه درسا في كسب القلوب، فقال لهم: "إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه، فاتبعها الناس (يركضون وراءها ليمسكوها) وهي تهرب منهم فزعاً، ولم يزيدوها إلا نفورا، فقال صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها، وأعلم بها... فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قثام الأرض، ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشدّ عليها رحلها، واستوى عليها، ولو أني أطعتكم حيث قال ما قال، دخل النار" «يعني لو طردتموه لعله يرتد عن الدين فيدخل النار»[1].

وكثيراً ما كان النبي (ﷺ) يصدق القول لا العمل بل ليكون المتلقي أكثر فهما وتقبلاً، والأمثلة كثيرة كحديث المسيء في صلاته.

(1) الحديث عن أبي هريرة في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين الهيثمي، تح حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1994م)، ج 9 ص15، رقم (14193)، قال الهيثمي، رواه البزار، وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو متروك.

لقد جعل النبي (ﷺ) الرفق سبباً من أسباب الكمال والنجاح؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[1]. وفي حديث جرير بن عبد الله عن رسول الله (ﷺ) قال: «من حُرِمَ الرفق حُرِمَ الخير».

وتتأكد الحاجة إلى الرفق والرحمة عند وقوع الخطأ غير المتعمد؛ لأن النفوس أحياناً قد يستثيرها الخطأ فتنسى التعامل معه بالرحمة والرفق، وتميل بقوةٍ إلى الردع والتأديب؛ فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «بينا أنا أصلي مع رسول الله (ﷺ) إذ عطس رجُلٌ من القوم، فقلت: رحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكل أمّيَاه! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم؛ فلما صلى رسول الله (ﷺ): فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه؛ فوالله ما نهرني ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن»[2].

إن التعامل بالرفق والرحمة يورث النفس نوعاً من الطمأنينة والهدوء، ويجعل تَفَهُّم المشكلة والتعامل معها أكثر نجاحاً وتحقيقاً للأهداف بخلاف ما لو صَحِب ذلك نوعٌ من التوتر. والرفق واللين والرحمة سمات ثابتة في الهدي النبوي لا تكاد تفقدها وأنت تطالع السيرة؛ كيف لا وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: 159]. بينما تجد الشدة والزجر تكون عارضة لأحوال عارضة ناسب أن يتعامل معها النبي (ﷺ) بمثل هذا الأسلوب.

رابعا: الاستفادة من الأحداث والوقائع للتوجيه.

تتجدد الحوادث مع مرور الأيام في حياة البشر، والمربي يغتنم تلك الأحداث في التوجيه والتربية، وكان هذا حال النبي (ﷺ) مع صحابته، ففي كل حال ومشهد إما أن يعلق بالتوجيه، أو ينصح أو يعمل ما ينبغي عمله، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي (ﷺ) سَبْيٌ؛ فإذا بامرأة من السبي تبتغي، إذ وجدت صبياً في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله (ﷺ): «أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟ قلنا:

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج 5، ص 2242، برقم (5678) ، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يُرد عليهم، ج4، ص 1706، برقم (2165)

[2] رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ... ج1، ص 381، برقم (537).

لا، والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله (ﷺ): لَلَّهُ أرحم بعباده من هذه بولدها»[1]. فالرسول (ﷺ) لم يترك المشهد دون تعليق، بل رآه فرصة للتوجيه بسعة رحمة الله تعالى، وحق الوالدين في آن واحد.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً ليلة مع النبي (ﷺ)، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته؛ فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، فافعلوا»[2] نجد هنا الرسول (ﷺ) كان له أكثر من توجيه لرؤية القمر، وهي تأكيد مسألة عقدية هي رؤية الله تعالى من قبل أهل الجنة والتذكير بالصلاة وعظمتها، والتذكير بقيمة الجمال ومحبة الناس له[3].

وهكذا كانت الشخصية المسلمة تصاغ. ويوماً بعد يوم، وحدثاً بعد حدث، كانت هذه الشخصية تنضج وتنمو وتتضح سماتها...[4].

لقد كان (ﷺ) يغتنم كل موقف أو حدث يلاحظه ليقوّم كل سلوك سلبي ولو كان ذلك أمام الناس فذلك درءا للمفسدة المترتبة عليه، فقد جاء عن عبد الله بن بسر أن رجلاً جاء إلى النبي (ﷺ) وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال: "اجلس فقد آذيت وآنيت»[5] وكان من هديه (ﷺ) المسارعة إلى تقويم السلوك السلبي فورا بشكل يعكس دقة

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج 5، 2235، برقم: (5653)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ج4، ص 2109، برقم: (2754).

(2) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب "وسح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب" ج4، ص 1836، برقم (4570) وقوله تعالى: "وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة" 6/ 2703، برقم (6997)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، 1/ 439، رقم (633).

(3) الشيخ إبراهيم بن صالح الدحيم. **أساليب نبوية في التربية**، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، محرم- صفر 1437 هـ، أكتوبر/ ديسمبر 2015م، العدد: 1- 2، السنة: 40.

(4) محمد أمحزون. **منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة**. (مصر: دار السلام، ط5، 1431-2010). ص 211.

(5) رواه الإمام أحمد، ج4، ص،188 برقم (17674،190)، وقال المحقق الشيخ شعيب: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، أبو داود، سننه، كتاب الصلاة، باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة رقم، والنسائي كتاب الجمعة، باب النهي عن تخطي رقاب الناس والإمام على المنبر...، 103/3، (1118) وابن ماجه سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في النهي عن تخطي الناس يوم الجمعة (1115). وصححه ابن خزيمة (1118) وابن حبان (2790) والحاكم (288/1). وصححه الألباني في صحيح أبي داود. قوله: آذيت (أي الناس بتخطيك (وآنيت) كآذيت وزنا أي أخرت المجيء وأبطأت.

ملاحظته، حتى لا تصبح عادة راسخة يصعب علاجها، كما أنه مكلف بذلك من الله، ومن الطبيعي تدخله لتقويم سلوك لو تأخر يضعف التأثير ويقلل من فرصة النجاح"[1].

خامسا: دعوته للنظر والتفكر وتحمل المسؤولية.

لقد اهتمت التربية النبوية بتربية الصحابي على تنمية قدرته في النظر والتأمل والتفكر والتدبر، لأن ذلك هو الذى يؤهله لحمل أعباء الدعوة إلى الله، فالعقل يعدّ إحدى طاقات الإنسان المهمة، وقد جعله المولى عز وجل مناط التكليف، كما يعدّ العقل نعمة من الله على الإنسان يتمكن بها من قبول العلم واستيعابه، ولذلك وضع القرآن الكريم منهجا لتربية العقل سار عليه رسول الله (ﷺ) لتربية أصحابه.

ومن أهم نقاط هذا المنهج: تجريد العقل من المسلمات المبنية على الظن والتخمين أو التبعية والتقليد. ومنها: إلزام العقل بالتحري والتثبت. ومنها: دعوة العقل إلى التدبر والتأمل في نواميس الكون. ومنها: دعوة العقل إلى التأمل في حكمة ما شرع الله لعباده من عبادات ومعاملات وأخلاق وآداب وأسلوب حياة كامل في السلم والحرب والإقامة والسفر، لأن ذلك ينضج العقل وينميه، وتعرفه على تلك الحكم يعطيه أحسن الفرص ليطبق الشرع الرباني في حياته، ولا يبغى عنه حولا، لما فيه من السكينة والطمأنينة والسعادة والبشرية، ولأن الله سبحانه وتعالى إنما شرع ما شرع لذلك. ومنها: دعوة العقل إلى النظر في سنة الله في الناس عبر التاريخ البشري: ليتعظ الناظر ويتأمل في سنن الله في الأمم والشعوب والدول.

وقد وجّه الرسول (ﷺ) الصحابة لتحمل المسؤولية مما يجعلهم يوظفون ما عندهم من طاقات لخدمة الإسلام، فكل ميسر لما خلق له قال رسول الله (ﷺ): «كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته؛ الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤولٌ عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته»[2].

---

(1) رحيق رعد محمد المشايخي. **المنهج النبوي في تقويم الأخلاق والسلوك**. رسالة ماجستير في كلية الإمام الأعظم، بغداد. (د.ت) ص 153-154.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، 1/ 304، برقم (853)، وفي كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، 5/ 1996، برقم (4904)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، 3/ 1459، برقم (1829).

ولذا ساهم الصحابة كل حسب طاقته رجالا ونساء في خدمة دينهم فمنهم من أيده في المعارك وفي رعاية الجرحى، ومنهم من ساهم بالمال والجهد، وكان (ﷺ) يستخلف من يجده مؤهلا على المدينة حين يخرج للغزوات، وقد يولي أحدهم قيادة الجيش في السرايا التي يبعثها، وقد ولى أسامة بن زيد قيادة الجيش الذي وجهه لقتال الروم ولم يبلغ العشرين من العمر.

وكان رسول الله يشجع الصحابة بالثناء على سلوك معين، مما يكون باعثا على الحرص والالتزام وتحمل المسؤولية، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله (ﷺ)، فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمينٍ، حق أمين. قال: فاستشرف لها الناس، قال فبعث أبا عبيدة بن الجراح «وفي رواية» فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة»[1]. وقال (ﷺ): «أبا المنذر، أي آية معك من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أبا المنذر، أي آية معك من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 2] قال: فضرب صدري، وقال: لِيَهْنَ لك يا أبا المنذر العلم»[2].

نخلص مما تقدم إلى استنباط الفرق بين المنهج النبوي والمنهج الوضعي في التربية من عدة وجوه:

الأول: ربانية المنهج النبوي: فالمنهج النبوي تشريع يستمد قوته لارتباطه بالوحي وهو ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ [النجم: 3-4]، وهذه الربانية تمنحه صفة الثبات وعدم التقلب والتأرجح، وتلزم المسلم بطاعة الرسول لأنها من طاعة الله تعالى القائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]، والله تعالى بعثه معلما ومربيا بشيرا ونذيرا، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: 2]، كما أنه معصوم بنص القرآن الكريم .

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الغزوات، باب قصة أهل نجران، ج4، ص 1592، برقم (4120، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، ج4، ص1881، برقم (2419 و 2420).

[2] رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، ما جاء في آية الكرسي، ج2، ص 72، برقم (1460). والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، ج3، ص 344، برقم (5326) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ثانيا: شمولية المنهج: فالمنهج النبوي في التربية يشمل كل جوانب الحياة كما يشمل كل فئات المجتمع، بحيث يعالج مشكلات التربية بجميع أبعاد حياة الإنسان من ميلاده إلى وفاته، وعلاقاته مع خالقه ومع من حوله، وكما ولا يغفل الحالات المجتمعية المختلفة في السلم والحرب، ذلك أنه (ﷺ) مر بمختلف الأحوال، فنجد في هديه ما نهتدي به مربيا وأبا وزوجا، وجدّا وصاحبا ومبلغا، مرّ بحالات الفقر والغنى والقوة والضعف، والنصر والهزيمة، فكان لنا أسوة منه في تعامله مع كل ذلك بما يناسبه، وبهذا حرص الرسول (ﷺ) على تقويم أنماط متنوعة من السلوك السلبي شملت مجالات الحياة المختلفة، واستوعبت مراحل عمرية متعددة، واستهدفت الفرد والجماعة.

ثالثا: توازن المنهج: فهو منهج يوازن بين متطلبات الروح والجسد، والدنيا والآخرة، وحق الفرد والمجتمع، بشكل معتدل بحيث لا يطغى جانب على آخر، ولا يهمله، وبذلك نهى النبي (ﷺ) عن الغلو والتطرف حتى في العبادة، وإذا ما وجد خللا في ذلك عند الصحابة أنكره وأرشد إلى الصواب، ولا أدلّ على ذلك من حديث الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت زوجات النبي (ﷺ) يسألون عن عبادته.

فلذلك نجد هذا المنهج يعمل على غرس العقيدة الصحيحة من خلال التربية التي تتناول حياة الفرد والجماعة روحيا وجسديا وعقليا، واجتماعيا وعلميا، مما لا نجد ذلك مجتمعا في مناهج التربية الوضعية.

المبحث الثاني: المنهج النبوي في التربية على حب الفأل ونبذ الطيرة.

يلاحظ أن الكلمة المرادفة للطيرة هي التشاؤم، وأغلب العلماء لا يرى فرقاً بينهما في المعنى، وبذلك نجد أن اللفظين مترادفان في المعنى، متطابقان في المؤدّى؛ لا فرقَ بينهما إلا من جهة أصل الاصطلاح[1]. ونجد كثيراً من العلماء يُعرّفون أحدَهما بالآخر.

وقد ذكر القرآن الكريم الكلمة بمعنى الشر فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131] المعنى: ألا إنَّما الشُّؤْم الذي يَلْحَقُهم هو الذي وُعِدُوا به في الآخرة لا ما يَنالُهم في الدُّنْيا.... وقد تَطَيَّر به، والاسمُ: الطِّيَرَةُ، والطِّيْرَةُ، والطُّورةُ.

وفي قول الله عز وجل في قصة ثمود وتَشاؤُمهم بِنَبِيّهم صالحٍ عليه السلام المبعوث إليهم: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: 47] معناه: ما أصابَكم من خير وشر فمن الله، وقيل: معنى قولهم: ﴿اطَّيَّرْنَا﴾: تَشاءَمْنا وهو في الأصل "تَطَيَّرنا" فأجابَهم الله تعالى فقال: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: 19] أي: شُؤْمُكم معَكم، وهو كُفْرُهم.

ولا فرق عند العلماء بين الطيرة والفأل في أصل المعنى اللغوي –كما سبق في كلام الزمخشريْ وغيره– فكل منهما يطلق في الخير والشر، ولكن غلب في الاستعمال إطلاق الطيرة على الشر، والفأل على الخير، وعلى هذا جاء الشرع، قال الحافظ ابن حجر[2]: "أما الشرع فخَصَّ الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر". وقال: "ومن شروط الفأل الجائز أن لا يعتمد عليه، وأن لا يكون مقصودا، بل يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال".

والفرق بينهما من حيث **الحكم الشرعي**، ومن حيث الحكمة في جواز الفأل والنهي عن الطيرة: "أن الفأل الحسن لا يخلّ بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة: النشاط والسرور، وتقوية النفوس على المطالب النافعة"[3]. والفأل حسن ظن بالله تعالى، ورجاء له، وباعث على الاستعانة به، والتوكل

---

(1) انظر: علي محمد زينو. بحث **الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة**. (شبكة المعلومات: الانترنيت).

(2) ابن حجر. **فتح الباري**. ج 10، ص215.

(3) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **القول السديد شرح كتاب التوحيد**. تحقيق: صبري بن سلامة شاهين. (الرياض: دار الثبات، 2004م) ص192.

عليه، وعلى سرور النفس وانشراح الصدر، وهو مسكن للخوف، باعث للآمال، والطيرة على النقيض من ذلك: فهي سوء ظن بالله، وتوكل على غيره، وقطع الرجاء، وتوقع للبلاء، وقنوط للنفس من الخير، وهو مذموم وباطل شرعاً وعقلاً[1]. وورد عن معنى الفأل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «لا طِيَرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[2].

وفي محبة النبي (ﷺ) وسلم للفأل ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي أنه قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة»[3]، وفي رواية: «قالوا: وما الفأل: قال: الكلمة الطيبة». وعند الترمذي: "وأُحبُّ الفأل"[4]، وعند أحمد: «الكلمة الطيبة والكلمة الصالحة»[5]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا عدوى ولا طيرة ، وأحب الفأل الصالح»[6]. وعنه كذلك: «كان النبي يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة»[7].

وعن أبي بُردة قال: أتيت عائشة فقلت: يا أُمّتاه! حدثيني شيئا سمعتيه من رسول الله (ﷺ) فقالت: قال رسول الله (ﷺ): «الطير تجري بقدر، وكان يعجبه الفأل الحسن»[8]، ومعناه: أي بأمر الله وقضائه، وقد كانوا في الجاهلية إذا أراد الرجل سفراً، خرج فنفّر الطير، فإذا ذهبت يمينا تفاءل، أو شمالاً تطير ورجع، فأخبر الشارع أن ذلك لا أثر له[9].

---

(1) انظر: الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة. **تسهيل العقيدة الإسلامية**. (السعودية: دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط2، 2004م). ص 390.

(2) البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب الطيرة، 46/4، رقم (5753)، وباب الفأل رقم (5755)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، 1745/4، برقم (2223).

(3) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل،)46/4)برقم)5756(.، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، 1745/4، برقم (2224).

(4) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة، 161/4، (1615) وقال: حديث حسن صحيح.

(5) مسند أحمد ج 21، ص 229، برقم (13633).

(6) مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام باب الطيرة والفأل..ج 4، ص1476، برقم (2224)، ومسند أحمد، ج 16، ص342، برقم (10582).

(7) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، 2/ 1172، برقم (3536)، ومسند أحمد، 14/ 122، برقم (8393).

(8) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج، 41، ص 448، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان ، ج1، ص 86 وآخرون، وقال الحاكم: قد احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم؛ غير يوسف بن أبي بردة، والذيّ عندي: أنهما لم يهملاه بجرح ولا بضعف، بل لقلة حديثه، فإنه عزيز الحديث جدا» ومثله قال الهيثمي بمجمع الزوائد، ج7، ص 209، راجع أقوال أكثر في بحث "الأحاديث النبوية الواردة في الفأل"، عمر إبراهيم بن محمد نور سيف. ص 214-2015، مجلة تعظيم الوحيين، العدد 2، السنة الأولى، رجب 1439.

(9) انظر: اللمناوي، محمد عبد الرؤوف. **التيسير بشرح الجامع الصغير**. (القاهرة:المطبعة المصرية، 1286ه). ج 2، ص123.

مظاهر التفاؤل في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

تضمنت الأحاديث السابقة في الفأل وتشجيع النبي عليه، وجاءت أحاديث أخرى تضمنت بما كان يتفاءل به (ﷺ) وهي:

1- التفاؤل بالأسماء

وقصة الحديبية خير مثال على ذلك كما جاء في كتب السيرة والحديث ففيه أن قريشا أرسلت نفرا منهم إلى النبي (ﷺ) من أجل الصلح وفيه: "فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: أئته، فلما أشرف عليهم، قال النبي (ﷺ): هذا مكرز، وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي (ﷺ)، فبينما هو يكلمه إذ جاء سُهيل بن عمرو... قال النبي (ﷺ): «لقد سهل لكم في أمركم»[1]، والشاهد فيه تفاؤله (ﷺ) باسم (سهيل). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي (ﷺ) كان يُعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: "يا راشد"، "يا نجيح"[2]، ومعنى (كان يعجبه) أي: يستحسنه ويتفاءل به.

وعن يحيى بن سعيد أن النبي (ﷺ) قال لِلقحة عنده: من يحلب هذه الناقة؟ فقام رجل فقال له: «ما اسمك؟ فقال له: مرة، قال: اجلس، ثم قال: من يحلب هذه الناقة؟ فقام رجل فقال له: ما اسمك؟ قال: حرب، قال: اجلس، ثم قال: من يحلب هذه الناقة؟ فقام آخر فقال: ما اسمك؟ قال: يعيش، قال: احلب»[3].

عن بريدة أن النبي (ﷺ) كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به، ورئي بِشرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح بها ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رُئي كراهية ذلك في وجهه[4].

---

(1) البخاري، الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، ج 5، ص 388-392، برقم (2731، 2732)، ومسند أحمد، ج 31، ص243، برقم (18928)، وابن حبان في صحيحه، ج 11، ص 216.

(2) أخرجه الترمذي في "جامعه": كتاب السير عن رسول الله – صلى الله وعليه وسلم –: باب ما جاء في الطيرة: ج 4، ص 161، برقم (1616). قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير برقم، (4978).

(3) الإمام مالك، الموطأ، ج 2، ص152، برقم (2049)، والطبراني، المعجم الكبير، ج 24، ص72.، قال الهيثمي: رواه الطبراني، وإسناده حسن.

(4) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة، 4/ 19، برقم (3920). وهناك أحاديث ضعيفة لم نذكرها اكتفاءً بما سبق.

2- تفاؤل النبي صلى الله عليه وسلم مما يسمع من فم الرجل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) سمع كلمة فأعجبته فقال: «أخذنا فألك من فيك»[1]، وعن النبي (ﷺ) سمع رجلا يقول: هاكها خضرة، فقال النبي (ﷺ): «يا لبيك، نحن أخذنا فألك من فيك، أخرجوا بنا إلى خضرة[2] قال: فخرجوا إليها فما سُلّ فيها سيف»[3].

وقد ورد أن خير الطيرة الفأل فعن مضارب بن حزن قال: قلت لأبي هريرة: هل سمعت من خليلك شيئا تحدثنيه؟ قال: نعم، سمعته يقول: «لا عدوى ولا هامة، وخير الطيرة الفأل، والعين حق»[4]. وعن عروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكِرت الطيرة عند رسول الله (ﷺ) فقال: «أحسنها الفأل، ولا تردُّ مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقُل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[5].

التوجيه النبوي في موضوع الفأل والطيرة والحكمة منه:

دلت الأحاديث السابقة كلها عن منهج النبي (ﷺ) في قضية الفأل والطيرة بأنه يعجبه الفأل وفسّروه بالحسن والكلمة الطيبة والصالحة، وينهى عن الطيرة والتطير الذي هو التشاؤم، حتى أنه ذكر من ضمن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «الذين لا يتطيرون وعلى الله يتوكلون» فقال: «هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون". فقام عُكّاشةُ بن مِحصَن فقال: أمِنهم أنا يا رسول الله؟ قال: "نعم". فقام آخرُ فقال: أمنهم أنا؟ فقال: «سبقك بها عكاشة»[6].

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، ج4، ص 18، برقم (3917).، ومسند أحمد ج 15، ص16، برقم (9040)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (726).

(2) قيل: إن خضرة اسم علم لخيبر، وكان النبي (ﷺ) عزم على النهوض إليها، فتفاءل بقول علي ﷺ: يا خضرة فخرج إلى خيبر، وقيل نادى إنسانا بهذا الاسم فتفاءل (ﷺ)، بخضرة العيش ونضرته. تاج العروس للزبيدي، ج 11، ص185.

(3) الطبراني في المعجم الكبير، ج17، ص 20، والأوسط، ج4، ص 185، وأبو نعيم في الطب النبوي ج1، ص 310، وآخرون، كلهم من طرق عن كثير ابن عبد الله عن أبيه عن جده، قال عنه الهيثمي: ضعيف جدا، وقد حسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد، ج5، ص 106. وجاءت أحاديث أخرى في هذه الباب ولكنها ضعيفة أو منكرة.

(4) مسند أحمد، ج16، ص 2015، برقم (10321)، انظر في حكمه: الأحاديث النبوية الواردة في الفأل ص 36 حيث ذكر أقوال العلماء ابن سعد والعجلي، وابن حبان والبخاري، والذهبي والحافظ في راوي الحديث، وقال: والأقرب والله أعلم أنه لا ينزل عن درجة الصدوق، فالإسناد حسن.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة، ج4، ص18،برقم (3919).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، 5/ 2396، برقم (6175)، وفي كتاب الطب: باب من لم يرقِ: برقم (5752)، وأطرافه في: كتاب الأنبياء: باب وفاة موسى وذكره بعد برقم (3410)، وفي كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة.. 5/ 2188، برقم (5474)، وأخرجه مسلم في "صحيحه": الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب...، 1/ 198، برقم (218، 219).

وجاء نهي النبي (ﷺ) عن الطيرة في أحاديث أخرى وكيف يتصرفون إن عرض عليهم ما يتطيرون به، فعن معاوية بن حكيم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، منا رجال يتطيرون! قال: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنَّهم»[1]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ): قال "الطيرة شرك، الطيرة شرك". ثلاثاً "وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكُّل"[2]. وعن قبيصة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت». الطرق: الزجر، والعيافة: الخطّ"[3]. ففي الأول ذكر أن الطيرة شيء في صدورهم لا حقيقة له، وفي الآخر قرن الطيرة بالشرك ولكنه لما كان من طبيعة البشر أن يعرض لهم فعليهم إذهابه بالتوكل على الله، وفي الخير قرنها بالعيافة والطرق، وأنها من الجبت.

الحكمة من النهي عن التطير.

لم يَحكِ الله التطيُّرَ إلا عن أعداء الرسل[4]، وكان التطير من عقائد وأفعال أهل الجاهلية، وله وجوه كثيرة، قال ابن القيم: وأصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سمّوه سانحاً، وما تياسر منها سمّوه بارحاً، وما استقبلهم منها فهو الناطح، وما جاءهم من خلفهم سمّوه القعيد، فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى خلاف ذلك[5].

---

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، ج1،؟ ص383، برقم (537)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة، ج1، ص 244، برقم (930)، وأخرجه النسائي في المجتبى، كتاب الصلاة، الكلام في الصلاة، ج3، ص 14 برقم (1218).

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة، ج4، ص 17، برقم (3910)، وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب السير عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الطيرة، ج4، ص160، برقم (1614)، وقال: حديث حسن صحيح.... وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، ج2، ص 1170 برقم (3538).

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الكهانة والتطير، باب في الخط وزجر الطير، ج4، ص 16، برقم (3907).

(4) ابن قيم الجوزية (751 ه). **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**. قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، راجعه: فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد. (الخُبَر.ط1: دار ابن عفان، 1416ه/ 1996م). 3/ 273. وذكر قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: 18، 19]، وكذلك حكى الله سبحانه عن قوم فرعون: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31].

(5) ابن قيم الجوزية .**مفتاح دار السعادة**. ج 3، ص 268.

وقال الحافظ ابن حجر: وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، وإنما هو تكلُّفٌ بتعاطي ما لا أصل له؛ إذ لا نُطقَ للطير ولا تمييزَ، فيستدل بفعله على مضمونِ معنىً فيه! وطلبُ العلم من غير مظانّه جهلٌ من فاعله، وقد كان بعضُ عقلاء الجاهلية يُنكرُ التطيُّرَ ويتمدّحُ بتركه... وكان أكثرهم يتطيرون ويعتمدون على ذلك، ويصح معهم غالباً لتزيين الشيطان ذلك، وبقيت من ذلك بقايا في كثير من المسلمين[1].

والتطير هو ناتج من سوء ظن العبد بربه، فيقابله الله تعالى على سوء ظنه بأن يصيبه ما تطير منه، قال الإمام القرافي الذي يعد التطير مرض: ولا يكاد المتطير يسلَمُ مما تطير منه إذا فعلَهُ، وغيرُه لا يصيبه منه بأسٌ!، وهو ما يضاد التوجيه النبوي بحسن الظن بالله في قوله (ﷺ) حكاية عن الله تعالى: «أنا عند ظنِّ عبدي بي؛ فليظُنَّ بي ما شاء»[2]، وفي بعض الطرق «فليظنَّ بي خيراً»[3].

وإن المتطير "يصير قلبه متعلقاً بغير الله عبادة وتوكلاً، فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة، ويساق إليه من كل أوب، ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب، المؤيد للآمال، الفاتح باب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله، السار لنفسه؟ فهذا ضد الطيرة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا استحب (ﷺ) الفأل، وأبطل الطيرة"[4].

---

(1) ابن حجر. **فتح الباري**. ج 11، ص373- 374.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى"ويحذركم الله نفيه" وقوله "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك"، 6/ 2693، برقم (6970).

(3) لم أجده بهذا اللفظ على شهرته، وكثرة إيراد المصنفين له، والله أعلم. وأقرب ما وجدته من هذا اللفظ ما أخرجه الإمام أحمد في "المسند" برقم(9076) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله وعليه وسلم : أن الله عز وجل قال: "أنا عند ظنّ عبدي بي، إن ظن بي خيراً، فله وإن ظن شراً فله".

(4) ابن قيم الجوزية. **مفتاح دار السعادة**. ج 3، ص312.

معالجة التطير وفق المنهج النبوي: هناك وسائل لعلاج التطير والتشاؤم منها:

1- حسن الظن بالله والتوكل عليه:

ذلك بأن يتعاهد المسلم يقينه بأن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله تعالى هو وحده الضار النافع، والمعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبعد هذا يعتمد قلبه على ربه في تحقيق ما يحب، ودفع ما يكره، مع الأخذ المطلوب بالأسباب المعتبَرة شرعاً[1]. هذا وإن المسلم متى علق قلبه بغير الله سبحانه فقد أخطأ خطأً فاحشاً، فإذا توكَّل على غير الله عز وجل وتعلّق به وُكِل إليه، وفي حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ﷺ) قال: «الطيرة شرك، الطيرة شرك" ثلاثاً، "وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل"[2].

2- المضيّ في أمره وعدم التأثر بخاطر الطيرة:

قوله (ﷺ): «ولكنّ اللهَ يُذهِبه بالتَّوكُّل» معناه: أنه إذا خَطر له عارِضُ التَّطير فتَوكَّل على الله وسلَّم إليه ولم يعملْ بذلك الخاطر غفرَهُ الله له ولم يُؤاخِذْه به[3]. في حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه تصريحٌ بهذا المعنى قال: خرجت مع رسول الله (ﷺ) يوماً، فبرح ظبيٌ فمال في شقّه، فاحتضنتُه، فقلتُ: يا رسول الله تطيّرتُ؟ قال: «إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردّك»[4].

وقال عكرمة: كنتُ عند ابن عباس رضي الله عنه فمرّ طائرٌ يصيح؛ فقال رجلٌ من القوم: خيرٌ! خيرٌ!. فقال ابن عباس: ما عند هذا لا خيرٌ ولا شرّ[5]. وفي الحديث عن النبي (ﷺ): «ثلاثةٌ لا يَسلَمُ منها أحدٌ: الطِّيَرَةُ والحَسَدُ والظنُّ" قيل: فما نصْنعُ؟ قال: "إذا تَطَيَّرْتَ فامْضِ، وإذا حَسَدْتَ فلا تَبْغِ، وإذا ظَننتَ فلا تُصَحِّحْ»[6].

---

(1) علي محمد زينو. بحث **الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة**. (شبكة المعلومات: الانترنت).

(2) سبق تخريجه ص 17 هامش 1.

(3) ابن الأثير الجزري، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: محمود أحمد الطناحي و طاهر أحمد الزواوي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي. ج 3، ص152.

(4) أخرجه الإمام أحمد في "المسند، ج1، ص 213، برقم (1824).

(5) نقله الحافظ ابن حجر في **"فتح الباري" ج** 11، ص376، وعزاه إلى الطبري، ولم أجده، والله أعلم.

(6) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (3227) من حديث حارثة بن النعمان رضي الله عنه. قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم (13046): رواه الطبراني، وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف.

قال ابن مفلح المقدسي: معناه أن الطيرة شيءٌ تجدونه في نفوسكم ضرورةً، ولا تكليفَ به، لكنْ لا تمنعوا بسببه من التصرف؛ لأنه مكتَسَبٌ، فيقع به التكليف[1]. وقد كان العرب قبل الإسلام يتشاءمون بشهر شوال، ولا سيما في النكاح، فلقّنت عائشة – رضي الله عنها – أصحابَ هذا الوهم درساً عملياً عندما بيّنت أن النبيّ (ﷺ) عقَدَ عليها في شهر شوال، وبنى بها في شوال، ثم قالت: "فأي نساء رسول الله (ﷺ) كان أحظى عنده مني؟"[2]والجواب: لا أحد.

3- التفاؤل والإتيان بالكفارة: التفاؤل في مقابل التشاؤم: قال الإمام النووي: قال العلماء: الفأل يكون فيما يسوء وفيما يسرُّ، والغالب في السرور، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، قالوا: وقد يُستعمل مجازاً في السرور[3]. ونقل عن الإمام الطيبي: معنى الترخص في الفأل، والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئاً، فظنه حسناً محرضاً على طلب حاجته فليفعل ذلك، وإن رآه بضدّ ذلك فلا يقبله، بل يمضي لسبيله، فلو قبل وانتهى عن المضيّ فهو الطيرة التي اختُصت بأن تُستعمل في الشؤم[4].

والإيتان بالكفارة قول ورد في حديث أخرجه الإمام أحمد عنه (ﷺ) قال: «من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: وما كفارةُ ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طيرَ إلا طيرُك، ولا إلهَ غيرُك»[5].

أقوال العلماء في حكم التطير

اتفق أهل التوحيد على تحريم التطير، ونفي تأثيره في حدوث الخير أو الشر، لما في ذلك من الإشراك بالله في تدبير الأمور، والنصوص في النهي عن ذلك كثيرة –وتعده من الشرك– قد ذكرت بعضها. ذهب بعض الحنابلة إلى كراهة التشاؤم والطيرة دون الفأل، وقال ابن مفلح: إنه قول غير واحد من الأصحاب، وقال: الأولى القطع بتحريمها،

(1) ابن مفلح المقدسي، عبد الله محمد. **الآداب الشرعية**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1999م). ص 783.

(2) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب التزوج في شوال واستحباب الدخول فيه، ج2، ص 1039، برقم (1423).

(3) النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج 4، ص2261.

(4) نقله الحافظ ابن حجر في "**فتح الباري**" ج 11، ص376.

(5) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. ج 2، ص 220، برقم (7045).

ولعل مرادهم بالكراهة التحريم[1]. وعدّ الهيتميُّ ترك السفر، والرجوع منه تطيراً الكبيرةَ الحادية بعد المئة في الزواجر عن اقتراف الكبائر[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: إن اعتقد المكلف أن الذي شاهده من حال الطير مُوجِبٌ لِما ظنّه، مؤثِّرٌ فيه، فقد كفر؛ لِما في ذلك من التشريك في تدبير الأمور. أما إذا علم أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف والمدبر وحده، ولكنه في نفسه يجد شيئاً من الخوف من الشر؛ لأن التجارب عنده قضَت أن صوتاً من أصوات الطير، أو حالاً من حالاته يرادفه مكروه، فإن وطَّنَ نفسَهُ على ذلك فقد أساء، وإن استعاذ بالله من الشرّ، وسأله الخير، ومضى متوكِّلاً على الله، فلا يضرُّه ما وجد في نفسه من ذلك، وإلا فيؤاخَذ؛ لحديث معاوية بن حكيم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، منا رجال يتطيرون! قال(ﷺ): "ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنَّهم"[3].

---

[1] يُنظر: "الآداب الشرعية" لابن مفلح المقدسي ص 782-783.

[2] الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن حجر. **الزواجر عن اقتراف الكبائر**. (بولاق: المطبعة المصرية 1284هـ). ج 2، ص156.

[3] سبق تخريجه ص 18 هامش6.

نتائج البحث

عالج البحث الموضوع في تمهيد ومبحثين، وضّح **الأول** سمات المنهج النبوي التربوي في التربية النفسية عامة، والفرق بينه وبين المناهج الوضعية. وبيّن **الآخر** منهج النبي (ﷺ) في تربية الصحابة على ممارسة حب الفأل ونبذ الطيرة. **و**توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1- جاءت مفاهيم التربية النبوية شاملة لكل مجالات الحياة، ولعموم الناس مع مراعاتها للمراحل العمرية للإنسان، ومنها التربية النفسية. وصحّ عن رسول الله (ﷺ) أن الفأل هو الكلمة الطيبة الحسنة الصالحة، وأنه كان يحب الفأل، ويكره الطيرة، وأنه كان يتفاءل بالأسماء وبما يسمعه من كلام حسن.

2- المنهج النبوي في التربية يقوم على مبدأ العقيدة والإيمان بالله، واليسر والاعتدال، بالحكمة والموعظة الحسنة، يخاطب العقل والوجدان، ويدعوه إلى التأمل والإقناع، مستفيداً من الأحداث في التوجيه. وهو رباني، موافق للفطرة، مناسب لواقع البشر، يعالج مسائلهم انطلاقا من طبيعتهم، ويبرز مكنونات الإنسان الإيجابية ليتحول إلى طاقة إيجابية عاملة، منتجة توازن بين متطلبات الدنيا والآخرة.

3 – الفأل والطِّيَرة يرتبطان بإشكالية عقَدية ونفْسية لدى بعض الناس ممن لم ترسخ في العلم أقدامُهم، ولم تتنوّر بحقائق الإيمان قلوبُهم؛ تجعلهم يربطون بين أسبابٍ غير معتبرة عقلاً وشرعاً وبين شرٍّ وضررٍ يتوهمونه. والتفاؤل يجعل الإنسان إيجابيا متفاعلا مع الحياة مقبلا عليها، ونهى النبي (ﷺ) عن التطير، بل حرّمه لما يوقع في القلب من فساد العقيدة.

4- الفأل حسن الظن بالله، يبعث على صدق التوكل به ويؤثر في انشراح الصدر والسرور، والسكن والطمأنينة والاستقرار الروحي، وتجديد الآمال، وبعكسه التطير والتشاؤم الذي يؤدي إلى ضيق الصدر والوسواس المثبط للعمل والأمل. وعالجت الأحاديث النبوية الظاهرة الجاهلية بضبط المشاعر والانفعالات النفسية، وتقوية الإيمان بالله وقدره، وحسن الظن وصدق التوكل عليه. ويجابه الإسلام الظواهر السلبية، مع تقديم العلاج للقضاء على آثارها، فضلاً عن الوقاية منها، فالإسلام حرّم التطير وحثّ على التفاؤل، وذلك بحسن الصلة بالله، والقيام بما أمر وحث الشرع عليه.

ويوصي البحث بما يأتي:

* ضرورة نشر الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالفأل والطيرة، وبيان أهميتها على المستوى الفردي والجماعي، وخصوصاً لأنها من الموضوعات الواقعية في حياة الناس على اختلاف مستوياتهم، وذات خطر على العقيدة والصحة النفسية.

* ترسيخ مبادئ التربية النبوية ومنها النفسية المرتبطة بالجانب الروحي والسلوك الإسلامي لدى فئات المجتمع، وبيان هذه المبادئ ضمن مقررات المدارس والجامعات.

فهرس المصادر والمراجع:

1. ابن تيمية (728هـ)، **مجموع الفتاوى**، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، ط3 المنصورة: دار الوفاء، 2005م.
2. ابن حجر العسقلاني (852 هـ)، **فتح الباري** شرح صحيح البخاري، تح: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د.ت.
3. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت 463)، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الدمام: دار ابن الجوزي، 1994م.
4. ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر المالكي (543هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.
5. ابن قيم الجوزية (751 هـ)، **مفتاح دار السعادة** ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، راجعه: فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد. الخُبَر.ط1: دار ابن عفان، 1996م.
6. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية**. (بيروت: ط المعارف، 1990م).
7. ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي (275 هـ)، **سنن ابن ماجه**، مراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. الرياض. ط 1: دار السلام 1999م.
8. ابن مفلح المقدسي، عبد الله محمد. **الآداب الشرعية**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1999م).
9. ابن منظور، محمد بن مكرم (711هـ)، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، مصر: دار المعارف، (د.ت).
10. أبو داود السجستاني (275 هـ)، **سنن أبي داود**، مراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دمشق: دار الفيحاء، الرياض. ط1: دار السلام 1999م.

11. أبو لبابة حسين، **التربية في السنة النبوية**، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع (د. ت).
12. أحمد بن حنبل (241 ه)، **المسند**، الموسوعة الحديثية. المشرف العام على إصدار الموسوعة: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.
13. أحمد عزت، **أصول علم النفس**، ط1، الاسكندرية: المكتب المصري، 1982م.
14. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376ه)، **القول السديد** شرح كتاب التوحيد، المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1421ه.
15. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن** في تفسير كلام المنان. تحقيق: ابن عثيمين. (بيروت: مؤسسة الرسالة 2000م.
16. البخاري، محمد بن اسماعيل (ت256ه)، **صحيح البخاري**، مؤسسة بيروت. ط1: الرسالة ناشرون، 2008م. ط أخرى بيروت: دار الفكر، 1993م.
17. البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر. **سنن البيهقي**. تحقيق: عبد القادر عطا. (مكة، مكتبة دار الباز 1994م).
18. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (279ه)، **سنن الترمذي**، مراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دمشق: دار الفيحاء، الرياض. ط1: دار السلام 1999م.
19. الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز، **تسهيل العقيدة الإسلامية**، ط2، السعودية: دار العصيمي للنشر والتوزيع، 2004م.
20. الجزري، مجد الدين ابن الأثير (606ه)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود أحمد الطناحي وطاهر أحمد الزواوي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي و دار إحياء التراث العربي.
21. الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد، (ت 393ه)، **الصحاح تاج اللغة** وصحاح العربية، تحقيق: إميل يعقوب ومحمد طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.
22. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، (360 ه)، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين 1995م.

23. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، (360 ه)، **المعجم الكبير**، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد. دار إحياء التراث العربي: 1986م.

24. عثمان حسن ملا، **تربية الإنسان المسلم**، القاهرة: دار الصحوة 1984م.

25. العطار، عبد الخالق، **النفوس المطمئنة الزكية**، والنفوس الشيطانية الأمارة الشريرة الشقية في ضوء القرآن والسنة، القاهرة: جمعية السلام الإسلامية، 1991م.

26. الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط2، مصطفى الحلبي، 1371هـ.

27. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس (684 ه)، كتاب **الفروق** (أنوار البروق في أنواء الفروق)،دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية: أ.د. محمد أحمد سراج، أ.د. علي جمعة محمد. القاهرة. ط1: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2001م.

28. القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر (656 ه)، **المُفهم لِما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقق: محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزّال، دمشق بيروت: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب 1996م.

29. القرطبي، أبو عبد الله (671ه)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت. ط1: مؤسسة الرسالة 2006م.

30. مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت 179ه)، **موطأ مالك**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، أبو ظبي، الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 2004م.

31. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، جمهورية مصر العربية: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث.ط4: 2004م. مكتبة الشروق الدولية.

32. مجمع اللغة العربية، **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1390هـ، ط2.

33. محمد أمحزون، **منهج النبي ﷺ في الدعوة** من خلال السيرة الصحيحة، (مصر: دار السلام، ط5، 2010م).

34. مسلم بن الحجاج النيسابوري (261هـ)، **صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: ط1 دار إحياء التراث العربي).

35. المقدسي، محمد بن مفلح (763هـ)، **الآداب الشرعية**، اعتنى به: ماهر ثملاوي و علي محمد زينو، بيروت.ط1: مؤسسة الرسالة ناشرون 2005م.

36. المناوي، محمد عبد الرؤوف (1031هـ)، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، (القاهرة: المطبعة المصرية، 1286هـ).

37. المناوي، محمد عبد الرؤوف (1031هـ)، **فيض القدير** شرح الجامع الصغير، بيروت. ط2: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1972م.

38. لجنة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، الكويت، ط2: 1988م.

39. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (303هـ)، **السنن الكبرى**، قدم له: د. عبد بن عبد المحسن التركي. أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي؛ بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت. ط1: مؤسسة الرسالة 2000م.

40. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (303هـ)، **سنن النسائي الصغرى**، مراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. دمشق: دار الفيحاء، الرياض. ط1: دار السلام 1999م.

41. النووي، **شرح صحيح مسلم** (ت 676هـ)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، ط1 دمشق: دار العلوم الإنسانية 1997م.

42. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي (ت 807هـ) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: تح حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1994م.

43. الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن حجر (974هـ)، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، بولاق: المطبعة المصرية 1284هـ.

مجلات.

- الدحيم، إبراهيم بن صالح، **أساليب نبوية في التربية**، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، أكتوبر/ ديسمبر 2015م، العدد: 1- 2، السنة: 40.
- عمر بن إبراهيم بن محمد نور سيف، **الأحاديث النبوية الواردة في الفأل** جمعا ودراسة، مجلة تعظيم الوحيين، العدد الثاني، رجب 1439هـ.

رسائل علمية.

- الشهري، عزة بنت عابس بن محمد، **مبادئ التربية النفسية** في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في التربية، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، 2015م.
- الصيفي، رمضان يوسف عبد الهادي، **منهج القرآن في التعامل** مع جرائم اليهود، رسالة ماجستير كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م.
- محمد حسين أحمد، **الأحاديث الواردة في الصحة النفسية**، جمعا وتصنيفا ودراسة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، قسم الحديث النبوي الشريف، 2002م.

شبكة الانترنيت:

زكية مازغ، **المنهج التربوي النبوي** في السنة والسيرة النبوية، موقع مغرس.

https://www.profvb.com/vb/t50799.html

علي محمد زينو، **الطيرة والتشاؤم** في الكتب الستة، بحث حديث موضوعي، رابط الموضوع:

https://www.alukah.net/sharia/0/47135/#ixzz5XgvQt7xo

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AL-QUR'AN & AL-SUNNAH FACULTY
VOL. (1)- Issue 1 Jan 2023 المجلد الأول -العدد الأوّل يناير

TOWARDS AN IDEAL TAFSIR METHODOLOGY AND SAYYID MAWDUDI'S TAFHIMUL QUR'AN

نحو منهجية مثالية لتفسير القرآن الكريم: تفهيم القرآن للسيد المودودي نموذجًا

DR. NOOR MOHAMMAD OSMANI
Associate Professor
Department of Qur'an and Sunnah Studies, AHAS KIRKHS
International Islamic University Malaysia.
abusajid@iium.edu.my

DR. MD YOUSUF ALI
Associate Professor
Aqidah and Religious Studies, FKP
Universiti Sains Islam Malaysia (USIM)
yousufali@usim.edu.my

DR. MD HABIBUR RAHMAN
Faculty of Business and Management (FPP)
Universiti Sultan Zainal Abidin (UniSZA)
Terengganu, Malaysia.
habiburrahman@unisza.edu.my

DR. NOOR MOHAMMAD OSMANI
DR. MD HABIBUR RAHMAN
DR. MD YOUSUF ALI

ABSTRACT

An ideal Qur'anic interpretation lies on interpreting the Qur'an by similar Qur'anic *ayat*, by the *ahadith* of the Prophet, by the usage of Arabic language and resorting to one's sound judgments that is not contradicting with *shari`ah* principles and *maqasid shari`ah,* the objectives of Islamic law. Qur'anic interpreters have different approaches to the Qur'anic interpretation. Some of them totally depended on *Tafsir al-Ma'thur*, or tradition based tafsir; while others depended on *Tafsir bi al-Ra'i*, or rational interpretation of the Qur'an. Both these schools exceeded the limits to interpret the Qur'an. Traditionist scholars did not allow even a valid rational interpretation, while rationalists preferred their rationality always on even authentic *ahadith* of the Prophet (PBUH). Sayyid Mawdudi (1903-1979) followed a balanced approach in the interpretation of the Qur'an. He always preferred traditional interpretation of the Qur'an giving top priority to the ayat and ahadith of the Prophet. He also resorted to sound judgments as well in the Qur'anic interpretation without crossing the borders. At the same time, he did not hesitate to disapprove some ahadith of the Prophet, though not many, if it is proven to him, totally against shari`ah and sound mind. The current study is based on the textual analysis of Sayyid Mawdudi's magnum opus tafsir Tafhim ul Qur'an, and the method he followed therein, to judge if it is suitable to the ideal Qur'anic interpretation, or that is against it. It is observed that Sayyid Mawdudi's approach to the interpretation of the Qur'an is amongst the ideal methodology of the Qur'anic commentary. He always searched for the truth being within the limits of shari`ah and addressing the modern day problems to suit it to the modern generation of the people.

Keywords: *Qur'anic commentary, ideal method, Sayyid Mawdudi, Tafhimul Qur'an*

الملخص:

إن تفسير القرآن المثالي يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخدام اللغة العربية واللجوء إلى الآراء السليمة التي لا تتناقض مع مبادئ الشريعة ومقاصدها، وأهدافها.

وإن المفسرين الكرام قد استخدموا مناهج مختلفة في تفسير القرآن الحكيم. فاعتمد بعضهم على التفسير المأثور وحده، وآخرون اختاروا التفسير بالرأي فقط! وكلهم اجتهد في تفسير القرآن الكريم. فالمفسرون بالمأثور التزموا منهج النقل والرواية، وبعضهم جمع بين النقل والرأي المحمود المعقول، وبعض المفسرين من أهل الرأي رجّحوا عقولهم على الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما الأستاذ المودودي (1903-1979) فقد اختار منهجًا متوازنًا في تفسير القرآن الكريم، فهو يُفضّل الجمع بين التفسير بالمأثور بناءً على الآيات والأحاديث النبوية ويقدِّمه على غيره، وبين الآراء المحمودة أيضا في التفسير دون أن يتجاوز حدود الشرع. وفي الوقت نفسه، لا يرى بأسا في رفض بعض الأحاديث الضعيفة – وإن لم يكثر عددها – إن وجد فيها ما يخالف الشرع والعقل السليم!

فهذه الدراسة تركز على التحليل النصي للتفسير الكبير المعروف بتفهيم القرآن للسيد المودودي والمنهجية التي سلكها فيه، لنرى هل هذا سيحقق ما أسميناه بالتفسير المثالي أو يخالفه؟

وقد خلُصت الدراسة بأن منهج السيد أبي الأعلى المودودي في تفسير القرآن الكريم يُعدُّ من المنهجية السليمة المثالية. فقد كان–رحمه الله– دائم البحث عن الحقيقة دون مجاوزة حدود الشرع، ويهتم كثيراً بمعالجة مشكلات العصر الحديث ليتلاءم تفسيره مع الجيل الجديد في هذا العصر.

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن، الأسلوب المثالي، المودودي، تفهيم القرآن.

INTRODUCTION

The approaches of the *Mufassirūn* differ from each other in the interpretation of the Qur'ān. They have a particular aspect to focus on, and certain fields to be emphasized. Because of this we find various schools of *tafsīr* established by the scholars. But the best methodology of Qur'ānic interpretation, as Zarkashī puts, is as follows:

The best methodology for the interpretation of the Qur'ān is to interpret the Qur'ān by similar *āyāt* of the Qur'ān. If any thing is briefly narrated in a place, it is explained in detail in another place. If you cannot find it in the Qur'āic *āyāt*, then search for it in *Sunnah*; for *Sunnah* is the explanation of the Qur'ān and elaborates it quite in detail. Allah (SWT) says:

And we Sent down the Book to thee for the express purpose, that thou should make clear to them those things in which they differ, and that it should be a guide and a mercy to those who believe. [Al-Nahl 16: 64]

The Prophet has said:

"Verily I am given the Qur'ān and another thing (*Sunnah*) with it."[1]

If the explanation is not available in *Sunnah*, then the sayings of the Companions will be referred to, for they are well-versed about it by witnessing the Qur'ānic revelation and because of their excellent understanding of the Qur'ān. If that is also not possible, then the individual ability of *Ijtihād* and understanding will be employed with the conditions mentioned earlier."[2]

A commentator according to the best approach to the Qur'ān, has to follow the steps of interpreting the Qur'ān by the Qur'ān, by the *Sunnah*, by the sayings of the Companions, and finally by his own *ijtihād* and understanding of the Qur'ān. Then only would his *tafsīr* be accepted in the category of *tafsīr bi al-Ma'thūr*.

[1] Abu Da'wud al-Sajistani, *Sunan Abi Da'wud,* Kitab As-Sunnah, No. 4604, 4/200.
[2] Zarkashi, Badruddīn: *Al-Burhān fi 'Ulūm al-Qur'ān*; Ṭab'at 'Īsa al-Ḥalabī, Cairo, 1st edition, 1376 AH-1957AD, Vol.2, pp.175-176.

If a commentator follows his own *ijtihad*, independent understanding, to interpret the Qur'anic *ayat*, it maybe accepted if it is within the limits of *shari`ah*, and not violate any Qur'anic *ayat* or *ahadith* of the Prophet. But if it is simply based on his own whims and desires, his interpretation is rejected by the scholars, and is termed as *Tafsir al-Madhmum*, or blameworthy interpretation of the Qur'an.

Qur'ānic Commentary by the Qur'ān

Sayyid Mawdūdī gave utmost emphasis on *Tafsir al-Qur'ān bi al-Qur'ān*. He looked into all Qur'ānic *āyāt* in a particular issue and then forms a holistic view rather than a partial one. In a response to a query, he highlights the proper methodology to interpret the Qur'ān and says:

It is of supreme need to know first the proper methodology of interpreting the Qur'ān before attempting to do it. One has to ponder upon the linguistic meaning of the Qur'ānic *āyah* and its context; and then look for other similar *āyāt* on the same issue and accept the meaning which is in conformity to all those *āyāt* together. If you endeavor up to this point, then see what interpretation was received from the sayings and acts of the official interpreter of the Qur'ān; and also from those who physically were present before the Prophet and witnessed its revelation.[3]

Some Examples

Mawdūdī's emphasis on this aspect of Qur'ānic interpretation by other similar *āyāt* was so prevalent and overwhelming that one could see it easily throughout his *tafsīr*. A few examples are cited below:

In Sūrah al-Aḥzāb, Allah SWT says:

Their salutation on the Day they meet Him will be "Peace!": and He has prepared for them a generous Reward. [Al-Aḥzāb 33: 44]

Mawdūdī mentions that this "salutation" maybe in three ways, as have been established in different *āyāt* of the Qur'ān. *First*, Allah would by Himself greet them, as mentioned in the Qur'ān: "Peace!" a Word (of salutation) from a Lord Most

[3] Mawdūdī, *Al-Islam fi Muwajahat al-Taḥaddiyyāt al-Mu`āsirah,* [Islam and the modern challenges], p. 75.

Merciful! [Yasin 36: 58] *Second*, the Angels would greet them, as reflected in the Word of Allah: (Namely) those whose lives the angels take in a state of purity, saying

(to them), "Peace be on you; enter ye the Garden, because of (the good) which ye did (in the world)." [al-Naḥl 16: 32] *Third*, the Believers would greet among each other by such a word, as in the Qur'ān: (This will be) their cry therein: "Glory to Thee, O Allah!" and "Peace" will be their greeting therein!" [Yūnus 10: 10][4]

This presents a comprehensive picture of the Greetings to and by the Believers in Paradise based on the different *āyāt* of the Qur'ān.

Meaning of the word 'Islam'

Allah Subḥānahu wa Ta`āla says in Sūrah al-Ḥujurāt:

The desert Arabs say, "We believe." Say, "Ye, have no Faith, but ye (only) say, 'We have submitted our wills to Allah, 'for not yet has Faith entered your hearts." [Al-Ḥujurāt 49: 14]

Sayyid Mawdūdī removes a confusion here by some people who claim that 'Islam' refers to outward submission alone in the Qur'ān, and for inner belief the Qur'ān usually uses the word '*Īmān*'. According to Mawdūdī, this is an erroneous standpoint. He refers to all Qur'ānic *āyāt* that mention the word 'Islam' and 'Muslim' and reaches the conclusion that 'Islam' and 'Iman' are not two contradicting terms in the language of the Qur'ān. They are used interchangeably for both meanings. "Islam, he says, refers in the Qur'ān to the true religion of Allah for humanity. It encompasses both belief and submission to the commands of Allah. "Muslim" in the Qur'ānic usage refers to the one who believes in heart and submits in action."[5]

In support of above statement, Mawdūdī mentions twelve Qur'ānic *āyāt* and also refers to seven more *āyāt* which mention the word 'Islam', 'Muslim' or 'Īmān' and

[4] *Tafhīm*, 4/105, Sūrah al-Aḥzāb (33), note 80.
[5] *Tafhīm* 5/100, al-Ḥujurāt (49), note 31.

refer not only to outward submission, but also to total devotion to the commands of Allah. Some are mentioned for reference below:

If anyone desires a religion other than Islam (submission to Allah), never will it be accepted of him. [Āl-i ʻImrān 3: 85]

O ye who believe! fear Allah as He should be feared, and die not except in a state of Islam. [Āl-i ʻImrān 3: 102]

Abraham was not a Jew nor yet a Christian; but he was true in Faith, and bowed his will to Allah's (which is Islam), and he joined not gods with Allah.
[Āl-i ʻImrān 3: 67]

No one should say that these *āyāt* refer to outward submission alone and not sincere devotion to Allah. On the other hand, in quite some *āyāt*, Allah has addressed the believers to perfect their *Īmān* in Allah and submit completely to Him. For example, the following *āyāt* could be referred to:

O ye who believe! be not like the Unbelievers, who say of their brethren, when they are travelling through the earth or engaged in fighting: "If they had stayed with us, they would not have died, or been slain." [Āl-i ʻImrān 3: 156]

O ye who believe! believe in Allah and His Messenger and the scripture which He hath sent to His Messenger and the scripture which He sent to those before (him). [Al-Nisā' 4: 136]

O ye that believe! betray not the trust of Allah and the Messenger, nor misappropriate knowingly things entrusted to you. [Al-Anfāl 8: 27]

O ye who believe! what is the matter with you, that, when ye are asked to go forth in the Cause of Allah, ye cling heavily to the earth? [Al-Tawbah 9: 38]

The word *'Īmān'* in all the above *āyāt* do not refer to the perfect belief in Allah. Rather it was addressed to those believers who might have some weaknesses in their dedication to the Will of Allah and the commands of the Prophet. Therefore, Sayyid Mawdūdī reaches the conclusion that the words '*Īmān*' and '*Islam*' are used interchangeably in the Qur'ān. None of these terms should be used for one specific meaning while neglecting the other. He said this after acknowledging the fact that the

word 'Islam' in the above ayah of *Sūrah al-Ḥujurat* undoubtedly refer to outward submission alone, and not to inner conviction of heart.[6]

Witness unto mankind

Allah Subhanahu wa Ta`ala declares about the status of the Prophet:

O Prophet! Truly We have sent thee as a Witness, a Bearer of Glad Tidings, and a Warner, And as one who invites to Allah's (Grace) by His leave, and as a Lamp spreading Light. [Al-Aḥzāb 33: 45-46]

Mawdūdī clarifies the nature of the Prophet's witness unto mankind and dispels the doubt of some people who claim that this 'witness' refers to witnessing the actions of the Muslims. Therefore, it is a known fact, as they claim, that the Prophet could see all the actions of his followers throughout the world. This stand of some people, as Mawdūdī explains, is false according to the *āyāt* of the Qur'ān. Allah has made different arrangement for the recording of the actions of humans. The "Honored Angels" are assigned to register all actions of humans in minute details.[7] The organs of human body would testify about the actions committed by them.[8] The mission of the Prophets, Mawdūdī asserts, is not to witness over the actions of the people; but to affirm that they had clearly conveyed the message of Allah in detail to the people.[9] He quotes the following *āyāt* to establish his claim:

One day will Allah gather the Messengers together, and ask: "What was the response ye received (from men to your teaching)?" They will say: "We have no knowledge: it is Thou who knowest in full all that is hidden. [Al-Mā'idah 5: 109]

Allah mentions about the response of 'Isā, peace be upon him, on the Day of Judgment, while he would be asked about his mission, 'Isā would say:

[6] *Tafhīm* 5/100-102, Ḥujurāt (49), note 31.
[7] See Sūrah Qāf 50: 17-18, Al-Kahf 18: 149.
[8] See Yāsīn 36: 65, Fuṣṣilat 41: 20-21.
[9] *Tafhīm*, 4/106-107, Aḥzāb (33), note 82.

"I was a witness over them whilst I dwelt amongst them; when thou didst take me up thou wast the Watcher over them, and Thou art a witness to all things. [Al-Mā'idah 5: 117]

The Qur'ān also clarifies about this status of the Prophets in the following *āyāt*:

Thus have We made of you an Ummat justly balanced, that ye might be witnesses over the nations, and the Messenger a witness over yourselves. [Al-Baqarah 2: 143]

One day We shall raise from all Peoples a witness against them, from amongst themselves: and We shall bring thee as a witness against these (thy people): and We have sent down to thee a Book explaining all things, a Guide, a Mercy, and Glad Tidings to Muslims. [Al-Naḥl 16: 89]

Mawdūdī establishes the fact that this witness was nothing save declaring in unequivocal terms that they have perfectly conveyed Allah's message to the mankind, and it were they who neglected Allah's message out of their own free will.

He further mentions that this *shahādah* refers to three kinds of witnesses: *First*, by word [*shahādah qawliyyah*], second, by action [*shahādah 'amaliyyah*], and third, *shahādah* on the Day of Judgment [*shahādah Ukhrawiyyah*]. That means, the Prophet has conveyed the message of Allah in unequivocal terms and established with no compromise the commands of Allah as they are. He had also presented his own life as an open book to see the real implementation of the Qur'ānic commands. And finally, on the Day of Judgment, he would testify before Allah that he made the message of Allah like the daylight before each and every people he encountered with.[10]

This witness on the Day of Judgment does not refer to witnessing their actions throughout the world that Allah has removed all barriers from his Blessed *Rawḍah* [grave] in order to make him able to see the acts of his Ummah!! Mawdūdī also strengthens his position by the famous Ḥadīth of the Prophet related by almost all Ḥadīth scholars including Bukhārī and Muslim, which goes as follows:

On the Day of Judgment, the Prophet would see that some of his people would be dragged towards different direction than the Prophet. He would say: "My Lord! they

[10] *Ibid*.

are my companions!!" Allah responds: "You were not aware what they were committing after your death."[11]

Sayyid Mawdūdī not only explained the *ayah* through similar *āyāt* of the Qur'ān and the *aḥādīth* of the Prophet; but also he remarked on the *Ḥadīth* by saying:

The similar *aḥādīth* were narrated from numerous companions through many chains of narrations that no one could doubt about its authenticity at all.[12]

Qur'ānic Commentary by Ḥadīth

It was the second most authentic source of the commentary of the Qur'ān. Realizing its great importance Sayyid Mawdūdī depended to a great extent on the *aḥādīth* of the Prophet in explaining the Qur'ān. His writings on the authority of Sunnah were so authoritative and convincing that the anti-Ḥadīth scholars regarded him as their greatest enemy. In his address after the completion of *Tafhīm*, he declared the following:

I have tried my best to interpret the Qur'ān through authentic *aḥādīth* of the Prophet. For they could not be detached from one another. No one should ever think that the Qur'ān could ever be explained without the help of Ḥadīth. The understanding of the Qur'ānic *āyāt* solely depend on the aḥādīth of the Prophet.[13]

He also says in his famous Book *Sunnat ki 'Āynī Ḥaythiyat* [The Constitutional Status of Sunnah]:

[11] *Tafhīm*, 4/106-107, Aḥzāb (33), note 82. See *Bukhari*, Kitab al-Riqaq, Bab al-Hawd, No. 6585; *Muslim*, Kitab al-Fada'il, No. 2290.
[12] *Tafhīm* 4/107-108, Aḥzāb (33), note 82.
[13] *Āyeen*, *Tafhīm* No. December 1972, p. 114.

The Qur'ān could never be understood in its pure form without the help of the Prophetic aḥādīth. One who denies the authority of the Prophet in the interpretation of the Qur'ān, in fact rejects the Qur'ān itself.[14]

Examples

It is so prevalent in his tafsir that one could cite numerous examples from every single volume of Tafhīm. We would just mention a few examples from Sūrah al-Ḥujurāt in his *tafsīr*.

Ghībah and its ruling

Allah subḥānahu wa ta`ālā mentions in Sūrah al-Ḥujurāt:

O ye who believe! avoid suspicion as much (as possible): for suspicion in some cases is a sin: and spy not on each other, nor speak ill of each other behind their backs. Would any of you like to eat the flesh of his dead brother? Nay, ye would abhor it. But fear Allah: for Allah is Oft-Returning, Most-Merciful.
[Al-Ḥujurāt 49: 12]

Mawdūdī's interpretation of the above *āyah* is remarkable. He pinpoints the societal ills and recommends its cure from the Qur'ānic perspective. '*Gībah*' is, as he defines, "saying on the back of a person something which would hurt him if he came to know of it."[15] He substantiated the definition by the *aḥādīth* of the Prophet, as the Prophet is reported to have said:

"It is talking of your brother in a way irksome to him." He was asked, if the defect was in reality present in that person!!? The Prophet replied, "If it is present in him, it would be *ghībah*; if it is not there, it would be slandering him."[16]

He also quoted another report from Muwaṭṭa Mālik of similar content. In another report from Abū Dā'wud, when Mā`iz al-Aslamī was stoned to death for adultery, the Prophet heard a man saying bad things about him and resembled him with dog. The

[14] Sayyid Mawdūdī, *Sunnat ki Ā'yīnīHaythiyat* [the constitutional status of Sunnah], (Lahore: Islamic Publications Ltd. 1996), p. 77.
[15] *Tafhīm*, vol. 5, Al-Hujurat (49), note 26, p. 90.
[16] *Sahih Muslim*, Kitāb al-Birr wa al-Silah, No. 4690, *Sunan Tirmidhī*, Birr wa Ṣilah, No. 1857, *Sunan Abū Dāwūd*, Kitāb al-Adab, No. 4231.

Prophet (PBUH) saw a dead ass lying and rotting. He asked the man to enjoy from it, and said that what he was doing was much graver than eating the flesh of dead ass!![17]

Realizing its practical need in some pressing situations, Sayyid Mawdūdī clarified and exempted some real needs, in which one is allowed to say negative aspects about others. Again it was not based on his own *ijtihād* alone, but depended on the *aḥādīth* of the Prophet. *Ghībah*, he says, is allowed only when there is a real *shar'ī* need, and without which it could not be materialized. He mentioned a few examples from the life of Prophet. A lady, Fāṭimah bint Qays, was offered marriage by two persons: Mu`awiah and Abu Jahm, and she consulted the Prophet about it. He said, Mu`awiah is a poor man, and Abu Jahm is extremely hot tempered.[18]

A Bedouin prayed in the mosque of the Prophet, and while returning on his camel, he prayed to Allah by saying: "O Allah! Shower your Blessings on me and on Muhammad; and do not shower your Blessings on anyone else apart from us." The Prophet said to his companions: "What would you say about this man? Is he more ignorant or his camel? Haven't you heard what he has said?"[19] The Prophet said it in his absence for the man had already left immediately after prayer.

Likewise, a man came to meet with the Prophet in his house. The Prophet said to 'Āishā', may Allah be pleased with her, "This is the worst man of his tribe". He then went and met with him in cordial manner. 'Āishā' was surprised. The Prophet said: "The worst man in the sight of Allah is the one who is abandoned by his peers because of rude and harsh behavior."[20]

[17] *Abū Da'wud*, Kitāb al-Ḥudūd, No. 3843.
[18] *Tirmidhī*, Kitāb al-Nikah, No.1053.
[19] *Abū Dā'wūd*, Kitāb al-Adab, No. 4241.
[20] *Bukhārī,* Kitāb al-Adab, No. 6032, *Muslim*, Al-Birr wa al-Silah, No. 2591, *Tirmidhī*, Al-Birr wa al-Silah, No.1996.

The need here, as Mawdūdī explains, was that he wanted to make his family aware of the character and attitude of that particular man, so that he would not be able to delude the Ummahat al-Mu'minin in the absence of the Prophet.[21]

Unity of Mankind

Allah Subhanahu wa Ta`ala says:

O mankind! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that ye may know each other (not that ye may despise each other). Verily the most honored of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you. [Al-Ḥujurāt 49: 13]

The realities that the above *ayah* contain about the origin of mankind, and division into various tribes and nations and the basis for superiority of one another are also explained by the Prophet, peace be upon him. Mawdūdī quotes a few of such *aḥādīth* in his commentary as follows:

The Prophet, peace be upon him, addressed the people after the *Fatḥ Makkah* and said:

All Praises belong to Allah, Who has removed from you the blemish of ignorance and its arrogance. O people men are divided into classes: the pious and righteous, who are honorable in the sight of Allah, and the sinful and vicious, who are contemptible in the sight of Allah, whereas all men are the children of Adam, and Adam had been created by Allah from clay.[22]

In another Ḥadīth the Prophet says: "Allah does not look into your appearance and wealth, but He looks into your hearts and actions."[23]

Besides this, Sayyid Mawdūdī also quotes three more aḥādīth from Bayhaqi, Bazzar and Ibn Jarir Tabari on the same topic. He also highlights that the equality in Islam is not some fanciful notion without any practice, but it was implemented, first and foremost, by the Prophet Muhammad, peace be upon him. Islam is the only religion which laid utmost emphasis on this humane aspect and united the humanity under the same banner regardless of color, race or nation.[24]

---

[21] *Tafhīm*, vol. 5, Al-Ḥujurāt (49), note 26, p. 92.
[22] *Tirmidhī*, Kitāb Tafsīr al-Qur'ān, No. 3193.
[23] *Muslim*, Kitāb al-Birr wa al-Ṣilah, No. 4651, *Ibn Mājah*, Kitāb al-Zuhd, No. 4133.
[24] *Tafhīm*, vol. 5, Al-Ḥujurāt (49), note 28, pp. 97-99.

In the meaning of "*Tajassus*" [Spying] also he refers to the *aḥādīth* of the Prophet. He mentioned four *aḥādīth* on the issue explaining its severe punishment by Allah.[25]

While dealing with the issue of "Finality of Prophethood" he added an Appendix at the end of *Sūrah Al-Aḥzāb*. He first dealt with the issue linguistically, and then mentions the Prophetic *aḥādīth* on the issue. He quoted 14 famous *aḥādīth*, and strengthened the stand through *Ijma`* or Consensus of the Companions and the Muslim scholars. Then he presents rational arguments and addresses the rational people if there is a need today for a new Prophet or not.

Allah Subḥānahu wa ta`āla commanded the Muslims to offer *Ṣalāt* to the Prophet (PBUH). He narrated quite many *aḥādīth* from different companions with variant wordings of ṣalāt, and then extracted its lessons.[26]

An objective reader would undoubtedly say that Sayyid Mawdūdī's emphasis on Tafsir by the Qur'ānic *āyāt* and *aḥādīth* are so much so that one could categorize him with the traditional *mufassirūn*. But we could not align him with them, because he also used his reasoning and mind to derive its lessons and extract *aḥkām* from them. His *tafsīr* is a traditional one, presented in the modern and contemporary fashion to suit the needs and tastes of modern rational men.

[25] See *Tafhīm*, 5/88-89.
[26] See *Tafhīm*, 4/125-128.

Tafsīr of the Qur'ān by Ijtihād

Sayyid Mawdūdī also used frequently his mind and reasoning to understand the *āyāt* of the Qur'ān. He amalgamates wonderfully between *riwāyah* [narration] and *dirāyah* [reasoning], giving supreme emphasis on *riwāyah*. His *Ijtihād* or reasoning never deviates him from the original message of the Qur'ān as a Book of guidance for mankind. He is seriously against those who give supreme emphasis on reasoning, and judge the *āyāt* of the Qur'ān based on it. He interpreted the *āyāt* on Natural Sciences from a rational point of view. He condemned the rationalists who rejected the miracles of the Prophet and tried to present a distorted meaning for the supernatural issues. His stand against anti-Ḥadīth heresy was bold and sharp that he shut their mouth by convincing reasoning. He dealt with modern heresies and challenges like Qādiyānism, Nationalism, Secularism and Orientalists interpretation of the Qur'ān and presented a convincing Islamic response to all such issues. Qādiyānīs were cornered by him so much so that they plotted to hang him and reached him up to the gallows. He dispelled the doubts and confusions that might arise in the minds of common readers. All these were dealt with rationally and by presenting convincing proofs. This feature is prevalent in his tafsir so much so that an unwary reader may term him as a rationalist interpreter of the Qur'ān. But in fact he employed rationality to understand the message of the Qur'ān. He only used it when there is no *āyah* or *Ḥadīth* available, or that he has to deal with heretics, atheists, Orientalists and so on. Let us quote some examples to make the point clear.

Finality of Prophethood

He lived in a period when Qādiyānis claimed their leader Ghulām Aḥmad as a Prophet. Mawdūdī dealt with them properly. He wrote a pamphlet on the issue of Qadiyanism and provided a comprehensive account on the issue of Finality of Prophethood. At the end of *Sūrah al-Aḥzāb*, he added an Appendix on *Khatm Nubuwwah*. He first dealt with the issue from linguistic point of view, and then provided the *aḥādīth* of the Prophet on the issue. He mentioned the *Ijmā`* of the Companions and all Muslim scholars covering from the earliest century until the latest century. At the end, he appeals the reason of the people and says that "All rational people could easily see that the meaning of "*Khātam al-Nabiyyīn*", as has been established by the usage of Arabs, by the context of Qur'ānic expression, by the

aḥadīth of the Prophet and also by the consensus of all Muslims throughout all centuries until the new "Prophet"(!!) emerged in 'Qādiyān' and claimed to be Prophet and many people follow him and obey him as he claims. Is there any such rooms for a new Prophet?"[27]

He again appeals to the rational minds of the people by raising some fundamental questions that the Prophethood is so basic an issue that Allah Subḥānahu wa Ta`āla would have never left it in ambiguity and darkness. For, believing in a Prophet is the basis for one's success or failure in the Hereafter. He highlights four reasons which necessitates the emergence of a Prophet, namely, when there is a nation which had not received a single Prophet, nor were they able to get the message of other Prophets; or, if the teachings of the past Prophets were totally forgotten or corrupted; or, the teachings were not perfect or comprehensive; or, a Prophet is needed to assist another Prophet to carry out the mission like Mūsā and Hārūn. Based on above reasons it was clear that there was no need for a new Prophet in the present day.[28]

The above is a clear proof that Mawdūdī employed sound reasoning to understand the message of the Qur'ān and to convince the enemies of Islam.

Ḥijāb or Niqāb?

Sayyid Mawdūdī strongly supports that Islam requires a lady to cover her whole body including her face. For, to him, it is the central point of *fitnah* between sexes. The 'face' appeals first of all in the minds of opposite gender. In the explanation of *Sūrah Nūr* and *Aḥzāb,* he employs all his efforts to establish this contention as the requirement of *sharī`ah*.[29] In *Sūrah al-Aḥzāb āyah* 59, Allah commands the believing females to cover themselves with an additional sheet of cloth, and in *Sūrah al-Nūr*, Allah commands them not to appear in adornment and not to reveal their beauty in

[27] *Tafhīm*, 4/151.
[28] *Ibid*. 4/152-153.
[29] *Tafhīm*, 3/380-389, Nūr (24) notes 29-42; also 4/129-132, Al-Aḥzāb (33), notes 110-111.

public. [*ayah* 31] Mawdūdī addresses the reason of the people by saying that one who reads both these *āyāt* with an open mind should say that these *āyāt* demand of a Muslim female that she should cover her whole body including face.[30]

One could differ with Mawdūdī in his conception of Hijab or reject his view; but a sound reader would definitely appreciate his approach of dealing with the issue remarkably. It is to be noted that what Sayyid Mawdudi tried to establish here is totally based on his assumptions and conclusions that he derived from his personal judgments based on the current social scenario where the ladies were not safe if their faces were kept open. People's morality and piety stand to an extremely lower level that the Muslim ladies were not protected from their aggressive advances and attacks. Hence, definitely, covering 'face' is regarded as an added safety measure for their dignity and chastity; but no Qur'anic ayah or hadith of the Prophet could be presented to prove that 'Niqab' or 'face-veil' is a compulsory requirement for Muslim ladies to wear on. Muslim scholars have the right to apply their own judgment to declare what is the best dress code for Muslim men and women in a given society at a given timeframe, but the 'face-veil' cannot be declared to be 'faridah' or compulsory requirement for Muslim women. No one has the right to declare something as compulsory except Allah SWT and His Prophet PBUH.

Dīn: a complete code of life

Sayyid Mawdūdī not only conceptualized *Dīn* as a complete code of life; but also presented Islamic solutions for various aspects of human life. In the interpretation of *āyah* 13 of *Sūrah al-Shūrā*, he first presented the Qur'ānic *āyāt* which refer to *sharī'ah* rulings by using the very word *'dīn'*. For example, *Sūrah al-Mā'idah, āyah* 3 refers to the forbidden foods for the Muslims which were regarded as integral parts of 'Complete Religion'. *Sūrah al-Tawbah* (9) *āyah* 29 commands to fight against those who do not submit to the Divine law of *ḥalāl* and *ḥarām* and do not follow the True religion; and *Sūrah al-Nūr* (24) *āyah* 2 asks the Muslims to establish Islamic penal code on adulterer and adulteress.[31]

[30] *Tafhīm*, 4/131-132.
[31] *Tafhīm*, 4/490.

He then appeals the rational mind of the people and presents the practical needs of *Dīn* to be a complete code of life. He says that Islam envisages a way of life, which, in practical term, cannot be implemented properly without a full-fledged Islamic state. Islam does not treat its citizen to remain under the dominance of non-Islamic governments and then establish its rules. Various socio-political, economic-cultural, and legal aspects cannot be established in the real term without a full-fledged Islamic state. The Qur'ān commands the Prophet to judge according to the divine law[32] and he who does not submit to His Law is not regarded as believer.[33] It commands to collect *zakāt* and utilize it to eradicate the poverty of the people,[34] which cannot be properly materialized without a state. It bans usury and declares war against the rebels[35]; commands for *Qiṣāṣ* or retribution against the murderer[36]; asks to cut off the hands of a thief[37]; punishment for adultery[38] etc. None of these *Sharī'ah* commands could be materialized without having state power. The Qur'ān does not give command to fight against the *Mushrikīn*[39] to be materialized through enrolling oneself in the army of non-Muslims. The command of *Jizyah*[40] [security tax] was not given to collect it from the non-Muslims while being ruled by them.[41]

This is the methodology he adopted to convince the rational minds of the people. Once a person reads the explanation of Mawdūdī for Islamic state with an open mind, he would be convinced that Islam in reality envisages a complete code of life. It does not tolerate any separation or division in it.

[32] Sūrah al-Nisā' 4: 105.
[33] Al-Nisā' 4: 65.
[34] Al-Tawbah 9: 60, 103.
[35] Al-Baqarah 2: 278-280.
[36] Al-Baqarah 2: 178.
[37] Al-Mā'idah 5: 38.
[38] Al-Nūr 24: 2-4.
[39] Al-Baqarah 2: 190, 216.
[40] Al-Tawbah 9: 29.
[41] *Tafhīm*, 4/486-492, Shūrā (42), note 20.

Modern Challenges

Sayyid Mawdūdī dealt abundantly with the challenges of modern day and furnished convincing rational proofs which would sufficiently satisfy objective readers.

The Orientalists put their utmost emphasis to prove (!) that the Qur'ān is copied from Bible, and is made by its author Muhammad (!). Mawdūdī quoted extensively from the Biblical narratives and pinpointed the basic differences between what the Qur'ān says and the Bible contains. He established soundness of the Qur'ānic statement and faultiness of Biblical narrations. For example, in the story of Yoūsuf and the lady of Egypt, he highlights the differences and concludes by saying:

Incidentally, this Qur'ānic version of the story is a clear proof of the fact that it has no copied stories from the Israelite traditions as the pseudo-Orientalists allege, but has, on the other hand, corrected them and told the real facts to the world.[42]

The rationalists who rejected the miracles of the Prophet and tried to present some rational interpretation or distortion of the meaning of the *āyāt* of the Qur'ān; Mawdūdī stood boldly against them. He asked them to be courageous and declare that they do not believe in those *āyāt* of the Qur'ān, so that the Muslims would know their real face. Mawdūdī asked them a decisive rational question with regard to the miracles. He says:

The decisive question about miracles is whether Allah suspended His activities after starting the system of the universe according to certain laws, and now cannot interfere in any way whatever with the working of that system. Or, whether He keeps the reins of His kingdom in His own hands and enforces His commands every moment in this kingdom and He has full powers to make any change, partial or complete, in shaping things and the course of events, as and when He wills.[43]

If one claims to be a Muslim, he should believe in the second option and not the first one. This would solve the problem of understanding the miracles of the Prophets as Allah has the complete power and authority to make any changes he wishes in the fixed laws.

[42] Ibid.
[43] *Tafhīm*, 2/65-66.

Likewise, those who reject the *Mi`rāj* of the Prophet to the seven heavens, and accept his travel from Baytullah to Bayt al-Maqdis; Mawdūdī asked their rational mind in the following term:

If it was possible for the Prophet to travel to *Bayt al-Muqaddas* and return to Makkah by the limitless Power of Allah in the same night at a time when there was no facility of Airplane, so how could one question about other details that have been mentioned in the Ḥadīth of the Prophet? The question whether a thing is possible or not, can arise only in the case of human beings whose powers are after all limited, but such questions cannot be raised where the All-Powerful Allah is concerned. Only such a person who does not believe that Allah is able to do everything can raise objections against this wonderful Journey.[44]

[44] *Tafhīm*, vol. 2, Sūrah al-Isrā' (17), note 1, pp. 588-590.

Rejecting some Aḥādīth

His rational approach was so much so that when he could not find any agreeable or acceptable explanation of some *aḥadīth*; he rejected to accept them disregarding its narration in the most authentic Ḥadīth treatises.

In the explanation of Sūrah Ṣād (38) *āyah* 34 and 35, he mentions the stand of various commentators and relates the story of Sulaymān's visiting 70 or 90 or 99 or 100 wives in the same night and he vowed that all of them would conceive a *Mujāhid* son for him. But he forgot to say *Insha Allah*. Later, only one wife delivered one deformed incomplete baby. The report was narrated by most of the Ḥadīth narrators including Bukhārī and Muslim on the authority of Abū Hurayrah, may Allah be pleased with him.

Mawdūdī rejected this Ḥadīth by saying that it is totally against common sense and reason. If one has to go to at least 60 wives at a single night which at maximum

stretches to 10 hours. That means he has to visit at least 6 wives hourly for continuous ten hours, which is absurd and out of imagination. He assumes that the Prophet, peace be upon him, should probably have said it as an Isrā'īlī narration, which the companions treated like the reality.[45]

Likewise, he rejected the three alleged lies of the Prophet Ibrāhīm, peace be upon him, in the explanation of *Sūrah al-Anbiā'* (21) ayah 63, and *Sūrah Ṣāffāt* (37) *āyah* 89, as had been established by authentic *aḥādīth* of Bukhārī and Muslim. The two instances of demolishing idols and pretending sickness are established by the *āyāt* of the Qur'ān. Mawdūdī rationally presents that in the first instance the Prophet Ibrahim simply wanted to establish clear proof that these idols which could not even protect themselves, how could protect its followers and worshippers? In the second instance, he could only be termed, Mawdūdī argues, as lying, when it could be proved that Ibrahim did not have any minor sickness even. Since it is not proved, it should not be termed as a lie. The third instance of presenting own wife as his sister, was derived from Biblical literatures. He points out that the Bible itself presents that Ibrahim was then 75, and his wife was 65 while passing through Egypt. It is totally absurd that a person would ask his elderly wife to lie to save the life of husband; because the Egyptian monarch was extremely fond of beautiful ladies.[46]

[45] See for details Bukhari: 5242, Muslim:1654.*Tafhīm*, 4/337-338,
[46] See also, Bukhari: 3358, Muslim: 2371. *Tafhīm*, 3/166-168.

Sayyid Mawdūdī, though remained extra ordinarily traditional in his overall approach; he never accepted something which is totally against the common sense and reason. *Ḥadīth*, to him, just proves probability of authenticity, and not certainty. Therefore, when the issue is very crucial, he preferred to protect the dignity of the Prophets and rejected the authenticity of such *aḥadīth*. One may differ with him in particular; but he has some good reasons to take up such positions.

In my analysis, I agree with him in the hadith about Sulayman (pbuh). But I just want to add to it, the hadith might be originated from Isra'ili sources, such as Ka`ab al-Ahbar and others. It is known fact that Sayyiduna Abu Hurairah (R.A.) loved the knowledge, and he may have narrated it from himself after learning it from biblical sources, and the hadith narrators might have mistakenly referred it to the Prophet (PBUH).

But the hadith about the Prophet Ibrahim (PBUH) is based on apparent meaning. Though in reality, it is not a lie, it reflects to be a lie apparently. Hence, Ibrahim (PBUH) referred it to be a lie, and he sought Allah's forgiveness for it.

CONCLUSION

Following the best method in the interpretation of the Qur'an al-Karim is a need of time. Though many commentators violated the limits in their interpretation, Sayyid Mawdudi remained firm with a sound methodology in his interpretation of the Qur'an.

He gave utmost priority to follow a traditional method, by following the Qur'an and Sunnah, but at the same time, he also resorted to rational method in the Qur'anic interpretation to suit with the current needs of the time. He addressed the minds and hearts of educated youths of society. He emphasized to get them linked with the Qur'anic teachings based on the Prophetic explanation of the Qur'an. His emphasis was on the role of Sunnah to explain the Qur'an. He stood firmly against those who rejected the need of the Sunnah of the Prophet in the explanation of the Qur'an.

If he could not manage to accept some ahadith of the Prophet due to their apparent contradiction with the basis of shari`ah, he did not hesitate to reject them, and said that it might not have been said by the Prophet (PBUH).

In today's scenario, we need Qur'anic commentaries similar to the approach of Mawdudi in order to understand the Qur'an in the proper manner without any bias or crossing the limit.

REFERENCES:

1. Al-Qur'an al-Karim
2. Abdullah Yūsuf Ali. The Meaning of the Holy Qur'ān. Maryland, USA: Amana Corporation, n.d.
3. Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail. *Sahih al-Bukhari*. Beirut: Dar Tuq al-Najat, 1422AH.
4. Muslim ibnul Hajjaj al-Naysaburi. *Sahih Muslim*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, n.d.
5. Al-Tirmidhi, Muhammad ibn 'Isa. *Sunan Tirmidhi*. Cairo: Sharikat Maktabah Mustafa al-Babi al-Halabi, 1395AH.
6. Abu Da'wud Sulayman al-Sajistani. *Sunan Abi Da'wud*. Beirut: al-Maktabah al-'Asriyyah, n.d.
7. Al-Nasa'i, Ahmad bin Shu`ayb. *Sunan al-Nasa'i*. Aleppo: Maktab al-Matbu`at al-Islamiyyah, 1406AH.
8. Ibn Majah, Muhammad ibn Yazid al-Qazwini. *Sunan Ibn Majah*. Cairo: Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah, n.d.
9. Sayyid Abul-A`lā al-Mawdūdī. *Tafhīm al-Qur'ān.* Eng. Tr. *The Meaning of the Qur'ān*, by Chowdhry Muḥammad Akbar. Lahore: Islamic Publications (Pvt) Ltd., 12th edition, 1992.
10. Ḥussain Akhlāq, "Ṣāḥib-i-Tafhīm al-Qur'ān ka Andāz-i-Taḥqīq wa Taṣnīf" in *Āyeen Magazine*. Tafhīm no. December, 1972.
11. Adam, Charles J. "Abu'l-A`la Mawdūdī's Tafhīm al-Qur'ān" in Rippin, Andrew ed. *Approaches to the History of the Interpretation of the Qur'ān*. Oxford: Clarendon Press, 1988.
12. Al-Nadwī, Abul-Ḥassan 'Ali, "Rafāqat ke Chālis Baras" [40 Years of Friendship] in *Urdu Digest*, Lahore: Sayyid Mawdūdī No., September 1981, pp. 83-84.

13. Chowdhury Abdur Rahman. *Sayyid Abul A`lā Mawdūdī.* Lahore: Islamic Publications Ltd. 3rd edition, 1988.

14. Khān, ‘Abbās Alī, “Mawlānā Mawdūdī as an Encyclopedia of Knowledge” in Zaman, Nurul, (ed.) *The Greatest Da`i of the Century* [in Bengali]. Dhaka: Adhunik Prakāshanī, 1994. pp. 264-265.
15. Masudul Hassan. *Concise Encyclopedia of Pakistan*. Lahore: Ferozsons, 1975.
16. Masudul Hassan. *Sayyid Abul A`ala Maudūdī and His Thought*. Lahore: Islamic Publications Ltd. 1984. 1st edition.
17. Murad, Khurram. “The Work of Mawdūdī in pre-independence period”, in Zaman, Nurul, (ed.) *The Greatest Da`i of the Century* [in Bengali]. Dhaka: Adhunik Prakāshanī, 1994, pp. 83-84.
18. Mustanṣir Mīr, “Some Features of Mawdūdī’s Tafhīm Al-Qur’ān” in *American Journal of Islamic Social Sciences*, vol. 2, no. 2, 1985, pp. 233-244.
19. *Āyeen Magazine*, Tafhīm No. December 1972.
20. Qurayshī, Alṭāf Ḥassan. *Piyāre Mawlānā*, [Beloved Mawlānā]. Lahore: Jasārat Printers, 1991.
21. Sayyid Mawdūdī, *Al-Islam fi Muwajahat al-Taḥaddiyyāt al-Mu`āṣirah,* [Islam and the modern challenges], Arabic tr. by Khalil Hamidi. Kuwait: Dar al-Qalam, 1400AH/1980AC.
22. Sayyid Mawdūdī, *Sunnat ki Ā’yīnī Ḥaythiyat* [the constitutional status of Sunnah], Lahore: Islamic Publications Ltd. 1996.
23. Zarkashi, Badruddīn. *Al-Burhān fi ‘Ulūm al-Qur’ān*. Cairo: Ṭab‘at ‘Īsa al-Ḥalabī, 1st edition, 1376AH-1957AD.

مجلة كلية القرآن والسنة
JOURNAL OF AI-QUR'AN & AI-SUNNAH FACULTY
VOL. (1)- Issue 1 Jan 2023 المجلد الأول -العدد الأوّل يناير

JOURNAL OF AI-QUR'AN & AI-SUNNAH FACULTY

Kolej Universiti Islam Perlis (KUIPs) -Malaysia

A Refereed Scientific Journal:

Focuses on Qur'an, Sunnah, Arabic Language and related studies

KOLEJ UNIVERSITI ISLAM PERLIS
جامعة بريس الإسلامية

Publication requirements

1. The presented paper must be in the field of Qur'an, Sunnah, Arabic language, and related studies.
2. The topic must be new with strong scientific value.
3. The research should follow sound methodology, purpose and valid *ijtihad* or sound reasoning.
4. The language of research should be clear and free from errors.
5. The research has not been published earlier or submitted to another scientific journal, and the researcher should provide a written acknowledgement to it.
6. The authors of an article should not be more than three (3), i.e. the principal author plus two co-authors
7. The number of pages should not exceed (40) pages, and not less than (15) pages.
8. The **Abstract** should be written in (150-200) words in two languages: Arabic and English or Arabic and Malay. It should include: the purpose of the study, the reason of its selection, precise methods of research and two important results, followed by 4-5 keywords.
9. The **Conclusion** should include the most important results of the study.
10. The **Text of the research** should be in Times New Roman, Font size 12, and line spacing 1.15.
11. The main and sub-headings should be in Times New Roman (**Bold**), Font size (12).
12. The footnotes should be written in Times New Roman, Font size 10.
13. The footnotes numbers should be placed between brackets, such as……(1)
14. Footnotes numbers should begin at every page independently, and not at the end of the paper.
15. The footnotes references should be brief, and the title of the book should be Bold.
16. The Qur'anic verses should be written in the Othmani script, exactly as they are available in the Microsoft Word program, and not according to the computer-published copy of the Mushaf al-Madinah. Font size (16), followed by ayah references in the font (12). The ayat should be placed with polished brackets such as follows: ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [هود:51]

17. The Ahadith of the Prophet (pbuh) should be written in font 12, either with *tashkil* or diacritical marks [*Fathah, Dammah, Kasrah*] in all *ahadith*, or without it in all.
18. The hadith references should be cited according to standard methods as follows: **Sahih al-Bukhari** (the name in **Bold**), Book: …., chapter: …., no. (….), 2/23. Or, **Musnad Ahmad** (the name of the book in **Bold**), no. (7618.(57/13) ,(
19. The online materials from electronic media should be cited as follows: Heba Helmy Al-Jabiri, **Qiyam Al-Layl, Da'b as-Salihin** (the title in **Bold**), Al-Alukah, (https://www.alukah.net/) .
20. References from periodicals to be cited as follows: Dr. Ahmad Sharshal, **Al-Wasl wa al-Waqf wa Atharuhuma fi Bayan Ma`ani al-Tanzil**, (the title in **Bold**), Majallat al-Shari`ah wa al-Dirasat al-Islamiyyah, Majlis al-Nashr al-'Ilmiy, University of Kuwait, Issue (40), 2000, p. 17.
21. In Bibliography, the references should be cited with full details in alphabetical order. **The title of the book should be in Bold**.
22. The references should be written in both languages: in Arabic, and English (through transliteration).
    For example:

    البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ).

    Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail. **Sahih al-Bukhari.** Beirut: Dar Tuq al-Najat, 1422AH.
23. The research should be submitted in two formats: Microsoft Word and PDF, and sent to the journal's email address: journalfqs@kuips.edu.my